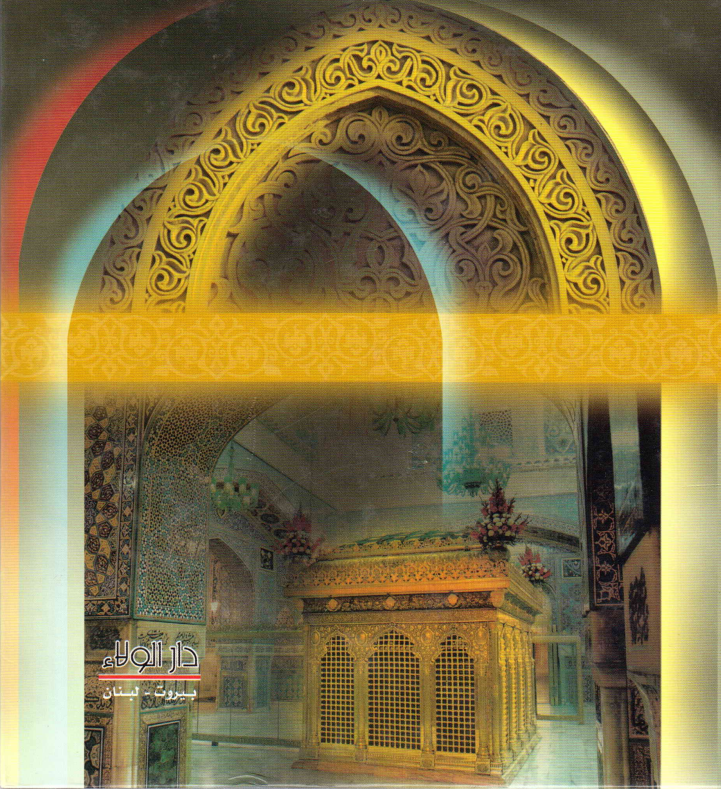
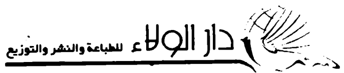
المحقق العلامة الشيخ جعفر السبحاني

أدوار الفقه الإمامي



دار الولاء
بيروت - لبنان


شبكة الفكر
alfeker.net



لبنان - بيروت - حارة حريك - شارع دكاش - سنتر فضل الله
تلفاكس: ٠١/٥٤٥١٣٣ - ٠٣/٦٨٩٤٩٦ - ص. ب: ٢٥/٣٢٧
E-mail:daralwalaa@yahoo.com

اسم الكتاب: أدوار الفقه الإمامي

المؤلف: آية الله الشيخ جعفر السبحاني

الناشر: دار الولاء للطباعة والنشر والتوزيع

الطبعة: الثانية - بيروت - لبنان ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥ م

أدوار الفقه الإمامي

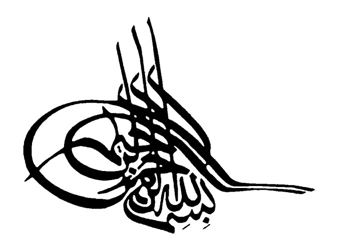
تأليف

العلامة المحقق

آية الله جعفر السبحاني

دار الولاء

بيروت ـ لبنان



بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المؤلف:

الحمد لله الذي علّـم بالقلم، علم الإنسان ما لم يعلـم، والصلاة والسلام على نبيّه الخاتم وعلى الأئمّة الهداة قادة الأُمم.

إنّ الشريعة الإسلامية خاتمة الشرائع، خالدة إلى يوم القيامة ورسولها خاتم الرسل، وكتـابه خاتم الكتـب وقد أخذت الشريعة الإنسـانَ محوراً للتشريع مجرداً عن النزعات القـومية والطائفية واللونية واللسانيـة، وأمرت مبلغها أن يقول: ﴿يَا أَيُّها النَّاسُ إِنّي رَسولُ الله إِلَيْكُمْ جَميعاً﴾.

وشريعة كهـذه يجب أن تكون منطـوية على مـادة حيويـة قادرة على تلبيـة حاجات الأُمّة إلى يوم القيامة و من المعلـوم أنّ المادة الحيوية تحتاج إلى من يرعاها و يستثمرها وفقاً للمصالح و المستجدات.

ثمّ إنّ هؤلاء الـذين قاموا باستنطـاق الشريعة هم الفقهاء الواعـون الذين كـرّسوا أعمارهـم في إرسـاء قـواعد الفقـه على مـرّ العصـور، وقد مـرّ على الفقـه الإسلامي أدوار مختلفة لكلّ ميزته الخاصـة، فالوقوف على ميزان تلك الأدوار يعد تعريفاً للشريعة بنحو خاص، فإنّ تاريخ العلم لا ينفك عن العلم نفسه.

قـد ألفت في سـالـف الزمـان كتـابـاً في أدوار الفقه الإسـلامـي عند كـلا

الفريقين، وفصلنا الكلام في الأدوار التي مرّ بها الفقه الإسلامي، وقد بذلنا الوسع في تبيين المحطات المهمة فيه. كما استعرضنا سير وتراجم فطاحل العلماء الذين تركوا بصمات واضحة على مسيرة الفقه التاريخية وساهموا مساهمة فعالة في دفع عجلة الفقه نحو الإمام.

وقد طلب منّي غير واحد من روّاد العلم أن أفرِّد كتاباً يتناول خصوص تاريخ الفقه الشيعي الإمامي وأدواره، فنزلت عند رغبتهم، وأفرزت المباحث المتعلقة بالفقه الشيعي عن غيرها ودونتها في هذا الكتاب بتلخيص وإيجاز.

وهذا هو الذي نقدمه إلى القراء الكرام عسى أن يقع موقع القبول.

المؤلف

٢١ صفر المظفر من شهور عام ١٤٢٣هـ

تمهيد:

أدوار الفقه الإسلامي

إنّ لكلّ علم هيكلاً عاماً له تعريفه وموضوعه ومسائله وغايته، وهذا ما يُتطرّق إليه في نفس العلم، وهناك جانب آخر يُدعى بتاريخ العلم، ويُهدف من وراء دراسته بيان مرحلة نشوئه ونضوجه وتكامله و ما أُصيب به من نكسات على طول تاريخه.

وقد قام الباحثون ذوو الاختصاص بدراسة تاريخ أكثر العلوم، حتى تكامل وأصبح تاريخُ كلّ علم موضوعاً مستقلاً وراء ذلك العلم، فهناك من يبحث في علم الطب مثلاً من منظار داخلي، وتثمر جهوده في نفس ذلك العلم، ولا تتجاوز عن حدوده، وهناك من يبحث فيه من منظار خارجي، وتنصبُّ جهوده في تاريخه، والمراحل التي مرّ بها وما أعقبه من نضوج وتكامل، وهذا ما يسمّى بتاريخ العلم.

إنّ التتبع في تاريخ العلوم يثبت أنّ كلّ علم يوم نشوئه لم يكن سوى مسائل معدودة، لا تتجاوز عدد الأصابع، ثمّ كثرت وتشعبت عبر الزمان تحت ظل عوامل كثيرة ساهمت في ازدهاره.

وقد انصبَّ الاهتمام في العصور الأخيرة على تاريخ العلوم، و استعراض سيرها التكاملي، فأصبح لكلّ علم بل لكل مسألة تاريخ خاص بها.

والباحث السابر في تاريخ العلوم حينما يواكب مراحلها التكاملية يقف على

حقيقـة وهي أنّ البحـث في العلوم والفهـم العميـق لها أمر لا ينفـك عن دراسـة تاريخها، إذ بها يقف على كافة أسرارها وخفاياها.

والتشريع الإسـلامي والفقـه كغيره من العلـوم لا يشذّ عـن هذه القـاعدة، فدراسة التشريع والفقه الإسلامي غير دراسة تاريخهما.

نعـم ثمة فـرق بين التشريـع والفقه، وإن غفـل عنـه معظـم من كتـب في تاريخهما.

أمّا الأوّل، فيختص بما شُرّع في العهـد النبوي من الأحكام طيلـة ٢٣ سنة، عن طريق الكتاب والسنّة في مجالي الأحكام والأخـلاق ممّا يحتاج إليه الفرد المسلم، والأُسرة المسلمة، والمجتمع المسلم في إطار العمل.

وأمّا الثاني، فهـو حصيلة الجهـود المضنيـة التي بـذلها الفقهـاء بعد رحيـل النبي ﷺ فيما له صلـة بالتشريـع، فخلّفوا وراءهـم ثروة علميـة فكريـة تمثلت في فتاواهم وآرائهم.

وبما أنّ التشريع الإسـلامي كان منحصراً بفترة خـاصة، فـلا غرو أن يُقتصر تاريخ التشريع على تلك الفترة القصيرة، ما بين بعثة النبي ﷺ إلى رحيله التي لا تتجاوز عن ٢٣ عاماً، والتي أعقبها غلقُ باب الوحي والتشريع.

فعلى الباحـث في تاريخ التشريع الإسـلامي أن يفصل بين تاريـخ التشريع وتـاريخ الفقـه، ويُعطـي لكـلّ حقّه، ففـي تـاريـخ التشريع يستعـرض الآيـات والأحاديـث الكفيلة ببيان الأحكـام وأسباب النزول، ومـا يرجع إليهما مـن مختلف الجوانب.

وأمّا تاريـخ الفقه، فقد بدأ في الفترة التي أعقبـت وفاة رسول الله ﷺ، ومرّ بأدوار مختلفة منذ عصر الصحابة والتابعين إلى عصر الفقهاء، وامتد إلى يومنا هذا.

الحاجة إلىٰ تاريخ الفقه

قد ذكرت لدراسة تاريخ الفقه فوائد علمية جمّة ، منها:

أ. الاطّلاع على الأساليب الفقهية التي سار على ضوئها الفقهاء، وتنوعت بها مناهجهم ومسالكهم، فلا شكّ أنّ الفقه بمختلف أساليبه يهدف إلى أمر واحد، وإنّما الاختلاف في المناهج المتّخذة في الاستنباط والاجتهاد للوصول إليه.

ب. معرفة العوامل التي ساهمت في تقدّم العلم وتطوّره.

ج. الوقوف علىٰ الأسباب المُعيقة لتطوّر الركب الفقهي، كظهور الأخبارية في القرن الحادي عشر والثاني عشر عند الشيعة، وكإقفال باب الاجتهاد في أواسط القرن السابع عند السنّة، بيد أنّ العوامل المُعيقة عند الطائفة الأُولى لم تدم طويلاً، بل زالت بجهاد جهابذة فقهائهم، ولكن مازالت الآثار السلبية للعامل الثاني باقية بين أهل السنّة إلىٰ يومنا هذا.

وثمة ميزة خاصة لتاريخ الفقه، وهو أنّ تاريخه غير منفصل عن تاريخ التفسير والحديث، فإنّ الفقه الإسلامي يستمد مادته من المصدرين الأساسيين: الكتاب والسنّة، فعلىٰ من يدوّن تاريخ الفقه الإسلامي، الإلمام بتاريخ نزول القرآن الكريم وأسبابه، وتصنيفه إلىٰ آيات تهدف إلىٰ بيان المعارف العقلية، إلى أُخرىٰ تستعرض قصص الأنبياء وسيرتهم وجهادهم ضدّ المشركين، إلىٰ ثالثة تبيّن الأحكام الشرعية التي تدور عليها رحى الفقه.

ثمّ إنّ مصادر التشريع والمنابع التي يستنبط منها الفقه ليست أمراً متفقاً عليه بين كلا الفريقين، فهناك منابع ومصادر اتّفقت عليها الكلمة، وهناك منابع تعد مصدراً عند طائفة دون أُخرى، فالسنّة تعتمد على القياس والاستحسان وغيرهما، مع أنّ الشيعة تُنكرها، فصار هذا باعثاً للباحثين في تاريخ التشريع

الإسلامي إلى تخصيص فصول بغية بيان مصادر التشريع الأصلية والتبعية. وقد أفردنا لها تأليفاً مفرداً.

المناهج المتّبعة في تاريخ الفقه

وهناك منهجان متّبعان في تاريخ الفقه:

المنهج الأوّل: وهو النظر إلى الفقه بما أنّه كائن حي يمر بأطوار مختلفة:

وهي: ١.طور الطفولية، ٢. طور الشباب، ٣. طور الكهولة، ٤. طور الشيخوخة والهرم.

وهذه النظرة إلى الفقه تتناسب مع الفقه السني الذي أوصد باب الاجتهاد منذ أواسط القرن السابع فأخذ الفقه يمر بطور الشيخوخة والهرم واستنزاف قواه.

المنهج الثاني: تصنيف أطوار الفقه طبقاً للاسباب والاحداث التي رافقت تكامله وارتقاءه والتي اقترنت بأسماء جهابذة من الفقهاء الذين لعبوا دوراً هاماً في اغناء التراث الفقهي، وهذا النوع من التدوين الفقهي يتناسب مع الفقه الشيعي الذي لم يوصد باب الاجتهاد منذ ظهوره إلى يومنا هذا.

الفقه الإمامي الاثنا عشري

الفقه الإمامي تراث فكري فقهي تمتد جذوره إلى عصر الرسالة، وهو حصيلة جهود أُمّة كبيرة من شيعة آل البيت، الذين لم يألوا جهداً في استنباط الأحكام من الكتاب و السنّة، ومن أهمّ ما يُمتاز به هو سعة منابعه الحديثية بفضل العطاء الوافر للعترة الطاهرة والذي استمرّ من عصر الرسول إلىٰ عام ٢٦٠هـ فيما يفقد الفقه السني هذا المنبع الواسع الزاخر المستمر.

كما أنّ من أهمّ ميزاته هو صدوره عن لسان أئمّة أهل البيت عليهم السلام الذين

هم عيبة علم الرسول. و من هذه الشجرة الطيبة، الراسخة الجذور، أثمر الفقه الإمامي،وامتاز عن غيره بأمرين:

أ. السعة و الشمول من جهة المنبع.

ب. النقاوة وصفاء المصدر.

فقد صنّف فقهاؤهم طيلة ١٤ قرناً موسوعات وكتباً ورسائل فقهية لا يحصيها إلاّ الله سبحانه، فكان على كُتّاب تاريخ الفقه الإسلامي أن ينظروا إلى الفقه من منظار واسع حتى يقفوا على الفقه الشيعي وميزاته وتاريخه وتطوّره وأدواره.

وقد مرّ الفقه الإمامي بأدوار سبعة لكلّ ميزتُه الخاصة به و إليك الإشارة إلى عناوينها:

الدور الأوّل : عصر النشاط الحديثي والاجتهادي (١١ـ٢٦٠هـ).

الدور الثاني: عصر تبويب الحديث و منهجة الاجتهاد(٢٦٠ـ٤٦٠هـ).

الدور الثالث: عصر الركود (٤٦٠ـ نحو ٦٠٠هـ).

الدور الرابع: تجديد الحياة الفقهية (٦٠٠ـ١٠٣٠هـ).

الدورالخامس: ظهور الحركة الأخبارية(١٠٣٠ـ ١١٨٠هـ).

الدور السادس: تصعيد النشاط الفقهي (١١٨٠ـ ١٢٦٠هـ).

الدور السابع: عصر الإبداع الفقهي (١٢٦٠ـ إلى وقتنا الحاضر).

وقبل الخوض في بيان أدوار الفقه الإمامي نذكر العهد التأسيسي للفقه ونفرزه عن سائر الأدوار.

العهد التأسيسي للفقه

بُعث النبي ﷺ وسط مجتمع أمّي، والأُمّي من لا يُحسن القراءة والكتابة، منسوباً إلى الأُم باقياً على الحالة منذ يوم ولدته أُمّه، وكان عدد من يجيد القراءة والكتابة من قريش عند ظهور الإسلام لا يتجاوز سبعة عشر شخصاً، كما لا يتجاوز أحد عشر شخصاً بين الأوس و الخزرج في المدينة.[1]

وهذا هو الإمام علي عليه السلام يصف التخلّف الثقافي الذي فشا في تلك البيئة، بقوله: «إنّ الله بعث محمداً ﷺ وليس أحد من العرب يقرأ كتاباً ولا يدّعي نبوّة، فَسَاق الناس حتى بوّأهم محلّتهم،وبلّغهم منجاتهم، فاستقامت قناتهم، واطمأنّت صفاتهم».[2]

ولم يقتصر التخلّف على الصعيد الثقافي، بل شملت كافة الأصعدة الأخلاقية والاجتماعية، وكانت حياتُهم حياة قَبَليّة لا يحكمهم القانون، ولا يسود بينهم العدل، فهذا هو التاريخ يحكي لنا أنّ رجلاً من زبيد دخل مكة المكرمة في شهر ذي القعدة، وعرض بضاعة له للبيع، فاشتراها منه العاص بن وائل، وحبس عنه حقّه، فاستعدىٰ عليه الزبيدي قريشاً، فطلب منهم أن ينصروه على العاص، وقريش آنذاك في أنديتهم حول الكعبة، فنادى المشتكي بأعلى صوته وقال:

---

١. البلاذري : فتوح البلدان: ٤٥٧.

٢. نهج البلاغة، الخطبة٣٣.

يــا آل فهــر لمظلـــوم بضــاعتُــه ببطـن مكــة نـائي الــدار والنفـر
ومحرم أشعــث لم يقـض عمــرتَــه يـا للـرجال وبين الحِجْـر والحَجَـر
إنّ الحرام لِمَنْ تمّتْ كـــرامتـــــه ولا حـرام لثوب الفـاجر القـذر [١]

وتكْمُن عظمةُ النبي ﷺ في أنّه صَنَعَ من هذه الأُمّة المتخلّفة، أُمّة متحضّـرة سائرة في ركاب الحضارة، وأوجد مدينة فاضلة قلّما يشهد التاريخ لها من نظير.

كانت الجزيـرة العربية غاصّـة بالفساد من كـافة الجوانب، فكان يسـودهم الشرك وعبـادة الأوثـان، و وأد البنـات، وقتـل الأولاد، والإغـارة، وقتـل النفـس، والبخس في الميزان، إلى غير ذلك من مساوي الأخلاق ورذائلها.

و إصلاح أُمّة كهذه، رهن أمرين:

الأوّل: التشريع الكامل.

الثاني: المنفِّذ الحاذق الذي يكون في مستوى ذلك التشريع الكامل.

وماهذا الانقلاب الحضاري الذي طرأ عليهم إلاّ بفضل هذين الأمرين.

ومـن وقف على آيـات الأحكـام في القـرآن يجد فيها غـزارة المادة، وروعـة التشريع، وشمـولها للعبادات والمعـاملات والإيقاعـات والسياسـات، فنستعرض الموضوعات التي تبنّاها القرآن بالتشريع.

فمن العبادات: الصلاة، والصوم، والحج، و العمرة.

ومن المعاملات: البيع، والربا، و العقود كلّها.

ومن الإيقاعات: الطلاق، والإيلاء، والظهار، والوصية.

ومن السياسات: القصاص،والحدود، كحد الزاني والقاذف والسارق وقطّاع

---

١. البداية والنهاية: ١/ ٢٩٠؛ السيرة الحلبية: ١/ ١٣٢.

الطرق، ويلحق بها الجهاد بشتّى أقسامه، والعهود، والمواثيق المنعقدة بين الحاكم الإسلامي وخصومه، وأسرى الحرب، وغنائمها.

هذه نماذج من نظام التشريع القرآني الذي عدّ رصيداً في بناء الحضارة الإسلامية وإعادة الإنسان إلى الحياة الحرّة الكريمة ، وقد اعترف أعداء الإسلام بهذه الحقيقة، قال الدوزي: «وبعد ظهور الذي جمع قبائل العرب أُمّة واحدة، تقصد مقصداً واحداً، ظهرت للعيان أُمّة كبيرة، مدّت جناح ملكها من نهر تاج إسبانيا إلى نهر الجانج في الهند، ورفعت على منار الإشادة أعلام التمدّن في أقطار الأرض، أيام كانت أوروبا مظلمة بجهالات أهلها في القرون المتوسطة، ثمّ قال: إنّهم كانوا في القرون المتوسطة مختصين بالعلوم من بين سائر الأُمم، وانقشعت بسببهم سحائب البربرية التي امتدت إلى أُوربا حين اختلّ نظامها بفتوحات المتوحشين».

هذه هي لمحة خاطفة للعهد التأسيسي وتعقبه الأدوار الفقهية واحداً تلو الآخر.

أدوار الفقه الإمامي

١

الدور الأول:

عصر النشاط الحديثي والاجتهادي

(١١-٢٦٠هـ)

النبي ﷺ هو المرجع في الأحكام

النبي ﷺ هو المرجع الأوّل في الأحكام الشرعية، لأنّه ﷺ يفتي عن الله بوحيه المبين، فكلامه هو فصل الخطاب، والخطاب الفاصل، يجب اتّباعه، والأخذ بأوامره ونواهيه، سواء كان ذلك في مجال التشريع وبيان الأحكام، أو في مجال القضاء وفصل الخصومات، قال سبحانه: ﴿مٰا آتاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمٰا نَهاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ [1].

وقال سبحانه: ﴿فَلاٰ وَرَبِّكَ لاٰ يُؤْمِنُونَ حَتّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيما شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاٰ يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِمّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً﴾ [2].

فالآية الأُولى تشير إلى ضرورة اتباعه في الأحكام بما لها من أوامر ونواهي، والآية الثانية تشير إلى ضرورة التسليم لما قضى به في المخاصمات والمشاجرات والنزاعات.

وبكلمة جامعة لا يجوز التقدّم على النبي ﷺ مطلقاً و الّذي يشمل التقدّم في الرأي أيضاً، قال سبحانه: ﴿يٰا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاٰ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللهِ وَرَسُولِهِ

---

١. الحشر: ٧.

٢. النساء: ٦٥.

﴿وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [١].

إنّ قوله سبحانه: ﴿أَفَحُكْمَ الْجاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ حُكْماً لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [٢]، دلّ على أنّ الحكم يُصنَّف إلى صنفين: حكم جاهلي، وحكم إلهي. فما لم يكن بإذن من الله سبحانه، فهو جاهلي، ولا يعلم ذلك الإذن إلاّ عن طريق النبي ﷺ الذي يتولّى الوحيُ مهمةَ إيصاله إليه من ربه، وجاء في موارد ثلاثة لزوم الحكم بما أنزل الله دون غيره، وأنّ مَن لم يمتثل ذلك فهو كافر وظالم وفاسق، كما يقول سبحانه: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِما أَنْزَلَ اللهُ فَأُولئِكَ هُمُ الْكافِرُونَ﴾ [٣] وفي مكان آخر: ﴿فَأُولئِكَ هُمُ الظّالِمُونَ﴾ [٤] وفي موضع ثالث: ﴿فَأُولئكَ هُمُ الْفاسِقُونَ﴾. [٥]

وهذا ممّا لا خلاف فيه بين المسلمين، والآيات الواردة في هذا الهدف كثيرة، نكتفي بهذا المقدار منها.

العترة هم المرجع في الأحكام بعد رحيله ﷺ

إذا كان النبي ﷺ هو المرجع العلمي للمسلمين في المعارف والأحكام، فطبيعة الحال تقتضي أن يكون هناك من يملأ هذا الفراغ بعد رحيله ﷺ ولا يصحّ في منطق العقل ترك الأُمّة سدىً، لئلاّ يأخذوا بحكم الجاهلية مكان الحكم الإلهي.

وهذا المرجع هو العترة الطاهرة، قرناءُ القرآن بتنصيص من النبي ﷺ كما في حديثه ﷺ حيث قال: «إنّي تارك فيكم الثقلين: كتاب الله، وعترتي ما إن تمسّكتم بهما لن تضلّوا».

وحديث الثقلين، حديث متواتر، رواه الفريقان في كتبهم، وألّف غير واحد

---

١. الحجرات: ١.

٢ و ٣ و ٤ و ٥. المائدة: الآيات: ٥٠، ٤٤، ٤٥، ٤٧.

رسائل وكتباً مستقلة في طرقه وأسناده ومفاده. [١]

والجدير بالمسلمين التركيز على مسألة تعيين المرجع العلمي بعد رحيل النبي ﷺ، إذ لا يسوغ في منطق العقل أن يترك صاحب الرسالة، الأُمّةَ المرحومة بلا راع،وهو يعلم أنّه ﷺ برحيله سوف يواجه المسلمون حوادث مستجدة ووقائع جديدة تتطلب أحكاماً غير مبيّنة في الكتاب والسنّة، فلا محيص عن وجود مرجع علمي يُحلّ مشاكلها ويذلّل أمامها الصعاب، وقد قام ﷺ ببيان من يتصدّى لهذا المنصِب بحديث الثقلين الذي ألقاه في غير موقف من المواقف.

ومن العجب أنّ كثيراً من المسلمين يطرقون كلّ باب إلاّ باب أئمّة أهل البيت عليهم السلام مع أنّه ﷺ لم يذكر شيئاً ممّا يرجع إلى غير هؤلاء، فلا أدري ما هو وجه الإقبال على غيرهم والإعراض عنهم؟!

أُولو الأمر

أمر سبحانه بإطاعة الرسول وأُولي الأمر، بأمر واحد،قال:﴿يا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِنْ تَنازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَومِ الآخِرِ ذٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْويلاً﴾. [٢]

تأمر الآية بإطاعة الله كما تأمر بإطاعة الرسول، وأُولي الأمر، لكن بتكرار الفعل، أعني: ﴿وَأَطِيعُوا الرَّسول﴾ وما هذا إلاّ لأنّ سنخ الإطاعتين مختلف،

---

١. لاحظ صحيح مسلم: ٧/ ١٢٢و ١٢٣، باب فضائل علي، طبعة محمد علي صبيح، مصر؛ سنن الترمذي:٢/ ٣٠٨؛ مستدرك الصحيحين:٣/ ١٠٩ و ١٤٨؛ مسند أحمد: ٣/ ١٧ و ٢٦ وج٤/ ٣٧١ و ج٥/ ١٨١؛ الطبقات الكبرى لابن سعد:٢/ ٢، القسم ٢؛ حلية الأولياء لأبي نعيم:١/ ٣٥٥ و ج٩/ ٦٤؛ كنز العمال:١/ ٤٧و٩٦، وغيرها.

٢. النساء: ٥٩.

فإطاعته سبحانه واجبة بالذات، وإطاعة النبي وأُولي الأمر واجبة بإيجابه سبحانه.

والمهم في الآية هو التعرّف على المراد من أُولي الأمر، فقد اختلف فيه المفسّرون على أقوال ثلاثة:

أ. الأُمراء.

ب. العلماء.

ج. صنف خاصّ من الأُمّة، وهم أئمّة أهل البيت عليهم السلام.

وبما أنّه سبحانه أمر بإطاعة أُولي الأمر إطاعة مطلقة غير مقيّدة بما إذا لم يأمر بالمعصية، فيمكن استظهار أنّ أُولي الأمر ــ المشار إليهم في الآية والذين وجبت طاعتهم على الإطلاق ـ معصومون من المعصيّة والزلل كالنبي صلى الله عليه وآله وسلم حتى صارا مقترنين بالطاعة في الآية.

وبعبارة أُخرى: إنّه سبحانه أوجب طاعتهم على الإطلاق، كما أوجب طاعة نفسه، وطاعة رسوله، ولا يجوز أن تُوجَب طاعة أحد على الإطلاق إلاّ من ثبتت عصمتُه، وعلم أنّ باطنه كظاهره، وأُمن منه الغلط والأمر بالقبيح، وليس ذلك بحاصل في الأُمراء، ولا العلماء سواهم. جلَّ سبحانه عن أن يأمر بطاعة من يعصيه، أو بالانقياد للمختلفين في القول والفعل، لأنّه محال أن يُطاع المختلفون، كما أنّه محال أن يجتمع ما اختلفوا فيه. [1]

وقد أوضحه الرازي في تفسيره، وذهب إلى أنّ المقصود من أُولي الأمر، هم المعصومون من الأُمّة وإن لم يخض في التفاصيل، ولم يستعرض مصاديقهم، لكنّه

١. مجمع البيان: ٣/ ٦٤، ط صيدا.

بيّنه بصورة واضحة، وقال:

والدليل على ذلك، أنّ الله تعالى أمر بطاعة أُولي الأمر على سبيل الجزم في هذه الآية، ومن أمر الله بطاعته على سبيل الجزم والقطع لابدَّ وأن يكون معصوماً عن الخطأ، إذ لو لم يكن معصوماً عن الخطأ كان بتقدير إقدامه على الخطأ يكون قد أمر الله بمتابعته، فيكون ذلك أمراً بفعل ذلك الخطأ، والخطأ لكونه خطأً منهي عنه، فهذا يفضي إلى اجتماع الأمر والنهي في الفعل الواحد بالاعتبار الواحد، وأنّه محال.

فثبت أنّ الله تعالى أمر بطاعة أُولي الأمر على سبيل الجزم، وثبت أنّ كلَّ من أمر الله بطاعته على سبيل الجزم وجب أن يكون معصوماً عن الخطأ، فثبت قطعاً أنّ أُولي الأمر المذكور في هذه الآية، لابدّ وأن يكون معصوماً. [١]

روى ابن شهر آشوب عن تفسير مجاهد، أنّ هذه الآية نزلت في أمير المؤمنين حين خلفه رسول الله في المدينة، فقال: «يا رسول الله، تخلفني على النساء والصبيان؟» فقال: «يا عليّ، أما ترضىٰ أن تكون مني بمنزلة هارون من موسىٰ، إلاّ أنّه لا نبي بعدي، حين قال: اخلفني في قومي وأصلح، فقال الله: ﴿وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ﴾».

وقد أخذت الأُمّة عن أئمّة أهل البيت عليهم السلام خصوصاً الصادق والباقر عليهما السلام في مجال المعارف و الأحكام ما ملأ كتب الفريقين، أمّا الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام فحدِّث عنه ولا حرج، وأمّا الحسنان فقد قسا عليهما الزمان، وحالت الحكومة الأُموية بينهما و بين الأُمّة، وبالتالي فقد قلَّت الرواية عنهما، وعن علي بن الحسين عليه السلام أيضاً.

١. الفخر الرازي: التفسير الكبير: ١/ ١٤٤.

العترة عيبة علم الكتاب والسنّة

ترك النبي ﷺ الكتاب العزيز، وقد رسمت فيه الخطوط العريضة للأحكام التي كانت بحاجة إلىٰ تبيين وتفسير إذ فيها المجمل و المطلق و العام، ولا يُطّلع على حقيقتها إلاّ ببيان شارح، كما أنّه ترك السنّة وهي في صدور الحفاظ الذين تفرّقوا في البلاد، وقد أكلت حروب الردة جماعة منهم . أضف إلى ذلك أنّ قسماً من السنّة وضعت المبادئ العامة دون تفسيرها وبيانها.

كان الوضع على هذا المنوال حتى مُنعت كتابة الحديث وتدوينه والتحدّث به، ولا شك أنّ المنع لم يكن لدوافع شرعية، بل كان لدوافع سياسية، وقد مُني من جرّاء ذلك، جمهور المسلمين بخسارة جسيمة، إلاّ أنّ الشيعة لم يعيروا أهمية لهذا الحظر، بل دأبوا علىٰ كتابة السنّة وتدوينها ونشرها بين أبنائهم، علماً منهم بأنّ السنّة وحي كالقرآن الكريم لا يمكن التساهل فيها دون نشرها وإلاّ تذهب أدراج الرياح، و المسلمون خلال الأعصار المتعاقبة لمسوا الحاجة إلى تدوين السنّة والاطّلاع عليها، لأنّ ما في الصدور يذهب بذهاب أصحابها.

قامت أئمّة الشيعة وأتباعهم بوجه منع كتابة السنّة، ودوّنوا الحديث من غير اكتراث بحظر المنع، منهم:

١ . الإمام أمير المؤمنين عليه السلام

قال النجاشي في ترجمة محمد بن عذافر الصيرفي، عن أبيه، قال: كنت مع الحكم بن عتيبة، عند أبي جعفر، فجعل يسأله، و كان أبو جعفر عليه السلام له مُكْرِماً، فاختلفا في شيء، فقال أبو جعفر عليه السلام : «يا بُنيّ قم فأخرج كتاب علي عليه السلام »

فأخرج كتاباً مدروجاً عظيماً، ففتحه و جعل ينظر حتى أخرج المسألة، فقال أبو جعفر عليه السلام: «هذا خط علي عليه السلام و إملاء رسول الله صلى الله عليه وآله» وأقبل على الحكم و قال: «يا أبا محمد اذهب أنت وسلمة (بن كهيل) و «أبو المقدام» حيث شئتم يميناً وشمالاً، فوالله لا تجدون العلم أوثق منه عند قوم كان ينزل عليهم جبرئيل عليه السلام». [1]

وقد أخرج العلاّمة الشيخ علي الأحمدي في موسوعته قسماً من الروايات المنتهية إلى كتاب علي عليه السلام المبثوثة في الكتب الحديثية لا سيما كتاب الوسائل. [2]

وكان للإمام كتاب آخر يدعىٰ «الصحيفة» جمع فيه ما يرجع إلى الديات، وقد قام أيضاً الشيخ الأحمدي بجمع ما روي عن تلك الصحيفة في غير واحد من الصحاح والمسانيد. [3]

وبذلك يظهر انّ ما رواه البخاري في باب كتابة العلم، ـ عن أبي جحيفة قال: قلت لعلي هل عندكم كتاب؟ قال: لا، إلاّ كتاب الله، أو فهم أعطيه رجل مسلم، أو ما في هذه الصحيفة» قال: قلت: وما في هذه الصحيفة؟ قال: «العقل، وفكاك الأسير، ولا يقتل مسلم بكافر» [4] ـ ليس على صواب لوجهين:

أوّلاً: فقد كان للإمام كتاب وراء الصحيفة جاءت ميزاته وخصوصياته في رواية أئمة أهل البيت وكان طوله ٧٠ ذراعاً وضخامته كفخذ الإبل وكان الكتاب مدروجاً.

ثانياً: أنّ الصحيفة اشتملت على أحكام كثيرة في باب القصاص والديات،

---

١. النجاشي: الرجال: الترجمة ٩٦٧.

٢. لاحظ مكاتيب الرسول: ١/ ٧٢ ـ ٨٩.

٣. لاحظ مكاتيب الرسول: ١/ ٦٦ـ٧١.

٤. البخاري: الصحيح: ١/ ٣٨، باب كتابة العلم، الحديث الأوّل.

ولم تكن مقتصرة على هذه الجمل الثلاث.

٢. أبو رافع الصحابي

وقد تبعت الشيعةُ الإمامَ علي بن أبي طالب عليه السلام في تدوين السنّة و لم يعيروا للمنع وزناً، و هذا أبو رافع الصحابي الجليل من شيعة علي بن أبي طالب، الذي أعتقه رسول الله عندما بشّر بإسلام العباس، يقول النجاشي:

ولأبي رافع كتاب السنن والأحكام والقضايا. [١]

ويظهر من النجاشي أنّ الكتاب كان مشتملاً على أبواب الصلاة والصيام والحج والزكاة والقضايا.

٣. علي بن أبي رافع التابعي

وقد اقتفى أثر أبيه في تدوين السنّة، ابنه علي بن أبي رافع ذلك التابعي الذي كان من خيار الشيعة، وكان له صحبة مع أمير المؤمنين، وكان كاتباً له، وحفظ كثيراً، وجمع كتاباً في فنون من الفقه، الوضوء والصلاة وسائر الأبواب. [٢]

٤. عبيد الله بن أبي رافع التابعي

فقد ألّف عبيد الله بن أبي رافع كتاباً في أقضية أمير المؤمنين، ذكره الشيخ في «الفهرست» وذكر سنده إليه. [٣] فإذن أبو رافع وولداه: علي و عبيد الله حفظوا السنّة النبوية التي ورثوها عن الإمام أمير المؤمنين والصحابة والتابعين.

---

١. النجاشي: الرجال: ١/ ٦٥، الترجمة ١.

٢. النجاشي: الرجال: ١/ ٦٥، الترجمة ١.

٣. الطوسي: الفهرست: برقم ٤٤١.

نعم زعم شيخنا التستري أنّ هناك كتاباً واحداً نسبه النجاشي إلىٰ علي بن أبي رافع، و الشيخ إلى عبيد الله بن أبي رافع والله العالم. [١]

ولم يعلم مدركه لهذا الادّعاء إذ لا مانع من وجود كتابين، أحدهما يرجع إلى أبواب الفقه كما هو صريح النجاشي، والآخر يرجع إلى باب أقضية الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام.

٥. ربيعة بن سُميع التابعي

قال النجاشي عند ذكر الطبقة الأُولىٰ من مؤلّفي الحديث: ربيعة بن سميع عن أمير المؤمنين عليه السلام، له كتاب في زكوات النعم. [٢]

ثمّ ذكر سنده إلى الكتاب ناقلاً عن ربيعة بن سميع، عن أمير المؤمنين أنّه كتب له في صدقات النعم وما يؤخذ من ذلك، وهذا صريح في أنّ الإمام أملاه وكتبه ربيعة، أو كتبه نفس الإمام ودفعه إليه.

٦. عبيد الله بن الحر الجعفي، الفارس الفاتك، الشاعر التابعي

قال النجاشي: له نسخة يرويها عن أمير المؤمنين عليه السلام.

وروى النجاشي أيضاً بسنده عنه أنّه سُئل الحسين بن علي عن خضابه، فقال عليه السلام: «أما إنّه ليس كما ترون إنّما هو حناء وكتم». [٣]

هذه هي الطبقة التي دونت السنّة النبوية المأخوذة عن لسان أمير المؤمنين عليه السلام وسائر الصحابة والتابعين.

---

١. التستري: قاموس الرجال:٦، ترجمة علي بن أبي رافع.

٢. النجاشي: الفهرست:برقم ٢.

٣. النجاشي:١/ ٧١ برقم ٥، والكتم بالتحريك نبت يخلط بالحناء، ويختضب به الشعر، فيبقى لونه.

بيد أنّ هذا الوضع لم يدم طويلاً، فقد كثرت الضغوط على الشيعة في عهد الأُمويين خاصة في عهد معاوية وعبد الملك بن مروان وابنائه، فقام الأئمّة الثلاثة الّذين أعقبوا الإمام أمير المؤمنين علياً عليه السلام ، أعني: الحسن بن علي، والحسين بن علي، و علي بن الحسين عليهم السلام ، بأعباء الإمامة وإرشاد الأُمّة في أجواء مشحونة بالعداء والبغض لأئمّة أهل البيت عليهم السلام ، فلم تسنح الفرصُ للشيعة من أن ينهلوا من معين علوم الأئمّة عليهم السلام إلاّ قليلاً منهم، وسيوافيك أسماء من أخذ الفتيا عنهم في تلك الظروف العصيبة.

ومع هذا الضغط، فقد ذكر الشيخ الطوسي أصحاباً للإمام الحسن عليه السلام الذين صاحبوه ورووا عنه، فبلغوا ٥٢ بين صحابي وتابعي ارتوَوا من معين علمه الفيّاض.

كما ذكر أصحاب الإمام الحسين بن علي عليهما السلام وفق الحروف الهجائية، فبلغوا ١٠٩ بين صحابي وتابعي، وقد رووا عنه في مختلف المجالات من العقائد والفقه والتفسير.

وعلى الرغم من أنّ الإمام السجاد كان محاطاً بالعيون وعلى مرأى ومسمع من حكّام بني أُميّة، لكنّه ترك تراثاً علمياً في العقائد والحقوق تتجسد في «الصحيفة السجادية» ورسالة «الحقوق».

أمّا الصحيفة، فهي في فصاحة ألفاظها، وبلاغة معانيها، و الأساليب العجيبة في طلب عفوه وكرمه سبحانه، فريدة في بابها ليس لها مثيل .

وأمّا الرسالة، فقد رواها الحسن بن شعبة في «تحف العقول» كما رواها الصدوق في «خصاله»، وهي من جلائل الرسائل في أنواع الحقوق، فيذكر الإمام فيها حقوق الله سبحانه على الإنسان، وحقوق نفسه عليه، وحقوق أعضائه من

اللسان والسمع والبصر و الرجلين واليدين و البطن و الفرج، ثمّ يذكر حقوق الأفعال من الصلاة والصوم والحج والصدقة والهدي، ثمّ يذكر حقوق الأئمّة، والرعية وحقّ الرحم حتى بلغت ٥٠ حقاً آخرها حقّ الذمة.[1]

وقد ذكر الطوسي في رجاله الرواة عنه عليه السلام ورتّبها على حروف المعجم، فبلغ ١٧٥ شخصاً، وهم بين صحابي وتابعي.[2]

***

عصر الإمامين الباقر والصادق عليهما السلام

ولمّا ضعفت الدولة الأُموية، وازدادت القلاقل و الفتن ضدها سنحت الفرصةُ للإمامين الباقر والصادق عليهما السلام، لبثِّ السنّة النبوية، وتزويد الأُمّة بالعلوم الإلهية، فصارت الشيعة تتحمل عناء السفر والحضور عند الأئمّة بغية النهل من معين علومهم العذب، وضبط كلّ ما سمعوه في كتبهم مادامت الفرصة متاحة، فبثّا من العلوم ما يشدّ إليه الركبان.

يقول البحّاثة الكبير شيخنا الطهراني:

كانت الشيعة تتوصّل بكلّ طريقة للتشرّف بحضرتهم، وأخذ معالم دينهم عنهم، وتدوينها في كتبهم، والفاحص في أحوال الرواة وأخبارهم يعرف مبلغ اهتمامهم في تلقّي أنواع المعارف والعلوم من معادنها في السر والعلانية حسب الاقتضاءات الزمنيّة، ويطّلع على مقدار رعايتهم للآداب في حالات حضور مجالس أئمتهم، وعرض المسائل عليهم وسماع الأجوبة عنهم، و إعدادهم ما يلزمهم لذلك من الأدوات بوضع الألواح من آبنوس والاميال في أكمامهم، ثمّ

١. انظر تحف العقول: ١٨٤ـ١٩٥؛ الخصال: ٥٦٤ـ ٥٧٠، في أبواب الخمسين.

٢. الطوسي: الرجال: ٨١ـ١٠٢.

مبادرتهم إلى كتابة ما سمعوه عنهم بعينه صيانة من وقوع السهو، أو عروض نسيان، أو حصول تغيير في المعنىٰ بتغيير اللفظ، ثمّ كيفيّة تحفّظهم على كتبهم بعدم إخراجها إلى من لا يثقون به خوفاً من دسّه شيئاً فيها، وعدم جعل سبيلها كسائر التركة، ثمّ يخرجونها عنهم في حياتهم إلى من يثقون بديانته وصلاحه وأهليّته أو يوصون بها إليه، كلّ ذلك منهم طوعاً و انقياداً لطلبات مواليهم المعصومين عليهم السلام.[١]

قال ابن حجر في ترجمة الإمام الباقر عليه السلام: سُمي بذلك لأنّه من بقر الأرض، أي شقّها، و إثارة مخبآتها ومكامنها، فكذلك هو أظهر من مخبآت كنوز المعارف وحقائق الأحكام، والحكم و اللطائف ما لا يخفى إلاّ على منطمس البصيرة أو فاسد الطوية والسريرة، ومن ثمّ قيل فيه هو باقر العلم وجامعه وشاهر علمه ورافعه.[٢]

وقال ابن كثير: أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، وسمي بالباقر لبقره العلوم، واستنباطه الحكم، كان ذاكراً خاشعاً صابراً، وكان من سلالة النبوة، رفيع النسب، عالي الحسب، وكان عارفاً بالخطرات، كثير البكاء والعبرات، معرضاً عن الجدال والخصومات.[٣]

وقال ابن خلكان: أبو جعفر محمد بن زين العابدين، الملقّب بالباقر، أحد الأئمة الاثني عشر في اعتقاد الإمامية، وهو والد جعفر الصادق . كان الباقر عالماً سيداً كبيراً، و إنّما قيل له الباقر لأنّه تبقّر في العلم أي توسّع، وفيه يقول الشاعر:

يا باقر العلم لأهل التقى   وخير مَنْ لبّىٰ على الأجْبُلِ[٤]

---

١. الطهراني: الذريعة:١/ ١٥ـ١٦، المقدّمة.

٢. الصواعق المحرقة:٢٠١.

٣. البداية و النهاية:٩/ ٣٠٩.

٤. وفيات الأعيان:٤/ ١٧٤.

وهذا هو محمد بن طلحة، يعرّف الإمام الصادق بقوله: هو من عظماء أهل البيت وساداتهم ذو علوم جمّة، وعبادة موفورة، وزهادة بيّنة، وطراوة كثيرة، يتبع معاني القرآن الكريم، ويستخرج من جواهره، ويستنتج عجائبه، ويقسم أوقاته على أنواع الطاعات بحيث يحاسب عليها نفسه، رؤيته تذكّر بالآخرة، واستماع كلامه يُزهد في الدنيا، والاقتداء بهداه يورث الجنة، نور قسماته شاهد أنّه من سلالة النبوّة، وطهارة أفعاله تصدع أنّه من ذرّية الرسالة: نقل عنه الحديث واستفاد منه العلم جماعة من أعيان الأئمّة وأعلامهم، مثل: يحيى بن سعيد الأنصاري، وابن جريج، ومالك بن أنس، والثوري، وابن عيينة، وأبي حنيفة، وشعبة، وأبي أيوب السجستاني وغيرهم، وعدّوا أخذهم عنه منقبة شُرّفوا بها وفضيلة اكتسبوها. [1]

ولقد امتدّ عصر الإمام الصادق عليه السلام من نهاية خلافة عبد الملك بن مروان إلى منتصف خلافة المنصور الدوانيقي، أي من سنة ٨٣هـ إلى سنة ١٤٨هـ. فقد أدرك فترة طويلة من العصر الأُموي، وعاصر كثيراً من ملوكهم وشاهد من جورهم أعنف أشكاله، وقضى شطراً من حياته حتى الحادية عشرة مع جدّه زين العابدين، وحتّى الثانية والثلاثين مع أبيه الباقر، ونشأ في ظلّهما يتغذّى من تعاليمهما حتى تكاملت تربيته الدينية، وتخرّج من تلك المدرسة الجامعة، فاختصَّ بعد وفاة أبيه بالزعامة سنة ١١٤هـ، واتسع نشاط مدرسته في المدينة ومكة والكوفة وغيرها من الأمصار الإسلامية.

وقد اتّسم العصر المذكور الذي عاشه الإمام بظهور الحركات الفكريّة، ووفود الآراء الاعتقادية الغريبة إلى المجتمع الإسلامي، لا سيما حركة الغلاة الهدّامة، الذين تطلّعت رؤوسهم في تلك العاصفة الهوجاء إلى بث روح التفرقة بين

---

١. كشف الغمة: ٢/ ٣٦٨، وفيه أيوب السختياني، و الصحيح ما ذكرناه.

المسلمين، وترعرع بُناة أفكارهم في ذلك العصر ليقوموا بمهمّة الانتصار لمبادئهم التي قضىٰ عليها الإسلام، فقد اغتنموا الفرصة في بث تلك الآراء الفاسدة في المجتمع الاسلامي، فكانوا يبثّون الأحاديث الكاذبة ويسندونها إلى حملة العلم من آل محمد، ليُغروا به العامّة، فكان المغيرة بن سعيد يدّعي الاتّصال بأبي جعفر الباقر، ويروي عنه الأحاديث المكذوبة، فأعلن الإمام الصادق عليه السلام كذبه والبراءة منه، وأعطى لأصحابه قاعدة في الأحاديث التي تُروىٰ عنه فقال: «لا تقبلوا علينا حديثاً إلاّ ما وافق القرآن والسنّة، أو تجدون معه شاهداً من أحاديثنا المتقدمة».

لقد أضمر الخصوم لا سيما حكام بني أُمية وبني العباس العداء لأئمّة أهل البيت عليهم السلام وسعوا إلى تضييق الخناق عليهم للحد من اختلاف الناس إليهم، إلاّ أنّه شاءت الأقدار الالهية كسر هذا الطوق الذي فرضوه حيث سنحت الفرصة لهم عليهم السلام لنشر السنّة النبوية وبثها في أوساط المسلمين، ولما كان ذلك ثقيلاً على خصومهم عمدوا إلى بث الأكاذيب على لسان الأئمّة عليهم السلام بغية تشويه سمعتهم والتقليل من شأنهم.

إنّ الإمام عليه السلام شرع بالرواية عن جدّه وآبائه عندما اندفع المسلمون إلى تدوين أحاديث النبي صلى الله عليه وآله بعد الغفلة التي استمرت إلى عام ١٤٣ هـ حيث اختلط آنذاك الحديث الصحيح بالضعيف، وتسرّبت إلى السنّة، العديد من الروايات الإسرائيلية والموضوعة من قبل أعداء الإسلام من الصليبيّين و المجوس بالإضافة إلى المختلقات والمجعولات علىٰ يد علماء السلطة ومرتزقة البلاط الأُموي.

ومن هنا فقد وجد الإمام عليه السلام أن أمر السنّة النبوية قد بدأ يأخذ اتجاهات خطيرة وانحرافات واضحة، فعمد عليه السلام للتصدّي لهذه الظاهرة الخطيرة، وتفنيد الآراء الدخيلة على الإسلام، والتي تسرّب الكثير منها نتيجة الاحتكاك الفكري

والعقائدي بين المسلمين وغيرهم.

إنّ تلك الفترة شكّلت تحدّياً خطيراً لوجود السنّة النبوية، وخلطاً فاضحاً في كثير من المعتقدات، لذا فإنّ الإمام عليه السلام كان بحق سفينة النجاة في هذا المعترك العسير.

إنّ علوم أهل البيت عليهم السلام متوارثة عن جدّهم المصطفى محمد صلى الله عليه وآله وسلم الذي أخذها عن الله تعالى بواسطة الأمين جبرئيل عليه السلام فلا غرو أن تجد الأُمّة ضالّتها فيهم عليهم السلام وتجدهم مرفأ أمان في هذه اللجج العظيمة، ففي ذلك الوقت حيث أخذ كلٌّ يحدّث عن مجاهيل ونكرات، ورموز ضعيفة، ومطعونة أو أسانيد مشوشة، تجد أنّ الإمام الصادق عليه السلام يقول: «حديثي حديث أبي، وحديث أبي حديث جدّي، وحديث جدّي حديث علي بن أبي طالب، وحديث علي حديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وحديث رسول الله قول الله عزّ وجلّ».[1]

هذا غيض من فيض وقليل من كثير ممّا قيل في حقّ الإمامين الباقر والصادق عليهما السلام ولو أردنا أن نستعرض كلمات المؤرّخين والمحدّثين حول الأئمّة الاثني عشر لضاق بنا المجال، فلنكتفِ بهذا المقدار، و من أراد التفصيل فعليه مراجعة الكتب المؤلّفة في هذا الخصوص.

لقد أسّس الإمامان جامعة علمية كبيرة في مهد الحديث تخرج منها الآلاف من المحدّثين حفظوا السنّة النبوية، وهذا ممّا أذعن به التاريخ، وصرّح به المؤرّخون.

ونأتي هنا بنصين:

١. ما ذكره النجاشي في ترجمة «الحسن بن علي بن زياد الوشاء البجلي

---

١. الوسائل: ١٨ / ٥٨، الباب ٨ من أبواب صفات القاضي، الحديث ٢٦.

الكوفي» من أصحاب الرضا، قال ـ ناقلاً عن أحمد بن محمد بن عيسى ـ : خرجت إلى الكوفة في طلب الحديث، فلقيت بها الحسن بن علي الوشّاء، فسألته أن يُخرج لي كتاب العلاء بن رزين القلاء وأبان بن عثمان الأحمر، فأخرجهما إليّ، فقلت له: أُحب أن تجيزهما لي، فقال لي: يا رحمك الله، وما عجلتك، اذهب فاكتبهما واسمع من بعد، فقلت: لا آمن الحدثان، فقال: لو علمت أنّ هذا الحديث يكون له هذا الطلب لاستكثرت منه، فإنّي أدركت في هذا المسجد تسعمائة شيخ، كلّ يقول حدّثني جعفر بن محمد عليه السلام وكان هذا الشيخ عيناً من عيون هذه الطائفة، وله كتب، منها: ثواب الحج، و المناسك، و النوادر. [١]

٢. ما ذكره المفيد في «إرشاده» وقال: نقل الناس عن الصادق عليه السلام من العلوم ما سارت به الركبان، وانتشر ذكره في البلدان، ولم ينقل عن أحد من أهل بيته العلماء ما نقل عنه، ولالقى أحد منهم من أهل الآثار ونقلة الأخبار ولانقلوا عنهم كما نقلوا عن أبي عبد الله، فإنّ أصحاب الحديث قد جمعوا أسماء الرواة عنه من الثقات على اختلافهم في الآراء و المقالات، فكانوا أربعة آلاف رجل. [٢]

وقال ابن شهر آشوب في «مناقبه»: ونقل عن الصادق عليه السلام من العلوم ما لم ينقل عن أحد، وقد جمع أصحاب الحديث أسماء الرواة من الثقات على اختلافهم في الآراء والمقالات، فكانوا أربعة آلاف رجل. [٣]

وقال شيخنا الفتّال: قد جمع أصحاب الحديث أسماءَ الرواة عن الصادق عليه السلام من الثقات على اختلافهم في الآراء والمقالات، فكانوا أربعة آلاف. [٤]

---

١. رجال النجاشي: ١/ ١٣٨ـ ١٣٩.

٢. المفيد: الإرشاد: ٢٨٨.

٣. ابن شهر آشوب: المناقب: ٤/ ٢٤٧.

٤. محمد بن علي الفتّال: روضة الواعظين: ١٧٧.

وقد قام أبو العباس المعروف بـ «ابن عقدة» (المتوفّى ٣٣٣هـ) بضبط أصحاب الإمام الصادق عليه السلام في كتاب خاص له قال النجاشي في ترجمته: له كتاب الرجال، وهو كتاب من روى عن جعفر بن محمد. [١]

وقال بمثله الشيخ في «الفهرست». [٢]

وممّا يؤسف له انّ «رجال ابن عقدة» قد تلاعبت به يد الأقدار، فلم يصل إلينا شيء منه بعد الفحص عنه في فهارس المكتبات، وقد اتصلنا بعلماء اليمن، فلم يحدّثوا عنه شيئاً.

نعم قام الشيخ الطوسي بإخراج أسماء الذين رووا عن الإمام الصادق عليه السلام مع أنّ المذكور في رجاله لا يتجاوز عن ثلاثة آلاف وخمسين رجلاً.

وعلى أيّة حال فجهاد الإمام الصادق عليه السلام يُعرب عن بث السنّة ونشرها في عصره على كافة الأصعدة حيث لم يقتصر مجلسه على الشيعة فحسب، بل عمّ حتى المخالفين في العقائد.

***

الأُصول و المصنّفات

كان لأصحابنا في عصر الصادقين عليهما السلام و ما تلاه لونان من التأليف، يسمّى أحدهما بالأُصول، والآخر بالتصنيف، و يعرب عن ذلك تعبير الشيخ الطوسي في ديباجة الفهرست، قال: «أمّا بعد فإنّي لمّا رأيت جماعة من شيوخ طائفتنا من أصحاب الحديث عملوا فهرست كتب أصحابنا وما صنّفوه من التصنيفات ورووه

١. النجاشي: الرجال: رقم ٢٣٣.

٢. الشيخ: الفهرست: ٥٣.

من الأُصول، ولم يتعرّض أحد منهم لاستيفاء جميعه إلاّ ما قصده أبو الحسين أحمد ابن الحسين بن عبيد الله رحمه الله، فإنّه قد صنّف كتابين ذكر في أحدهما المصنّفات وفي الآخر، الأُصول، واستعرضهما على مبلغ ما وجد وقدر عليه».

والفرق بين الأُصول و المصنّفات هو أنّ احتمال الخطأ والغلط والسهو والنسيان أقل بكثير منها في المصنّفات، وذلك لأنّ الأصل يمتاز عن المصنّف بأنّه يشمل الأحاديث التي رواها الراوي عن المعصوم مباشرة أو بواسطة واحدة، بخلاف المصنّف، فإنّه في سعة من ذلك الالتزام.

وقام تلامذة أئمّة أهل البيت بتأليف أُصول أربعمائة ما بين عصر الإمام الصادق عليه السلام إلى نهاية عصر الإمام الرضا عليه السلام، وهذه الأُصول هي المعروفة بالأُصول الأربعمائة، فلها من الاعتبار والمكانة ما ليس لغيرها.

قال: السيد رضي الدين علي بن طاووس (المتوفّى٦٦٤هـ): حدّثني أبي قال: كان جماعة من أصحاب أبي الحسن من أهل بيته وشيعته يحضرون مجلسه، ومعهم في أكمامهم ألواح آبنوس لطاف وأميال، فإذا نطق أبو الحسن عليه السلام بكلمة، أو أفتى في نازلة، أثبت القوم ما سمعوه منه في ذلك. [1]

قال شيخنا بهاء الدين العاملي في «مشرق الشمسين»: إنّه قد بلغنا من مشايخنا رحمهم الله أنّه كان من دأب أصحاب الأُصول إنّهم إذا سمعوا عن أحد من الأئمّة حديثاً بادروا إلى إثباته في أُصولهم، لئلاّ يعرض لهم نسيان لبعضه أو كله بتمادي الأيام. [2]

وبمثله قال السيد الداماد في «رواشحه». [3]

---

١. ابن طاووس: مهج الدعوات: ٢٢٤، الطبعة الحجرية.

٢. بهاء الدين العاملي: مشرق الشمسين. كما في الذريعة: ٢/ ١٢٨.

٣. السيد الداماد: الرواشح: ٩٨، الراشحة ٢٩.

قال المحقّق الحلّي: كتب من أجوبة مسائله ـ أي جعفر بن محمد عليهما السلام ـ أربعمائة مصنّف سمّوها أُصولاً. [١]

قال الطبرسي في «إعلام الورىٰ بأعلام الهدىٰ»: روى عن الإمام الصادق عليه السلام من مشهور أهل العلم أربعة آلاف إنسان، وصُنّف من جواباته في المسائل أربعمائة كتاب تسمى «الأُصول» رواها أصحابه وأصحاب ابنه موسى الكاظم عليه السلام. [٢]

وقال الشهيد الثاني في «شرح الدراية»: وكان قد استقر أمر المتقدّمين علىٰ أربعمائة مصنَّف لأربعمائة مصنِّف سمّوها الأُصول، فكان عليها اعتمادهم. [٣]

إلى غير ذلك من كلمات أصحابنا التي جاءت حولَ الأُصول الأربعمائة.

وبما أنّ معظم أصحاب الأُصول من أصحاب الباقر والصادق والكاظم والرضا عليهم السلام يمكن الحدس بأنّ أكثرها أُلّفت في فترة ظهور الضعف في الدولة الأُموية عام ١٢٥ هـ إلى عصر هارون الرشيد عام ١٧٠ هـ الذي بلغت فيه الدولة العباسية من القوة بمكان.

ولمّا لم يكن للأُصول ترتيب خاص إذ أنّ جلّها إملاءات المجالس وأجوبة المسائل النازلة المختلفة، عمد أصحاب الجوامع إلى نقل رواياتها مرتبة مبوبة منقحة تسهيلاً للتناول والانتفاع، فما كان في هذه الأُصول انتقل إلى الجوامع الحديثية لا سيما الكتب الأربعة، ولكن بترتيب خاص، وباشتهارها قلّت الرغبات في استنساخ الأُصول والصيانة على أعيانها.

١. نجم الدين الحلّي: المعتبر: ١/ ٢٦.

٢. اعلام الورى: ١٦٦.

٣. زين الدين العاملي: شرح الدراية: ١٧. ط النجف.

وقد كان قسم من تلك الأُصول باقياً إلى عهد ابن إدريس (٥٤٣ـ٥٩٨هـ) حيث قام بنقل جملة منها في كتابه «السرائر» وأطلق عليها المستطرفات، كما نقل جملة منها عنه السيد رضي الدين بن طاووس كما ذكرها في «كشف المحجة» وقد وقف أُستاذنا السيد محمد الحجة الكوه كمري(١٣٠١ـ١٣٧٢) على ستة عشر من تلك الأُصول وقام بطبعها.

وهذا لا يعني انّ كتابة الحديث قد انحصرت بهذه الأُصول، بل ثمة ألوان أُخر للتأليف في مجال الحديث يطلق عليها الكتاب، والمصنف، ولكلّ خصوصياته وميزاته.

وقد أكثر جملة من أصحاب الأئمّة في التأليف.

فهذا هو هشام الكلبي ألّف أكثر من ٢٠٠ كتاب، وألّف ابن شاذان ١٨٠ كتاباً، ولابن دوئل مائة كتاب، ولابن أبي عمير ٩٤ كتاباً، وللحسن وللحسين الأهوازيين ٣٠ كتاباً، وقد ذكر المحدث الحرّ العاملي انّه أُلّف بعد رحيل الرسول إلى عصر الغيبة الصغرى (١١ـ٣٦٠هـ) ما يقارب عشرة آلاف كتاب.[1]

وقد قام غير واحد من أصحابنا بترجمة رجال الحديث، وبيان منزلتهم في القوة والضعف نظير:

أ. كتاب الرجال لعبد الله بن جبلة الكناني (المتوفّى ٢١٩هـ).

ب. مشيخة الحسن بن محبوب (المتوفّى ٢٢٤هـ).

ج. رجال الحسن بن فضال (المتوفّى ٢٢٤هـ).

د. رجال ولده علي بن الحسن بن فضال.

---

١. شرف الدين : المراجعات:٣٠٨.

هـ. رجال العقيقي (المتوفى ٢٨٠هـ).

وهذا غير ما قام به المتأخّرون بترجمة رجال الحديث، نظير:

أ. رجال الكشي، المتوفّى نحو سنة (٣٢٩هـ).

ب. رجال أبي العباس بن عقدة (٢٤٩ ـ ٣٣٣هـ).

ج. رجال النجاشي (٣٧٢ـ٤٥٠هـ).

د. الفهرست والرجال للشيخ الطوسي (٣٨٥ـ٤٦٠هـ).

ثمّ تلتهم طبقة أُخرى من مشاهير علماء الرجال، كابن داود والعلاّمة الحلّي.

كلّ ذلك يعرب عن أنّ الفترة بين رحيل الرسول وغياب الحجة كان عصر بسط السنّة، وتبيين الأحكام، وتفسير القرآن على أيدي أئمّة أهل البيت عليهم السلام الذين هم عيبة علم الرسول وحفظة سنّته.

إنّ صاحب الجامع الحديثي الشيخ الحر العاملي ذكر في الفائدة الرابعة من خاتمة الكتاب، المصادر التي نقل عنها الأحاديث بلا واسطة، فبلغت ثمانين كتاباً، ثمّ ذكر أسماء الكتب التي نقل عنها بواسطة، فقال في آخر المبحث: وأمّا ما نقلوا منه ولم يصرّحوا باسمه فكثير جداً مذكور في كتب الرجال يزيد على ستة آلاف وستمائة كتاب على ما ضبطناه.[1] وجلّ هذه الكتب مؤلّفة في عصر الأئمّة إلى نهاية القرن الثالث.

يقول العلاّمة شرف الدين في «المراجعات»: وكان أصحاب هذين الإمامين العابدين الباقرين من سلف الإمامية أُلوفاً مؤلّفة لا يمكن إحصاؤهم، لكن الذين دوّنت أسماؤهم وأحوالهم في كتب التراجم من حملة العلم عنهما يقاربون أربعة

---

١. الوسائل: ٢٠/ ٤٩، الفائدة الرابعة.

آلاف بطل، ومصنفاتهم تقارب عشرة آلاف كتاب، أو تزيد رواها أصحابنا في كلّ خلف عنهم بالأسانيد الصحيحة، وفاز جماعة من أعلام أُولئك الأبطال بخدمتها وبخدمة بقيّتها.

ثمّ ذكر أسماء عدّة منهم:

١. أبوسعيد أبان بن تغلب بن رباح الجريري، وذكر ترجمته علىٰ وجه التفصيل.

٢. أبو حمزة الثمالي ثابت بن دينار، وفصّل الكلام في ترجمته وكتبه. [١]

إلى غير ذلك من الأبطال الأخيار الذين قام صرح التشيّع علىٰ وجودهم.

نعم لم يدم بسط السنّة على وتيرة واحدة، بل أعقبته نجاحات وإخفاقات تبعاً للظروف السياسية السائدة آنذاك، فكلّما سنحت الفرصة للشيعة للاتصال بأئمتهم أخذوا منهم الحديث، وسجّلوا ما سمعوه، وعند اشتداد الضغط والتنكيل من قبل السلطات الحاكمة نحت الشيعة منحاً آخر، وهو أخذ الأحكام والأحاديث عن بطانة علومهم من أصحابهم.

وأخيراً نقول: إنّ الشيخ الطوسي ذكر في كتاب «الفهرست» أسماء ٩٠٠ من المصنّفين، وربما كان لمصنّف مصنّفات كثيرة، كما هو ظاهر لمن راجع.

ويعرب عن اهتمام الشيعة ببسط السنّة في تلك الفترة، هو كثرة عدد المحدّثين والرواة، وهذا هو العلاّمة المامقاني ترجم في «تنقيح المقال» ١٣٣٦٥ محدّثاً. [٢]

وقد استدرك عليه المحقّق السيد الخوئي في «معجمه» ، فترجم ١٥١٢٨

---

١. شرف الدين العاملي: المراجعات: المراجعة رقم ١١٠.

٢. المامقاني: تنقيح المقال: ٣/ ٣٤٤.

محدثاً.[1]

وناهز عدد الرواة في دليل معجم رجال الحديث ١٥٦٧٦ محدّثاً.

ولو افترضنا أنّ بعض من جاءت ترجمته في الكتابين من غير الشيعة الإمامية، أو أنّ بعض التراجم يتحد بعضها مع بعض، فلا يضر بالعدد الهائل الذي نشاهده في هذين المعجمين بعد استثناء ما ذكرنا من الدخلاء أو المتحدين.

هذا وقد أخذ عن أئمّة أهل البيت جيل كبير من الفقهاء والمجتهدين قد سجلت أسماءهم معاجم الرجال، ومن حاول أن يقف على أسماء كثير منهم فعليه بالرجوع إلى فهرست الشيخ الطوسي ورجاله ورجال النجاشي وأخيراً معجم رجال الحديث مضافاً إلى ما جاء في معاجم الرجال من أهل السنة كميزان الاعتدال ولسان الميزان وتهذيب التهذيب.

---

١. الخوئي: معجم رجال الحديث: ٢٢/ ٢٠٠.

الشيعة وتدوين السنّة

قد عرفت أنّ السنـة هي المصدر الثاني للتشريع فلها مـن الأهمية ما للقرآن الكريـم غير أنّ القرآن وحـي بلفظه ومعنـاه، والسنة وحـي بمعناهـا دون لفظها، ولأجل هـذه الأهمية قام غير واحـد من أصحاب النبـي والأئمة بتدويـن الحديث نشير إليهم على وجه الايجاز حسب تسلسلهم الزمني:

الطبقة الأُولى

١ . أبو رافع، صحابي، له كتاب «السنن والأحكام والقضايا».

٢ . سلمان الفارسي، قال الشيـخ الطوسي: سلمان الفارسي ﵀ روى حديث الجاثليق الذي بعثه ملك الروم بعد النبي. توفي بالمدائن سنة ٣٥ هـ. [١]

وقد روىٰ له البخاري ومسلم ٦٠ حديثاً.

٣. أبـو ذر الغفـاري، (المتوفّى٣٢هــ) لـه خطبـة يشرح فيهـا الأُمـور بعـد رسول الله ﷺ . [٢]

وأمّا الـذين تـربّوا على يـد الإمام أمير المؤمنين ﵇ ، فنخبة مـن التابعين منهم:

---

١ . الطوسي: الفهرست:١٠٦ برقم ٣٤٠.

٢ . الطوسي: الفهرست: ٧٠، برقم ١٦٠.

٤. الأصبغ بن نباتة المجاشعي، والذي هو من خواص أمير المؤمنين عليه السلام ، روى عنه عليه السلام عهده إلى مالك الأشتر ووصيته إلى ابنه محمد.

٥. سليم بن قيس الهلالي، أبو صادق، له كتاب باسم أصل «سليم بن قيس».

٦. زيد بن وهب الجهني، له كتاب خطب أمير المؤمنين عليه السلام على المنابر في الجمع والأعياد وغيرها. [١]

وقد مرّ ذكر الابطال الأربعة في عصر الإمام علي عليه السلام أعني علي بن أبي رافع و عبيد الله بن رافع، وعبيد الله بن حرّ الجعفي وربيعة بن سميع[٢] الذين دَونوا الحديث في عصر الإمام عليه السلام.

الطبقة الثانية

ارتحل الوصي أمير المؤمنين عليه السلام عن هذه الدنيا فتوجهت أنظار الشيعة نحو الحسن عليه السلام خليفته الشرعي، ولكن الضغوط المتزايدة التي مارسها معاوية بحق الإمامين الحسن والحسين عليهما السلام وشيعتهما حالت دون تدوين الأحاديث المروية عن النبي صلى الله عليه وآله فلم يتسنّ لهما تربية جيل يأخذ على عاتقه تدوين الأحاديث، إلى أن وصل الأمر إلى ابن الحسين الإمام السجاد عليه السلام صاحب «الصحيفة الكاملة» فربّى جيلاً واعياً، منهم:

١. جابر بن يزيد بن الحارث الجعفي، أبو عبد الله (المتوفّى ١٢٨ هـ).

٢. زياد بن المنذر، كان مستقيماً ثمّ انحرف، له أصل و كتاب التفسير.

---

١. الطوسي: الفهرست: ٩٧، برقم ٣٠٣.

٢. لاحظ ص ١٨ـ ١٩ من هذا الكتاب.

٣. لوط بن يحيى بن سعيد، شيخ أصحـاب الأخبار بالكوفة، له كتب كثيرة ذكر أسماءها النجاشي في «رجاله». [١]

٤. جارود بن المنذر الثقة، أورده الشيخ في أصحاب الباقر والصادق عليهما السلام، له كتب. [٢]

الطبقة الثالثة

ثمّ جاء دور الباقر و الصادق عليهما السلام بعد وفاة الإمام زيـن العابدين عليه السلام في ظروف مهيّأة بعدما أصاب كيان بنـي أُميّة الضعف والانهيار تحت وطأة النزاعات التي نشبـت مع خصومهـا وخاصـة بني العباس ، فـوجد الإمامـان فرصـة ذهبية لإشاعة حديث الـرسول، فشيّدوا أُسس جامعة إسلامية قـلّ نظيرها، قصدها رواد العلم من كل صوب وحدب.

قال المفيد: لم يظهر من أحد من ولد الحسن والحسين ما ظهر في علم الدين والآثـار والسنّـة وعلـم القـرآن والسيرة وفنـون الآداب مـا ظهـر مـن أبي جعفـر الباقر عليه السلام . [٣]

وروى عنه معـالم الدين بقايـا الصحابة ووجوه التـابعين وفقهاء المسلمين، وسارت بذكر علومه الأخبار، وأُنشدت في مدائحه الأشعار. [٤]

وأمّا الإمام الصادق عليه السلام فحـدّث عنه ولا حـرج، فقـد ذاع صيته في جميـع الأمصار الإسلاميـة، وأصبح قدوة لرواد العلـم، روى عنه جماعة من أعيـان الأُمّة،

---

١. النجاشي: الرجال: ١٩١ برقم ٨٧٣ والشيخ في فهرسته برقم ٥٨٤.

٢. الطوسي: الرجال: ١١٢ في أصحاب الباقر عليه السلام.

٣. المفيد: الإرشاد: ٢٦١.

٤. ابن الصباغ المالكي: الفصول المهمة: ٢١٠.

منهم: يحيى بن سعيد، وابن جريج، ومالك بن أنس، والثوري، وابن عيينة، وأبو حنيفة، وشعبة، وأبو أيوب السجستاني، وغيرهم.[1]

قام الإمام بهداية الأُمّة إلى النهج الصواب في عصر تضاربت فيه الآراء، والأفكار، واشتعلت فيه نار الحرب بين الأُمويين ومعارضيهم من العباسيين، ففي تلك الظروف الصعبة والقاسية استغل الإمام الفرصة لنشر أحاديث جدّه وعلوم آبائه ما سارت إليه الركبان، وتربّى على يديه آلاف من المحدّثين والفقهاء.

وليس بإمكاننا أن نذكر قائمة بأسماء المحدّثين الذين رووا عن الإمام الصادق عليه السلام وتربّوا في مدرسته، وكفانا في ذلك ما كتبه علماء الرجال في ذلك المضمار.[2]

وتعاقبت أئمّة أهل البيت بعد الصادق عليه السلام ، فغدوا قمماً شامخة في سماء الحديث، وعنهم أخذت شيعتهم أحاديث الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فدوّنوها في جوامعهم الحديثية واحداً تلو الآخر.

وثمّة نقطة جديرة بالبحث، وهي انّ الجهود لم تقتصر على نشر السنّة وتبيين الأحكام والإجابة على المستجدات، بل تعدتها إلى نهج إحياء الفكر، وبث الوعي في الأُمّة الإسلامية خصوصاً بين شيعتهم وحواريّيهم الّذين أناخوا ركائبهم عند عتبة أبواب الأئمّة عليهم السلام ، فنهلوا من العلم الناجع حتى بلغوا مكانة سامية في الذب عن حياض العقائد جعلتهم سدّاً منيعاً أمام شبهات المعاندين والمغرضين، وفي الإحاطة بالفروع جعلتهم محنكين في رد الفروع إلى الأُصول، واستنباط الأحكام من الكتاب والسنّة.

وهكذا نشأ المنهجان في أحضان الأئمّة عليهم السلام منذ عهد الصادقين إلى عهد

---

١. المصدر السابق: ٢٢٢.

٢. لاحظ ص ٢٦.

الإمام العسكري عليه السلام، فلم تمنعهم العناية بالحديث ونشر السنّة عن تربية جيل واعٍ في مجالي العقائد و الأُصول، وها نحن نذكر أسماء ثلّة من متكلّمي تلك العصور وفقهائهم.

فمن المتكلّمين:

١. زرارة بن أعين (٨٠ ـ ١٥٠هـ): كان فقيهاً، متكلماً، شاعراً، أديباً، قد اجتمعت فيه خصال الفضل والدين.

٢. أبو جعفر محمد بن علي بن النعمان، مؤمن الطاق: توفّي نحو ١٦٠هـ، من متكلّمي عصر الإمام الصادق عليه السلام، قال ابن النديم: كان متكلّماً حاذقاً، ثمّ ذكر كتبه. [١]

٣. هشام بن الحكم: هو من متكلّمي الشيعة الإمامية وبطانتهم، وأكبر شخصية في الكلام، توفّي عام ١٩٩هـ.

٤. عيسى بن روضة، حاجب المنصور: كان متكلّماً، وله كتاب في الإمامة، من متكلّمي القرن الثاني.

٥. الضحاك أبو مالك الحضرمي: كوفي عربي أدرك أبا عبد الله عليه السلام وروى عن أبي الحسن عليه السلام وكان متكلماً، ثقة ثقة في الحديث، وله كتاب في التوحيد. [٢]

٦. علي بن محمد بن حسن الطائي: عدّه ابن النديم من متكلّمي الشيعة، وله من الكتب كتاب «الإمامة» كما ذكره ابن النديم.

٧. الحسن بن علي بن يقطين بن موسى: كان فقيهاً، متكلّماً، روى عن أبي الحسن والرضا عليهما السلام، ذكره الشيخ في «رجاله» في أصحاب الرضا عليه السلام. [٣]

---

١. ابن النديم: الفهرست: ٢٦٤.

١. النجاشي: الرجال: برقم ٥٤٤.

٢. الطوسي: الرجال: برقم ٧.

٨. حديد بن حكيم، أبو علي الأزدي المدائني: متكلّم، جليل، يروي عن الصادق والكاظم عليهما السلام.[١]

٩. فضال بن الحسن بن فضال: من متكلّمي عصر الصادق عليه السلام، وله مناظرات مع أبي حنيفة.

إلى غير ذلك من متكلّمي الشيعة الكبار، كحمران بن أعين الشيباني، وهشام بن سالم الجواليقي، والسيد الحميري، والكميت الأسدي.[٢]

هذه نظرة عابرة حول مفكّري الشيعة ومتكلّميهم في العقائد في عهد الأئمّة.

وأمّا الفقهاء الكبار الّذين رزقوا ملكة الاستنباط في عهد أئمّة أهل البيت عليهم السلام حتى صاروا أئمّة في الفقه، متضلّعين في استنباط الفروع، فنذكر منهم على سبيل المثال ما يلي:

الطبقة الأُولى من الفقهاء

١. سعيد بن المسيب بن حزن بن أبي وهب القرشي المدني الفقيه: أحد الفقهاء الثمانية، ولد في أيام خلافة عمر بن الخطاب، وتوفّي عام ٩٤هـ.

٢. القاسم بن محمد بن أبي بكر: أحد الفقهاء في المدينة، توفّي عام ١٠٦هـ.

٣. أبو خالد الكابلي: روى الكليني عن إسحاق بن جرير، قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: «كان سعيد بن المسيب، والقاسم بن محمد بن أبي بكر، وأبو خالد الكابلي، من ثقات علي بن الحسين».[٣]

١. النجاشي: الرجال: برقم ٣٨٣.

٢. لاحظ أعيان الشيعة: ١/ ١٣٤ ـ ١٣٥.

٣. الكليني، الكافي: ١/ ٤٧٢، باب مولد أبي عبد الله الصادق عليه السلام.

الطبقة الثانية

ثمّ أعقبتهم طبقة أُخرى كانوا من فقهاء عصر الصادقين عليهما السلام ومن بعدهم من الأئمّة، وقد تـربّى جلّهم في أحضان الأئمّة حتى بلغـوا القمة في رد الفروع إلى الأُصول. نذكـر أسماءهم على وجه الإيجاز، فإنّ التفصيل يحوجنا إلى تـأليف مفرد، والأصل في هـذا ما ذكـره الرجـالي الكبير الكشي المتوفّى نحـو (٣٢٠هـ) في كتـابه القيّم المعروف الذي لخّصه الشيخ الطوسي.

عقـد الكشي بـابـاً أسماه «تسميـة الفقهـاء مـن أصحـاب أبي جعفـر وأبي عبدالله عليهما السلام » قال: أجمعـت العصابة على تصـديق هؤلاء الأوّلين مـن أصحاب أبي جعفر عليه السلام وأصحاب أبي عبد الله عليه السلام وانقادوا لهم بالفقه فقالوا:

أفقه الأوّلين ستة:

١. زرارة، ٢. معـروف بـن خرّبـوذ، ٣. بـريـد بـن معاويـة، ٤. أبـو بصير الأسدي، ٥. الفضيل بن يسار، ٦. محمد بن مسلم الطائفي.

قالوا: أفقه الستة زرارة.

هؤلاء الستة تخرجوا على يدي الصادقين عليهما السلام.

وهناك طبقـة أُخرى تلتهـم، وهم خرّيجو مـدرسة الإمـام الصادق عليه السلام ولم يدركوا عهـد الباقر عليه السلام، ذكـرهـم الكشي في بـاب أسماه «تسميـة الفقهـاء مـن أصحاب أبي عبد الله عليه السلام »:

أجمعت العصابة على تصحيح ما يصحّ عـن هؤلاء، وتصديقهم بما يقولون، وأقرّوا لهم بالفقه، من دون أُولئك الستة الذين عددناهم وسمّيناهم، وهم ستة:

١. جميل بـن دُرّاج، ٢. عبد الله بـن مسكان، ٣. عبـد الله بن بكير، ٤. حماد ابن عثمان، ٥. حماد بن عيسى، ٦. أبان بن عثمان.

وقال أبو إسحاق الفقيه، وهو ثعلبة بن ميمون: إنّ أفقه هؤلاء جميل بن درّاج، وهم أحداث أصحاب أبي عبد الله عليه السلام.

الطبقة الثالثة

وهناك طبقة ثالثة تربّوا على يدي الإمام موسى بن جعفر وعلي بن موسى الرضا عليهما السلام ذكرهم الكشي في باب أسماه «تسمية الفقهاء من أصحاب أبي إبراهيم وأبي الحسن عليهما السلام» قال:

أجمع أصحابنا على تصحيح ما يصحّ عن هؤلاء وتصديقهم، وأقرّوا لهم بالفقه والعلم، وهم ستة:

١. يونس بن عبد الرحمن، ٢. صفوان بن يحيى بياع السابري، ٣. محمد بن أبي عمير، ٤. عبد الله بن المغيرة، ٥. الحسن بن محبوب، ٦. أحمد بن محمد بن أبي نصر.

وقال بعضهم مكان الحسن بن محبوب، الحسن بن علي بن فضال، وفضالة ابن أيوب.

وقال بعضهم مكان فضالة بن أيوب، عثمان بن عيسى، وعلى كلّ تقدير، فأفقه هؤلاء يونس بن عبد الرحمن، وصفوان بن يحيىٰ بيّاع السابري.

هؤلاء هم أقطاب الاجتهاد في عهد الأئمّة الأربعة: الباقر والصادق والكاظم والرضا عليهم السلام واستمرّ الركب سارياً على هذا المنوال في عصر الأئمّة الآخرين.

ومن النجوم اللامعة في هذه الطبقة هو الفضل بن شاذان بن الخليل، أبو محمد الأزدي النيسابوري (المتوفّى ٢٦٠هـ) كان أبوه من أصحاب يونس، وروى

عن أبي جعفر الثاني، وقيل الرضا أيضاً، وكان ثقة، أخذ عنه أصحابنا الفقهاء والمتكلمون، وله جلالة في هذه الطائفة، وهو في قدره أشهر من أن يوصف، ونقل الكشي أنّه صنّف ١٦٠ كتاباً.[١]

وقد ألّف في الفقه غير واحد من الكتب، منها: كتاب «الطلاق»، ومنها كتاب «الفرائض الكبير» وكتاب «الفرائض الأوسط» وكتاب «الفرائض الصغير» إلى غير ذلك من الكتب.

وكتبه هذه وإن لم تصل إلينا، ولكن نقل الشيخ الكليني شطراً وافراً من كتاب الطلاق والفرائض، والمتتبع في ما نقله يقف على أنّ الفقه الشيعي قد استقل بالتأليف في عصره، وأنّهم لم يكونوا ملتزمين بالإفتاء بنفس النص، أو التأليف بتجريد الأسانيد عن المتون، وتخصيص المتن بالذكر، بل قام الفضل بالتأليف على غير هذا النمط، فلاحظ المصادر أدناه[٢] لتقف بجلاء على ما قلناه.

فقد نقل في كتاب المواريث ـ باب ميراث ولد الولد ـ شيئاً كثيراً من كتاب الفرائض للفضل.[٣]

و باب ميراث ولد الولد مع الأبوين، فنقل فيه شيئاً كثيراً عن الفضل.[٤]

وأيضاً باب ميراث الأبوين مع الزوج، فنقل شيئاً من عبارات الفضل.[٥]

وقد وصل إلينا من كتب الفضل كتاب «الإيضاح» وهو مطبوع منتشر، وقد وردت فيه مسائل فقهية، استدلّ عليها وبحث عنها على نمط المتأخرين.

---

١. رجال الكشي: ٤٥٦، ورجال النجاشي رقم ٨٣٨.

٢. الكافي: ٦/ ٩٢ـ٩٦، كتاب الطلاق، باب الفرق بين من طلّق على غير السنّة.

٣. لاحظ الكافي: ٧/ ٨٨ـ٩٠، كتاب المواريث، باب ميراث ولد الولد.

٤. لاحظ الكافي: ٧/ ٩٠ـ٩٦، كتاب المواريث، باب ميراث ولد الولد.

٥. لاحظ الكافي: ٧/ ٩٨، كتاب المواريث، باب ميراث الأبوين مع الزوج.

ولا نستبعد أن يكون كتب بعض الفقهاء المتقدّمين على الفضل، على هذا النمط أيضاً، فإنّ يونس بن عبد الرحمن أحد الفقهاء الكبار من أصحاب الرضا وألّف في الفقه شيئاً كثيراً، كما سيوافيك.

ولو أردنا استعراض أسمائهم إلى عصر الإمام الحجّة لطال بنا الكلام.

والغرض من استعراض أسماء هؤلاء الايعاز إلى أنّ الجهود لم تكن منصبَّة على نشر السنّة النبوية وتربية المحدّثين فحسب، بل كان يواكبه خط آخر وهو تربية أهل الفكر في كلا المجالين، وهذا من خصائص الشيعة الإمامية، خصوصاً عهد الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام الذي أخرج في خطبه كثيراً من المعارف والمسائل التي صار لها دور مؤثر في العصور المتأخّرة، ومن قارن كتاب «التوحيد» للشيخ الصدوق (٣٠٦ ـ ٣٨١هـ) وكتاب «التوحيد» لابن خزيمة الذي تنشره السلفية، لرأى بوناً شاسعاً بين الكتابين، فالثاني يركز على النقل، وفيه من الإسرائيليات والمسيحيات والمجوسيات مالا يحصى بخلاف الأوّل، فإنّه يركز على القرآن والسنّة القطعية والفكر والتفكير ويدعم العقيدة بالبرهان.

الاجتهاد الصحيح عند الشيعة هو استنطاق الكتاب والسنّة، وليس الاجتهاد شريعة لكل وارد، وإنّما يطّلع عليه من رُزق ملكة الاستنطاق وها نحن نذكر نماذج لكيفية تعليمهم ردّ الفروع إلى الأُصول، وقد كان هتافهم على رؤوس أصحابهم: «إنّما علينا إلقاء الأُصول وعليكم التفريع...». [١]

كان الأئمّة ينهضون همم أصحابهم في إعمال التدبّر والفكر في فهم السنّة، وهذا هو الإمام الصادق عليه السلام يقول: «أنتم أفقه الناس إذا عرفتم معاني كلامنا، إنّ الكلمة لتصرف على وجوه، فلو شاء إنسان لصرف كلامه كيف شاء ولا

١. الوسائل: ج١٨، الباب ٦ من أبواب صفات القاضي، الحديث ٥٢.

يكذب». [١]

ولأجل إيقاظ روح التفكير في صفوف أصحابهم كانوا يرشدونهم بالقول: «إنّ في أخبارنا محكماً كمحكم القرآن، ومتشابهاً كمتشابه القرآن، فردّوا متشابهها إلى محكمها، ولا تتّبعوا متشابهها دون محكمها فتضلّوا». [٢]

وقد أنهضت هذه الكلمات روح الاجتهاد، وأوجدت نشاط الاستنباط، فبلغت رتبة بعض أصحابهم درجة عالية صالحة للإفتاء، فهذا أبو جعفر الباقر عليه السلام يقول لأبان بن تغلب: «اجلس في المسجد وافتِ الناس، فإنّي أُحب أن يرى في شيعتي مثلك». [٣]

تدريب أصحابهم على الاجتهاد

١. اختلفت كلمة الفقهاء في مقدار المسح الواجب على الرأس عند الوضوء، وقد سأل زرارة الإمام الصادق عليه السلام عن مقدار المسح، فقال له: ألا تخبرني من أين علمت، وقلت إنّ المسح ببعض الرأس وبعض الرجلين؟ فضحك، وقال: «يا زرارة، قاله رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ونزل به الكتاب عن الله عزّ وجلّ قال: ﴿فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ﴾ فعرفنا أنّ الوجه كلّه ينبغي أن يغسل، ثمّ قال: ﴿وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ﴾ فوصل اليدين إلى المرافق بالوجه، فعرفنا انّه ينبغي لهما أن يغسلا إلى المرفقين، ثمّ فصل بين الكلام فقال: ﴿وَامْسَحُوا بِرُؤُوسِكُمْ﴾ فعرفنا حين قال: برؤوسكم أنّ المسح ببعض الرأس لمكان الباء، ثمّ وصل الرجلين بالرأس كما وصل اليدين بالوجه فقال: ﴿وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾ فعرفنا حين

---

١. الوسائل: ج١٨، الباب ٩ من أبواب صفات القاضي، الحديث ٦.

٢. الوسائل: ج١٨، الباب ٩ من أبواب صفات القاضي، الحديث ٢٢.

٣. النجاشي: ١/ ٧٣، في ترجمة أبان بن تغلب.

وصلهما بالرأس انّ المسح على بعضها، ثمّ فسرّ ذلك رسول الله فضيّعوه». [١]

٢. سأل عبد الأعلى، مولى آل سام، الإمام الصادق عن كيفية المسح على الظفر الذي أصابه الجرح وجعل عليه جبيرة؟ قال: «هذا وأشباهه يعرف من كتاب الله، قال الله تعالى: ﴿مَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [٢] امسح على المرارة». [٣]

فقد أوضح للسائل كيفية الاستنباط وردّ الفرع إلى الأصل.

٣. روى زرارة وبكير، انهّما سألا أبا جعفر عن وضوء رسول الله، فدعا بطست، إلى أن قال: إنّ الله عزّ وجلّ يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ﴾ فليس له أن يدع شيئاً من وجهه إلاّ غسله، وأمر أن يغسل اليدين إلى المرفقين، فليس له أن يدع شيئاً من يديه إلى المرفقين إلاّ غسله، لأنّ الله تعالى يقول: ﴿فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَ أَيدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ﴾». [٤]

٤. عن حكم بن الحكم، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول، وسئل عن الصلاة في البيع والكنائس، فقال: «صل فيها قد رأيتها ما أنظفها» قلت: أيصلّي فيها وإن كانوا يصلّون فيها؟ فقال: «نعم أما تقرأ القرآن ﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلاً﴾ [٥] صل إلى القبلة وغرّ بهم». [٦]

---

١. الوسائل: ١، الباب ٢٣ من أبواب الوضوء، الحديث ١. والآية ٦ من سورة المائدة.

٢. الحج: ٧٨.

٣. الوسائل: ١/ ٢٩٠ ح١، الباب ٢٣ من أبواب الوضوء.

٤. الوسائل: ١، الباب ١٥ من أبواب الوضوء، الحديث ٣، والآية ٦ من سورة المائدة.

٥. الإسراء: ٨٤.

٦. الوسائل: ٣، الباب ١٣ من أبواب مكان المصلّي، الحديث ٣.

٥. روى سماعة بن مهران، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إنّ الله فرض للفقراء في أموال الأغنياء فريضة لا يحمدون إلاّ بأدائها، وهي الزكاة بها حقنوا دماءهم وبها سمّوا مسلمين، ولكن الله فرض في أموال الأغنياء حقوقاً غير الزكاة، فقال عزّ وجلّ: ﴿وَ الّذينَ فِي أَمْوالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ لِلسّائِلِ﴾ [1] فالحقّ المعلوم غير الزكاة، وهو شيء يفرضه الرجل على نفسه في ماله يجب عليه أن يفرضه على قدر طاقته و سعة ماله». [2]

٦. روى سماعة عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قلت له: جعلت فداك، يدخل عليّ شهر رمضان فأصوم بعضه فتحضرني نيّة زيارة قبر أبي عبد الله عليه السلام فأزوره وأفطر ذاهباً وجائياً، أو أُقيم حتى أفطر وأزوره بعد ما أفطر بيوم أو يومين؟

فقال: «أقم حتى تفطر» فقلت له: جعلت فداك فهو أفضل، قال: «نعم، أما تقرأ في كتاب الله ﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ » [3]. [4]

وكيفية الاستدلال واضحة حيث إنّ الكتاب لم يوجب شهود الشهر، وإنّما علّق الصيام على من شهد اختياراً، وأمّا من لم يشهد ولو بالسفر ، فلم تكتب عليه الصيام و إن كتب عليه القضاء.

٧. روى أبو حمزة، عن أبي جعفر في حديث قال: إنّ الله جعل لنا أهل البيت سهاماً ثلاثة في جميع الفيء، فقال تبارك وتعالى: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّما غَنِمْتُمْ مِنْ شَيءٍ فَأَنَّ للهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبىٰ وَالْيَتامىٰ وَالْمَساكِينِ وَابْنِ السَّبيلِ﴾ [5] فنحن أصحاب الخمس والفيء، وقد حرمنا على جميع الناس ما خلا

١. المعارج:٢٥.
٢. الوسائل: ٦، الباب ٧ من أبواب ما تجب فيه الزكاة، الحديث ٢.
٣. البقرة:١٨٥.
٤. الوسائل: ٧/ ١٣٠، الباب ٣ من أبواب من يصحّ منه الصوم، الحديث ٧.
٥. الأنفال:٤١.

شيعتنا».[١]

وقد استفاد الإمام من اللام الواردة في قوله: ﴿وَلِذِي الْقُرْبىٰ﴾ انّ اختيار الخمس بيدهم، فلهم أن يبيحوه أو يحرّموه لمن شاءوا.

٨. روى الكليني في «الكافي» مرفوعاً، انّه خطب أمير المؤمنين عليه السلام وقال: «يا أيّها الناس إنّ آدم لم يلد عبداً ولا أمة، وإنّ الناس كلّهم أحرار، ولكن الله خوّل بعضكم بعضاً، فمن كان له بلاء فصبر في الخير، فلا يمن به على الله عزّوجلّ، ألا وقد حضر شيء و نحن مسوُّون فيه بين الأسود والأحمر، فقال مروان لطلحة والزبير: ما أراد بهذا غيركما، قال: فأعطى كلّ واحد ثلاثة دنانير وأعطى رجلاً من الأنصار ثلاثة دنانير، وجاء بعد غلام أسود فأعطاه ثلاثة دنانير، فقال الأنصاري: يا أمير المؤمنين هذا غلام اعتقته بالأمس تجعلني وإياه سواءً، فقال عليه السلام: «إنّي نظرت في كتاب الله، فلم أجد لولد إسماعيل على ولد إسحاق فضلاً».[٢]

هذه نماذج من الأساليب التعليمية التي علم بها الأئمّة عليهم السلام أصحابهم نهج الاستنباط والاجتهاد، ولو أردنا استقصاء ما ورد في ذلك المضمار لطال فيها الكلام، ويكفيك النظر في الروايات الواردة في أبواب الحيض حيث إنّ الإمام يستدل في كثير من الروايات على أحكام الحيض عن طريق السنّة.[٣]

فخرجنا من هذا الدور بميزتين:

الأُولى: انّ أئمّة أهل البيت عليهم السلام صرفوا هممهم إلى نشر السنّة النبوية في مجال تفسير الكتاب وبيان الأحكام والحقوق والعقائد بعد التحاق الرسول صلى الله عليه وآله وسلم

---

١. الوسائل: ٦/ ٣٨٥، الباب ٤ من أبواب الأنفال، الحديث ١٩.

٢. الكليني: الكافي: ٨/ ٦٩.

٣. لاحظ الوسائل: ٢، الباب ٣ من أبواب الحيض، الحديث ٣و٤، والباب ٥، الحديث ١ من تلك الأبواب أيضاً.

بالرفيق الأعلى، وقد ألّفت لتلك الغاية آلاف من الكتب والرسائل بألوان مختلفة.

الثانية: قد واكب الخطُ الحديثي خطَ إنهاض الفكر وإعماله في الكتاب والسنّة بُغية استنباط الأحكام من مظانّها، ولم يكن بين أصحاب المنهجين أي تعارض، كل يمارس ما يوافق ذوقه ويتجاوب مع سليقته ونزعته النفسية، وليس الناس على وتيرة واحدة في الحفظ والتعقّل.

فأصحاب المنهج الأوّل يهتمون بنقل النصوص و ضبطها في كتبهم ورسائلهم، بيد انّ أصحاب المنهج الثاني يهتمون بالتفكّر والتعقّل فيما روي عنهم عليهم السلام.

ولم يول الأئمّة عليهم السلام اهتماماً لمنهج دون آخر، بل قد شجّعوا على كلا المنهجين على حدّ سواء.

الأساليب المختلفة لتدوين الفقه

وبالسبر في الكتب المؤلّفة في تلك الفترة من لدن رحيل الرسول إلى عصر الغيبة يقف الباحث على أنّه كانت لهم في تدوين الفقه أساليب مختلفة، منها:

أ. تدوين الفقه عن طريق جمع الأحاديث بلا ترتيب وتنظيم، كالأُصول الأربعمائة، فإنّ صاحب كلّ أصل يذكر جميع الروايات التي سمعها من الإمام، أو ممّن سمعه منه، دون التزام بذكر كلّ رواية في باب خاص، كما هو المشاهد من النماذج الباقية من الأُصول الأربعمائة المطبوعة، وهذا كان تدويناً للحديث من جانب، وتدويناً للفقه من جانب آخر، لما عرفت انّ بين تاريخي العلمين صلة وثيقة.

ب. تدوين الفقه عن طريق ترتيب الأحاديث وتنظيمها في أبوابها الخاصة بنقل كلّ ما يمتُّ إلى الطهارة بصلة في بابها وإلى الصلاة في بابها، وهذه هي الصورة الغالبة علىٰ تأليفات تلك الفترة.

ج. الفقه الروائي بحذف الأسانيد وحفظ تعبير الحديث غالباً وأحياناً ممزوجاً بتعابير المؤلّف، وهذا هو الفقه المنصوص.

إنّ هناك نمطاً آخر لعرض الفقه هو الاستمداد من ألفاظ الروايات، لكن بإنشاء من المؤلّف فلا يعد الكتاب فقهاً منصوصاً، [1] كالمقنع للشيخ الصدوق، ولا فقهاً تفريعياً على الأُصول والقواعد، بل كتاباً يستمد من النصوص و يستعرض المسائل بتعبير المؤلّف، وأظن أنّ الكتب المعروضة علىٰ أئمّة أهل البيت عليهم السلام، أُلّفت على هذا النمط نظير:

١. كتاب عبيد الله الحلبي

عرض عبيد الله بن أبي شعبة الحلبي كتابه على أبي عبد الله عليه السلام وصحّحه، وقال عند قراءته: «أترى لهؤلاء مثل هذا؟». [2]

٢. كتاب يونس بن عبد الرحمن

قال أحمد بن أبي خلف: كنت مريضاً فدخل عليَّ أبو جعفر يعودني عند مرضي، فإذا عند رأسي كتاب «يوم و ليلة» فجعل يصفح ورقه حتى أتىٰ عليه من

---

١. سيوافيك أنّ أوّل من جرّد المتون عن الأسانيد وصنّف على هذا النمط كتاباً فقهياً هو علي بن بابويه القمي المتوفّ (٣٢٩هـ).

٢. النجاشي: الرجال: برقم ٦١٠.

أوّله إلى آخره، وجعل يقول: «رحم الله يونس، رحم الله يونس، رحم الله يونس». [١]

وروي أيضاً عن أبي هاشم الجعفري قال: أدخلت كتاب «يوم وليلة» الذي ألّفه يونس بن عبد الرحمن على أبي محمد الحسن العسكري فنظر فيه وتصفّحه، ثمّ قال: «هذا ديني ودين آبائي وهو الحقّ كلّه». [٢]

روى محمد بن إبراهيم الورّاق السمرقندي في حديثه مع بورق قال: فقال بورق: فخرجت إلى سرّمن رأى ومعي كتاب «يوم وليلة» فدخلت على أبي محمد وأرايته ذلك الكتاب، فقلت له: جعلت فداك إنيّ رأيت أن تنظر فيه، فلما نظر فيه وتصفّحه ورقة ورقة، قال: «هذا صحيح ينبغي أن يعمل به». [٣]

والذي يؤيد كون هذه الكتب إما من هذا اللون من التأليف، أو من النمط الرابع، ما ذكره الكشي حيث قال: كان ليونس بن عبد الرحمن أربعون أخاً يدور عليهم في كلّ يوم مسلّماً ثمّ يرجع إلى منزله فيأكل ويتهيأ للصلاة ثمّ يجلس للتصنيف وتأليف الكتب. [٤]

٣. كتاب الفضل بن شاذان

روى الكشي أنّ أبا محمد الفضل بن شاذان ﷺ كان وجّه حامد بن محمد الأزدي إلى حيث به أبو محمد الحسن بن علي، فذكر أنّه دخل على أبي محمّد،

---

١. الكشي :الرجال: برقم ٣٥١.

٢. الكشي: الرجال: برقم ٣٥١.

٣. الكشي: الرجال: ٤٥١، برقم ٤١٦.

٤. الكشي: الرجال: برقم ٣٥١.

فلمّا أراد أن يخرج سقط منه كتاب في حضنه ملفوف في ردائه، فتناوله أبو محمد ونظر فيه، وكان الكتاب من تصنيف الفضل بن شاذان وترحّم عليه وذكر انّه قال: «اغبط أهل خراسان بمكان الفضل بن شاذان وكونه بين أظهرهم». (١)

د. إفراغ المسائل الفقهية في قوالب خاصة وتخريج الفروع غير المنصوصة، ويدل على وجود هذا النمط من التأليف في عصر الأئمّة ما رواه «الكافي» عن زرارة، والفضل بن شاذان، وما رواه الشيخ، عن عبد الله بن بكير، و نحن نستعرض النصوص الباقية من هؤلاء الأقطاب في هذا الصدد.

نماذج من فتاوى أصحاب الأئمّة

قد أوقفك البحث على أنّ أئمّة أهل البيت ساهموا في تربية محدّثين كبار وفقهاء عظام، يرجع الناس إليهم في الأخذ بالأحكام الشرعية، وسنقوم بذكر مقتطفات من فتاواهم، ونحيل القارئ الكريم في الهامش إلى مواضع أُخرى من فتاواهم ممّا لم نذكرها:

أ. فتاوى زرارة (المتوفّى عام ١٥٠ هـ)

يعد زرارة بن أعين أحد الفقهاء العظام، ممّن يؤخذ عنه الحلال والحرام والفتيا والأحكام، وكفى في حقّه قول الإمام الصادق عليه السلام: «إنّ زرارة من أُمناء الله على حلاله وحرامه، ومن الذين ينفون عن هذا الدين انتحال المبطلين وتأويل الغالين، ومن القوّامين بالقسط، والسابقين إلينا في الدنيا، والسابقين إلينا في

---

١. الكشي: الرجال: ٤٥١، برقم ٤١٦.

الآخرة، وهو أحب الناس إليّ أحياءً وأمواتاً، ولولاه لظننت أنّ أحاديث أبي ستذهب». [١]

قال ابن النديم: وزرارة أكبر رجال الشيعة فقهاً وحديثاً ومعرفة بالكلام والتشيع. [٢]

وقال النجاشي: شيخ أصحابنا في زمانه ومتقدّمهم، وكان قارئاً فقيهاً متكلماً شاعراً أديباً، قد اجتمعت فيه خلال الفضل والدين، صادقاً فيما يرويه. [٣]

وقد كان مرجعاً في عصره لتمييز الصحيح من الروايات عن سقيمها.

روى الكليني عن عمر بن أُذينة، أنّه قال: قلت لزرارة: إنّ أُناساً حدّثوني عنه ـ يعني الصادق عليه السلام ـ وعن أبيه عليه السلام بأشياء في الفرائض، فأعرضها عليك، فما كان منها باطلاً فقل هذا باطل، وما كان منها حقاً فقل هذا حقّ، ولا تروِهِ واسكت، فحدّثته بما حدّثني به محمد بن مسلم، عن أبي جعفر في الابنة والأب، والابنة والأُم، والابنة والأبوين، فقال: «هو والله الحق». [٤]

وإليك نماذج من فتاواه:

١. عن أحمد بن محمد بن أبي نصر، عن جميل بن درّاج، عن زرارة، قال: إذا ترك الرجل أُمّه أو أباه أو ابنه أو ابنته، فإذا ترك واحداً من الأربعة فليس بالذي عنى الله عزّ وجلّ في كتابه: ﴿قُلِ اللهُ يُفْتيكُمْ في الكَلالَةِ﴾ [٥] ولا يرث مع الأُم ولا مع الأب ولا مع الابن ولا مع الابنة أحد خلقه الله عزّوجلّ، غير زوج أو زوجة. [٦]

---

١. الكشي: الرجال: برقم ٤٣١.

٢. ابن النديم: الفهرست: ٣٢٣.

٣. النجاشي: الرجال: برقم ٤٦٣.

٤. الكافي: ٧/ ٩٥، ٩٨.

٥. النساء: ١٧٦.

٦. وسائل الشيعة: ١٧/ ٤٢٨، الحديث ٨، كتاب الفرائض، باب ٧ من أبواب موجبات الإرث؛ مسند زرارة بن أعين، الحديث ١٦٨٢.

٢. علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن ابن أُذينة قال: قال زرارة: إذا أردت أن تلقي العول، فإنّما يدخل النقصان على الذين لهم الزيادة من الولد والإخوة من الأب، وأمّا الزوج والإخوة من الأُم، فإنّهم لا ينقصون ممّا سمّىٰ لهم الله شيئاً. [1]

٣. محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن الحسن بن علي، عن عبد الله بن المغيرة، عن موسى بن بكر قال: قلت لزرارة: إنّ بكيراً حدّثني عن أبي جعفر عليه السلام، إنّ الإخوة للأب والأخوات للأب والأُمّ يُزادون وينقصون لأنهنَّ لا يكنَّ أكثر نصيباً من الإخوة والأخوات للأب والأُمّ لو كانوا مكانهن لأنّ الله عزّ وجلّ يقول: ﴿إِنِ امْرُؤٌا هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ فَلَها نِصْفُ ما تَرَكَ وَهُوَ يَرِثُها إِنْ لَمْ يَكُن لَها وَلَدٌ﴾[2] يقول: يرث جميع مالها إن لم يكن لها ولد، فاعطوا من سمّى الله له النصف كملاً، وعمدوا فاعطوا الذي سمّى الله له المال كلّه أقل من النصف، والمرأة لا تكون أبداً أكثر نصيباً من رجل لو كان مكانها، قال: فقال زرارة: وهذا قائم عند أصحابنا لا يختلفون فيه. [3]

ب. فتاوى محمد بن مسلم الثقفي (المتوفّى عام ١٥٠هـ)

يذكر النجاشي لمحمد بن مسلم كتاباً باسم «الأربعمائة مسألة في أبواب الحلال والحرام» وحيث إنّ محمد بن مسلم قد حفظ عن الصادقين آلافاً من الأحاديث، كما ذكرت في ترجمته، يبدو أنّ هذا الكتاب كان جامعاً لأحاديث

---

١. وسائل الشيعة: ١٧/ ٤٢٥، الحديث ١، كتاب الفرائض والمواريث، باب ٧ من أبواب موجبات الارث.

٢. النساء: ١٧٦.

٣. الكافي: ٧/ ١٠٤، ولاحظ أيضاً ص٩١، ٩٢، ٩٣، ٩٤، ٩٦، ٩٧، ١٠٠.

جامعة متضمّنة لقواعد كلية، وإلاّ فلما خصص هذا العدد القليل بالنسبة إلى ما حفظه بالتأليف، وقد كان مرجعاً للأحكام، وكان القضاة يرجعون إليه فيما لا يعلمون، ونذكر هنا القضيتين التاليتين:

١. روى الشيخ في «التهذيب» أنّه قَدَّم إلىٰ ابن أبي ليلىٰ رجلٌ خصماً له فقال: إنّ هذا باعني هذه الجارية، فلم أجد على ركبها [١] حين كشفتها شعراً، وزعمت أنّه لم يكن لها قط، فقال ابن أبي ليلى: إنّ الناس ليحتالون لهذا بالحيل حتى يذهب به، فما الذي كرهت؟! قال: أيّها القاضي إن كان عيباً فاقض لي به، قال: حتى أخرج إليك، فإنّي أجد أذى في بطني، ثمّ إنّه دخل فخرج من باب آخر، فأتى محمد بن مسلم الثقفي فقال: أيّ شيء تروون عن أبي جعفر عليه السلام في المرأة لا يكون على ركبها شعر أيكون ذلك عيباً؟ فقال له محمد بن مسلم: أمّا هذا نصاً فلا أعرفه، ولكن حدّثني أبو جعفر، عن أبيه، عن آبائه عليهم السلام، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنّه قال: كلّ ما كان في أصل الخلقة فزاد أو نقص فهو عيب، فقال له ابن أبي ليلى: حسبك، ثمّ رجع إلى القوم فقضى لهم بالعيب. [٢]

٢. روى الكشي عن محمد بن مسلم، قال: ما شجر في رأيي شيء قط إلاّ سألت عنه أبا جعفر، حتى سألته عن ثلاثين ألف حديث، وسألت أبا عبد الله عن ستة عشر ألف حديث. [٣]

روى محمد بن مسلم قال: إنّي لنائم ذات ليلة على السطح، إذ طرق الباب طارق، فقلت: من هذا؟ فقال: شريك رحمك الله، فأشرفت فإذا امرأة، فقالت: لي بنت عروس ضربها الطلق، فما زالت تطلق حتى ماتت والولد يتحرك في بطنها

---

١. الركب: موضع العانة.

٢. التهذيب: ٧/ ٦٥، ح٢٨٢، الكافي: ٥/ ٢١٥ ح١٢.

٣. الكشي: الرجال: ١٤٧ برقم ٦٧، ولاحظ أيضاً الكافي: ٧/ ٩٣.

ويذهب ويجيء فما أصنع؟ فقلت: يا أمة الله سئل محمد بن علي بن الحسين الباقر عليه السلام عن مثل ذلك، فقال: يشق بطن الميت ويستخرج الولد، يا أمة الله افعلي مثل ذلك، أنا يا أمة الله رجل في ستر، من وجّهك، إليّ؟ قال: قالت لي: رحمك الله جئت إلى أبي حنيفة صاحب الرأي، فقال: ما عندي في هذا شيء، ولكن عليك بمحمد بن مسلم الثقفي، فإنّه يخبر، فما أفتاك به من شيء فعودي إليّ فاعلمينيه، فقلت لها: إمضي بسلام.

فلمّا كان الغد خرجت إلى المسجد، وأبو حنيفة يسأل عنها أصحابه فتنحنحت، فقال: اللّهمّ اغفر دعنا نعيش.[1]

ج. فتاوى عبد الله بن بكير بن أعين الشيباني

قال عنه المفيد في رسالته العددية: من الفقهاء الأعلام والرؤساء المأخوذ عنهم الحلال والحرام والفتيا والأحكام الذين لا يطعن عليهم ولا طريق إلى ذم واحد منهم.

روى محمد بن أبي عبد الله، عن معاوية بن حكيم، عن عبد الله بن المغيرة، قال: سألت عبد الله بن بكير عن رجل طلّق امرأته واحدة ثمّ تركها حتى بانت منه ثمّ تزوجها؟ قال: هي معه كما كانت في التزويج.

قال: قلت: فإنّ رواية رفاعة إذا كان بينهما زوج؟ فقال لي عبد الله: هذا زوج وهذا ممّا رزق الله من الرأي.[2] وللفقهاء حول رأيه هذا كلام في كتاب الطلاق فراجعه.

---

١. الكشي: الرجال: ١٤٧ برقم ٦٧، ولاحظ أيضاً الكافي: ٧/ ٩٣.

٢. الكافي: ٢/ ١٠٣، تهذيب الأحكام:٨/ ٣٠ ح٨، الاستبصار: ٣/ ٢٧١ ح ٦.

د. فتاوى يونس بن عبد الرحمن (المتوفّى ٢٠٨هـ)

كان يونس بن عبد الرحمن وجهاً في أصحابنا، متقدّماً، عظيم المنزلة، روى الفضل بن شاذان قال: حدثني عبد العزيز بن المهتدي ــ وكان خير قمي رأيته، وكان وكيل الرضا عليه السلام وخاصته ـ فقال: إنّي سألته وقلت: لا أقدر على لقائك في كلّ وقت فعمّن آخذ معالم ديني؟ فقال: «خذ عن يونس بن عبد الرحمن».

يقول النجاشي بعد نقل هذه الرواية: «وهذه منزلة عظيمة» ويظهر في غير واحد من مواضع في «الكافي» أنّه كان يفتي الناس، وإليك نموذجين منها:

١. علي بن إبراهيم، عن محمد بن عيسى، عن يونس قال: العلّة في وضع السهام على ستة لا أقل ولا أكثر لعلة وجوه أهل الميراث، لأنّ الوجوه التي منها سهام المواريث ستة جهات، لكلّ جهة سهم، فأوّل جهاتها: سهم الولد، والثاني: سهم الأب، والثالث: سهم الأُم، والرابع: سهم الكلالة ـ كلالة الأب ـ والخامس: سهم كلالة الأُم، والسادس: سهم الزوج والزوجة؛ فخمسة أسهم من هذه السهام الستة، سهام القرابات، والسهم السادس هو سهم الزوج والزوجة من جهة البيّنة والشهود، فهذه علّة مجاري السهام وإجرائها من ستة أسهم لا يجوز أن يُزاد عليها ولا يجوز أن ينقص منها إلاّ على جهة الرد، لأنّه لا حاجة إلى زيادة في السهام، لأنّ السهام قد استغرقها سهام القرابة ولا قرابة غير من جعل الله عزّوجلّ لهم سهماً، فصارت سهام المواريث مجموعة في ستة أسهم، مخرج كلّ ميراث منها، فإذا اجتمعت السهام الستة للّذين سمّى الله لهم سهماً، فكان لكلّ مسمّى له سهم على جهة ما سُمّي له، فكان في استغراقه سهمه، استغراق لجميع السهام لاجتماع جميع الورثة الذين يستحقون جميع السهام الستة، وحضورهم في الوقت الذي فرض الله لهم في مثل ابنتين وأبوين فكان للابنتين أربعة أسهم وكان للأبوين سهمان،

فاستغرقوا السهام كلّها ولم يحتج أن يزاد في السهام ولا ينقص في هذا الموضع، إذ لا وارث في هذا الوقت غير هؤلاء مع هؤلاء، وكذلك كلّ ورثة يجتمعون في الميراث فيستغرقونه، يتم سهامهم باستغراقهم تمامَ السهام، وإذا تمت سهامهم ومواريثهم لم يجز أن يكون هناك وارث يرث بعدَ استغراق سهام الورثة كملاً التي عليها المواريث، فإذا لم يحضر بعض الورثة كان من حضر من الورثة يأخذ سهمه المفروض ثمّ يردّ ما بقي من بقية السهام على سهام الورثة الذين حضروا بقدرهم، لأنّه لا وارث معهم في هذا الوقت غيرهم.

٢. علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن إسماعيل بن مرار، عن يونس قال: إنّما جعلت المواريث من ستة أسهم على خلقة الإنسان، لأنّ الله عزّ وجلّ بحكمته خلق الإنسان من ستة أجزاء، فوضع المواريث على ستة أسهم، وهو قوله عزّ وجلّ: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسانَ مِنْ سُلالَةٍ مِنْ طِينٍ * ثُمَّ جَعَلْناهُ نُطْفَةً فِي قَرارٍ مَكِينٍ﴾ ففي النطفة دية، ﴿ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً﴾ ففي العلقة دية، ﴿فَخَلَقْنَا العَلَقَةَ مُضْغَةً﴾ و فيها دية، ﴿فَخَلَقْنَا المُضْغَةَ عِظاماً﴾ وفيها دية، ﴿فَكَسَونَا العِظامَ لَحْماً﴾ وفيه دية أُخرى، ﴿ثُمَّ أَنْشَأْناهُ خَلْقاً آخَرَ﴾ [1] وفيه دية أُخرى، فهذا ذكر آخر المخلوق. [2]

هـ. فتاوى الفضل بن شاذان (المتوفّى ٢٦٠هـ)

إنّ الفضل بن شاذان أحد أصحابنا الفقهاء والمتكلّمين، يصفه النجاشي بقوله: وله جلالة في هذه الطائفة، وهو في قدره أشهر من أن نصفه، وكان أبوه من أصحاب يونس، فلو تبع الفضل بن شاذان الخط الموروث من يونس لما كان به

١. المؤمنون: ١٢ـ١٤.

٢. الكافي: ٧/ ٨٣، ٨٤. ولاحظ أيضاً ص ١١٥، ١١٦ـ١٢١، ١٢٥.

عجب، وقد جاء قسم من فتاواه في كتابه المطبوع باسم «الإيضاح» وها نحن نستعرض بعض فتاواه التي نقلها الكليني في «الكافي»:

قال الفضل بن شاذان: لو أنّ رجلاً ضرب ابنه غير مسرف في ذلك يريد تأديبه، فقُتل الإبن من ذلك الضرب ورثه الأب ولم تلزمه الكفّارة، لأنّ ذلك للأب، لأنّه مأمور بتأديب ولده، لأنّه في ذلك بمنزلة الإمام يقيم حدّاً على رجل فمات، فلا دية عليه ولا يسمّى الإمام قاتلاً؛ وإن ضربه ضرباً مسرفاً لم يرثه الأب، فإن كان بالإبن جرح أو خراج، فبطّه الأب، فمات من ذلك، فإنّ هذا ليس بقاتل ولا كفّارة عليه، وهو يرثه، لأنّ هذا بمنزلة الأدب والاستصلاح والحاجة من الولد إلى ذلك وإلى شبهه من المعالجات.

ولو أنّ رجلاً كان راكباً على دابة، فأوطأت الدابة أباه أو أخاه، فمات لم يرثه، ولو كان يسوق الدابة أو يقودها، فوطئت الدابة أباه أو أخاه فمات، ورثه وكانت الدية على عاقلته لغيره من الورثة، ولم تلزمه الكفارة.

ولو أنّه حفر بئراً في غير حقّه أو أخرج كنيفاً أو ظلّة، فأصاب شيء منها وارثاً له فقتله لم تلزمه الكفارة، وكانت الدية على العاقلة وورثه، لأنّ هذا ليس بقاتل، ألا ترى أنّه لو كان فعل ذلك في حقّه لم يكن بقاتل ولا وجب في ذلك دية ولا كفارة، فإخراجه ذلك الشيء في غير حقّه ليس هو بقتل، لأنّ ذلك بعينه يكون في حقّه فلا يكون قتلاً، و إنّما أُلزم الدية في ذلك إذا كان في غير حقّه احتياطاً للدماء، ولئلاّ يبطل دم امرئ مسلم، وكيلا يتعدّى الناس حقوقهم إلى ما لا حقّ لهم فيه، وكذلك الصبي و المجنون لو قتلا لورثا، وكانت الدية على العاقلة، والقاتل يحجب وإن لم يرث.

قال: ولا يرث القاتل من المال شيئاً؛ لأنّه إن قتل عمداً، فقد أجمعوا أنّه لا

يرث؛ وإن قتل خطـأً، فكيف يرث وهو تُؤخـذ منه الدية؟ وإنّما منع القـاتل من الميراث احتياطاً لدماء المسلمين، كيلا يقتـل أهل الميراث بعضهم بعضاً طمعاً في المواريث.[1]

هذه نماذج من فقهاء أصحاب الأئمّة عليهم السلام ، ونماذج من فتاواهـم، وكم لهم مـن نظير كجميـل بـن درّاج وابـن أبي عمير، اللّـذين نقلـت فتـاواهـم في ثنـايـا الأحاديث المروية في الكتب الأربعة ورجال الكشي.

إنّ اجتهاد هؤلاء كان يدور حول استخـراج الفروع من النصوص والأُصول الكلّية بعد تخصيص العام بخاصّه، والمطلق بمقيّده، وتمييز الصحيح عن السقيم دون أن يتجـاوزوا تلـك القـواعـد والنصـوص الكليـة، وأمّـا الاجتهـاد في الـدور الثاني ـ الآتي ـ فقـد اتخـذ لنفسـه منهجـاً خاصـاً ميّزه عن الدور الأوّل ألا وهـو الاستفادة في بعض الأحيان من القواعد العقلية بغية الإجابة على المستجدات.

نعـم بـذرت بذرة الاجتهـاد في الـدور الأوّل على يـد هـؤلاء الأعاظـم مـن أصحاب أئمّـة أهل البيـت عليهم السلام ونمت وتعـالـت حسـب الإمكانـات والظروف المتاحة علىٰ مرّ العصور.

المراكز الفقهية التي ازدهرت في هذا الدور

الإسلام ديـن العلم والمعرفة، رفـع الإنسان من حضيض الجهـل والأُميّة إلى أعلىٰ مستويات العلم والكمال من خلال تشجيعه للقراءة والكتابة والتدبر في آثار الكون ومظاهر الطبيعة، ونبذ التقليد في العقيدة، فأراد للإنسان حياة كريمة نابضة

---

١. الكافي:٧/ ١٤٢؛ ولاحظ أيضاً: ٨٨، ٩٠ـ٩٥، ٩٦ـ٩٨، ٩٩ـ١٠٥، ١٠٨ـ١١٦، ١١٨ـ١٢٠، ١٢١، ١٤٢ـ١٤٥، ١٤٦ـ١٤٨، ١٤٩، ١٦١ـ١٦٢، ١٦٦ ـ ١٦٨.

بالفكر والثقافة.

وقد كانت للشيعة مراكز علميـة مهمة خلال القرون الماضية، نشير في كلّ دور إلى أبرزها، ففي هذا الدور نشأت الجامعات التالية:

١. جامعة المدينة المنورة.

٢. جامعة الكوفة وجامعها الكبير.

٣. جامعة قم والري.

و إليك لمحة خاطفة عن تلك الجامعات:

١. المدينة المنوّرة

إنّ المدينة المنورة هي المنطلق العلمي الأوّل، نشـأ فيها عدّة من الأعلام من شيعة أمير المؤمنين عليه السلام ، وعلى رأسهـم ابن عبـاس حبر الأُمّة، وسلمان الفـارسي، وأبوذر الغفاري، وأبـو رافع، الذي هو مـن خيار شيعة الإمام علي، مـؤلّف كتاب السنن والأحكام والقضاء،[1] وغيرهم.

ثمّ أعقبتهم طبقة من التابعين، تخرّجـوا من تلك المدرسة على يد الإمام علي ابن الحسين زين العابدين عليه السلام ولقد روى الكليني عـن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: «كان سعيد بن المسيب والقاسم بن محمد بن أبي بكر وأبو خالد الكابلي من ثقات علي بن الحسين عليه السلام .[2]

وازدهرت تلـك المدرسة في عصر الإمامين الصادق والبـاقر عليهما السلام ، وزخرت بطلاب العلوم، ووفود الأقطـار الإسلامية، حتى أضحت جامعـة إسلامية مكتظة برجال العلم وحملة الحديث.

١. النجاشي: الرجال: ٦٤ برقم ١.

٢. الكليني: الكافي، كما في تأسيس الشيعة: ٢٩٩.

٢. الكوفة وجامعها الكبير

قد سبق أنّ الإمام أمير المؤمنين عليه السلام هاجر من المدينة إلى الكوفة، واستوطن معه خيار شيعته ومن تربّى على يديه من الصحابة والتابعين.

ولقد أتى ابن سعد في «طبقاته الكبرى» على ذكر جماعة من التابعين الّذين سكنوا الكوفة.[١] ولقد أعان على ازدهار مدرسة الكوفة مغادرة الإمام الصادق عليه السلام المدينة المنورة إليها أيام أبي العباس السفاح، حيث بقي فيها سنتين.

إغتنم الإمام فرصة ذهبية أوجدتها الظروف السياسية آنذاك، وهي أنّ الدولة العباسية جاءت على أنقاض الدولة الأموية و كانت جديدة العهد، فلم يكن للعباسيّين يومذاك قدرة على الوقوف في وجه الإمام لا نشغالهم بأُمور الدولة، بالإضافة إلى أنّهم كانوا قد رفعوا شعار العلويين للوصول إلى السلطة، وقد نشر زمن إقامته بها علوماً جمّة.

وقد انتشر نبأ وروده الحيرة، فتقاطرت وفود للارتواء من منهله العذب، وقد حكى الحسن بن علي بن زياد الوشّاء ازدهار مدرسة الكوفة في تلك الظروف، في كلامه السابق.[٢]

وكان من خريجي هذه المدرسة لفيف من الفقهاء الكوفيين، نظير: أبان بن تغلب بن رباح الكوفي، ومحمد بن مسلم الطائفي، وزرارة بن أعين، إلى غير ذلك ممّن تكفّلت كتب الرجال بذكرهم، وقد وقفت على أسماء عدّة منهم عند ذكر تلاميذ الإمام الباقر والصادق عليهما السلام.[٣]

لقد ألّف فقهاء الشيعة ومحدّثوهم في تلك الظروف في الكوفة ٦٦٠٠ كتاب،

---

١. الطبقات الكبرى:٦، وقسّمهم على تسع طبقات.

٢. النجاشي: الرجال:١/ ١٣٧، رقم ٧٩ و ص٣٢ من هذا الكتاب.

٣. لاحظ ص ٤٦ من هذا الكتاب.

ولقد امتاز من بينها ٤٠٠ كتاب اشتهرت بالأُصول الأربعمائة [١]، فهذه الكتب هي التي أدرجها أصحاب الجوامع الحديثية في كتبهم كما مرّ آنفاً.

ولم تقتصر الدراسة آنذاك على الحديث والتفسير والفقه بل شملت علوماً أُخرى، فأنجبت مؤلّفين كباراً صنّفوا كتباً كثيرة في علوم شتّى، كهشام بن محمد بن السائب الكلبي ألّف أكثر من مائتي كتاب، وابن شاذان ألّف ٢٨٠ كتاباً، وابن أبي عمير صنّف ١٩٤ كتاباً، وابن دؤل الذي صنّف ١٠٠ كتاب [٢]، وجابر بن حيان أُستاذ الكيمياء والعلوم الطبيعية، إلى غير ذلك من المؤلّفين.

٣. مدرسة قم والري

دخل الفرس الإسلام وكان أكثرهم على غير مذهب الشيعة، نعم كانت قم والري وكاشان وقسم من خراسان مركزاً للشيعة، وقد هاجر الأشعريون ـ خوفاً من الحجاج ـ إلى قم وجعلوها موطنهم ومهجرهم، وكانت تلك الهجرة نواة للشيعة في إيران.

كانت مدرسة الكوفة مزدهرة بالعلم والثقافة، إلاّ أنّها عانت الويلات من الظلم العباسي ممّا حدا بكبار الفقهاء والمحدثين إلى النزوح عنها، ففي هذه الفترة نحو سنة ٢٥٠هـ هاجر إبراهيم بن هاشم الكوفي تلميذ يونس بن عبد الرحمن، وهو من أصحاب الإمام الرضا عليه السلام إلى قم، ونشر فيها حديث الكوفيين، فصارت مدرسة قم والري مزدهرة بعد ذاك بالمحدّثين والرواة الكبار.

---

١. وسائل الشيعة: ج ٢٠، الفائدة الرابعة، وقد بيّنا الفرق بين الكتاب والأصل في كتابنا «كليات في علم الرجال».

٢. الطهراني: الذريعة: ١/ ١٧.

وقد أضحت مدينة قم مركزاً نشطاً للحديث، ومأوى لموالي أئمّة أهل البيت عليهم السلام ونخبة من المحدّثين والفقهاء، أمثال:

أ. زكريا بن آدم

قال النجاشي: زكريا بن آدم بن عبد الله بن سعد الأشعري القمي، ثقة جليل، عظيم القدر، وكان له وجه عند الرضا، وله كتاب.

يروي محمد بن الحسن الصفار (المتوفّى ٢٩٠هـ)، عن أحمد بن محمد بن عيسى (المتوفّى نحو ٢٨٠هـ)، عن محمد بن خالد، عن زكريا بن آدم، وله كتاب مسائله للرضا عليه السلام.[١]

وعلى أيّة حال فالرجل من أصحاب الأئمة: الصادق والرضا والجواد عليهم السلام.

ب. سعد بن سعد بن الأحوص بن سعد بن مالك الأشعري القمي.

قال النجاشي: ثقة، روى عن الرضا وأبي جعفر عليهما السلام كتابه المبوب، يروي عنه محمد بن خالد البرقي.[٢]

وذكره الشيخ في «رجاله» في أصحاب الإمام الرضا عليه السلام، وقال: سعد بن سعد الأحوص القمّي، ثقة.[٣]

---

١. النجاشي: الرجال: ٣٩٣ برقم ٤٥٦.

٢. النجاشي: الرجال: برقم ٤٦٨.

٣. الطوسي: الرجال: ٣٧٨، فصل أصحاب الرضا، وذكره الكشي في الرجال: ٤٢٣، برقم ٣٦٢.

ج. العباس بن معروف، أبو الفضل، مولىٰ جعفر بن عبد الله الأشعري.

قمّـي، ثقة، لـه كتاب الآداب، ولـه نوادر. ذكـره النجاشي، ثـمّ ذكر سنـده بجميع أحاديثه ومصنّفاته.[1]

---

١. النجاشي: الرجال: برقم ٧٤١، وذكره الشيخ في «رجاله» برقم ٣٤، في أصحاب الرضا.

أدوار الفقه الإمامي

٢

الدور الثاني:

عصر تبويب الحديث ومنهجة الاجتهاد

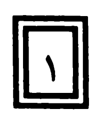
(٢٦٠-٤٦٠هـ)

قد عرفت أنّ النهج السائد في عصر الأئمّة هو نشر الحديث بين الأُمّة ودعم النشاط الاجتهادي، فإنّ أصحابهم بين محدّث يهمّه سماع الحديث ونقله وكتابته دون أن يولي اهتماماً إلى استخراج ما طوي فيه من أحكام وفروع وهم يشكّلون الأغلبية من أصحاب الأئمّة عليهم السلام، و محدّث واعٍ يتدبّر في الكتاب والسنّة وكلمات أئمّة أهل البيت عليهم السلام ويستخرج منها ما تحتاج إليه الأُمّة، فهم يروون أحاديث المعصومين وفي الوقت نفسه يظهرون إبداعاتهم وانطباعاتهم عنها، و قد نشأ هذا النهج منذ زمان الإمام سيد الساجدين عليه السلام إلى أن بلغ ذروته في عهد الصادقين والكاظمين إلى عهد الإمام العسكري عليه السلام، وفي طليعة الذين تبنّوا هذا المنهج محمد بن مسلم، وزرارة بن أعين، وابن أبي عمير، ويونس بن عبد الرحمن، والفضل بن شاذان، وغيرهم ممّن قد سبق نقل أسمائهم.

ورثت الشيعةُ هذين المنهجين عن أئمتهم عليهم السلام بعد غيبة الإمام الثاني عشر، فأخذوا ببسط الحديث ونشره وجمعه وتدوينه بأحسن ما يرام على نحو يجاوب روح

العصر، كما أخذوا ببث الاجتهاد و إضفاء المنهجية عليه، والسعي وراء المنهج الذي ورثوه عن فقهاء عصر الأئمة عليهم السلام.

وأثمرت الجهود عن ارتقاء المنهجين وتكاملهما على النحو الذي سنستعرضه لك.



تبويب الحديث

أمّا المنهج الحديثي، فقد ورثت الشيعة الأُصول الأربعمائة، وقد كانت مدوّنة بصورة مسانيد حيث قام كلّ راو بتدوين ما سمعه من الإمام، أو عمّن سمعه من الإمام، وقد كان أكثر رواجاً من سائر صور التأليف، فكلّ راو كان يسجّل ما سمعه من الإمام مباشرة، أو بواسطة راو واحد، في كتابه من دون أن يبوّب الروايات وينظمها كما هو الملموس في ما بقي من تلك الأُصول في عصرنا هذا.

ولا شكّ أنّ هذا اللون من تدوين الحديث و إن كان له شأن من التقدير، ولكنّه لا يجاوب روح العصر، ولا يبلغ مكانة تدوين الحديث حسب المواضيع والأبواب.

فأكثر الكتب التي دوّنت في عهد الأئمّة كانت في الترتيب والنظم أشبه بمسانيد أهل السنّة، كمسند أحمد بن حنبل ومسند ابن أبي شيبة وغيرهما، فإنّ دأب المؤلف من وراء تأليف المسند كان منصبّاً على جمع روايات راو واحد في موضع واحد، سواء أكان بين الروايات تناسب في الموضوع أم لا، لذا فقد أطلق على هذا النوع من التأليف اسم «المسند».

وهذا بخلاف جمع الروايات على حسب المواضيع، فإنّ الذي يروي غلّة

الفقيه هو العثور على كتاب يشمل روايات موضوع واحد في مكان واحد، وقد سبق إلى تأليف هذا اللون من التصنيف نخبة من أصحاب الأئمّة في عهدهم، كالبزنطي في جامعه، والأشعري في نوادره (نوادر الحكمة) ولكن التأليف على هذا الغرار لم يكن على نطاق واسع.

هذا ممّا حدا بالمحدّثين الذين أعقبوه في عصر الغيبة إلى الاستمرار على ذلك النهج، وإليك سرد أسمائهم:

١. محمد بن يعقوب الكليني (٢٦٠ـ٣٢٩هـ)

الحافظ الكبير، والمحدّث الجليل محمد بن يعقوب بن إسحاق الكليني الرازي البغدادي، أبو جعفر، ينسب إلى بيت طيب الأصل في «كلين».

تخرّج على يده عدّة من أفاضل رجالات الفقه والحديث، منهم: خاله علّان الكليني.

كان شيخ الشيعة في وقته في الري ووجههم، ثمّ سكن بغداد بباب الكوفة، وحدّث بها سنة (٣٢٧هـ). بعد ما طاف الشام ونزل بعلبك وحدث بها كما ذكره ابن الجوزي في المنتظم وقد أدرك زمان سفراء المهدي، وجمع الحديث من شِرَعه ومورِدِه، وقد انفرد بتأليف كتاب «الكافي» في أيامهم، ألّفه في مدّة قاربت العشرين سنة، وكان مجلسه مثابة أكابر العلماء الراحلين في طلب العلم، كانوا يحضرون حلقته لمذاكرته ومفاوضته والتفقّه عليه، وقد قام بترجمته كثير من الرجاليين والمؤلّفين في التراجم.[1]

هذا وقد تضافر الثناء على الكليني منذ عصره إلى يومنا هذا من السنّة والشيعة، وإليك بعض ما قيل فيه:

---

١. وتجد له ترجمة في الكامل لابن الأثير:٨/ ١٢٧؛ لسان الميزان:٥/ ٤٣٣.

قال الشيخ الصدوق في ترجمته: الشيخ الفقيه محمد بن يعقوب الكليني.[١]

وقال النجاشي: شيخ أصحابنا في وقته بالري ووجههم، وكان أوثق الناس في الحديث وأثبتهم.[٢]

وقال الطوسي: ثقة عارف بالأخبار، جليل القدر.[٣]

و أثنى عليه الذهبي بقوله: شيخ الشيعة وعالم الإمامية، صاحب التصانيف، أبو جعفر محمد بن يعقوب الكليني.[٤]

وللإيعاز إلى مكانة الشيخ الكليني وتأثيره في الجيل اللاحق، نأتي بمشايخه والرواة عنه.

مشايخه

روى الكليني عن عدد كثير جداً من علماء أهل البيت ورجالهم ومحدّثيهم بما يضيق المجال بذكرهم، ونقتصر على مشاهيرهم:

١. أبو جعفر محمد بن الحسن بن فروخ الصفّار القمّي، صاحب كتاب: «بصائر الدرجات» (المتوفّى ٢٩٠هـ).

٢. أبو علي أحمد بن إدريس بن أحمد الأشعري القمّي (المتوفّى عام ٣٠٦هـ).

٣. أبو الحسن علي بن إبراهيم بن هاشم، صاحب التفسير المعروف (المتوفّى نحو عام ٣٠٨هـ).

---

١. الفقيه: ٤/ ١٦٥، برقم ٥٧٨.

٢. النجاشي: الرجال: برقم ١٠٢٦.

٣. الشيخ: الفهرست: برقم ٥٩١.

٤. الذهبي: سير أعلام النبلاء: ١٥/ ٢٨٠.

٤ . أبوجعفر محمد بن يحيى العطار الأشعري(المتوفّى نحو عام ٣٠٠هـ).

إلى غير ذلك من مشايخ الحديث وفطاحله.

تلاميذه والرواة عنه

وأمّا تلاميذه والرواة عنه فحدث عنهم ولا حرج، فمنهم على سبيل المثال:

١ . أبـو الحسين أحمد بن علي بـن سعيـد الكـوفي، المعروف بـ«ابن عقـدة» (المتوفّى عام ٣٣٣هـ).

٢ . أبو غالـب أحمد بن محمد بن محمـد بن سليمان بن الحسن بـن الجهم بن بكير بن أعين بن سنسن الزراري (٢٨٥ـ ٣٦٨هـ).

٣. أبو القاسـم جعفر بن محمد بن جعفر بـن موسى بن قولويـه، صاحب «كامل الزيارات» (المتوفّى عام ٣٦٧هـ).

٤ . أبو عبـد الله محمد بن إبـراهيم بن جعفـر الكاتب النعماني(المتـوفّى عام ٣٤٠هـ)، المعروف بـ«ابن أبي زينب» كان خصيصاً به يكتب كتابه «الكافي».

إلى غير ذلـك ممّـن يروي عنـه تجد أسماءهـم مبسـوطـة في مقدّمـة كتـاب «الكافي» بقلم الأُستاذ حسين علي محفوظ البغدادي.

وكفاك في جلالة هذا الجامع انّ الشيخ المفيـد يصفه بقوله: من أجلّ كتب الشيعة وأكثرها فائدة. [١]

وقـال الشهيد محمـد بـن مكي في إجـازتـه لابـن الخازن: كتاب الكـافي في الحديث الذي لم يعمل للإمامية مثله. [٢]

---

١ . المفيد: تصحيح الاعتقاد:٢٧.

٢ . بحار الأنوار:١٠٤ـ١٩٠، الإجازات.

وقد شرحه كثير من العلماء، وهو بين مطبوع ومخطوط، كما وترجم إلى لغات مختلفة.

قال النجاشي: مات ﷺ ببغداد سنة (٣٢٩هـ) سنة تناثر النجوم، وصلّى عليه محمد بن جعفر الحسني ودفن في باب الكوفة. [١]

٢. محمد بن بابويه القمي (٣٠٦ـ٣٨١هـ)

المحدّث الكبير محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي، أبو جعفر، نزيل الري، مصنّف كتاب «من لا يحضره الفقيه».

وينتمي إلى أُسرة بني بابويه، وهي من بيوتات القمّيين الّذين ذاع صيتهم بالعلم والفضيلة، وأنجبت أفذاذاً مصلحين، وعباقرة مرشدين، أدّوا رسالاتهم على أحسن وجه، وخدموا مبدأهم بأمانة و إخلاص، فاستحقوا بذلك كلّ تعظيم وتبجيل، وخلّدهم التاريخ بإكبار، وحفظ آثارهم بكلّ فخر.

قال العلاّمة السيد بحر العلوم في «الفوائد الرجالية»: ولد بعد وفاة العمري في أوائل سفارة الحسين بن روح، وقد كانت وفاة العمري سنة ٣٠٥هـ فيكون قد أدرك من الطبقة السابعة فوق الأربعين، ومن الثامنة إحدى وثلاثين، ويكون عمره نيفاً وسبعين سنة، ومقامه مع والده ومع شيخه الكليني في الغيبة الصغرى نيفاً وعشرين سنة، فإنّ وفاتهما سنة ٣٢٩هـ وهي سنة وفاة السمري آخر السفراء. [٢]

وعلى هذا فقد عاصر الشيخ الصدوق سفيرين من السفراء الأربعة هما: الحسين بن روح والسمري، وعلى أيّة حال فمحدثنا الكبير شخصية فذّة ورث المجد و العلى من بيت عريق في العلم والورع، و قد عرّفه العلماء بإجلال و إكبار.

---

١. النجاشي: الرجال: ٢/ ٢٩٢.

٢. بحر العلوم: الفوائد الرجالية: ٣/ ٣٠١.

قال النجاشي: شيخنا وفقيهنا ووجه الطائفة بخراسان، كان ورد بغداد سنة ٣٥٥هـ وسمع منه شيوخ الطائفة وهو حدث السن، ثمّ ذكر فهرست كتبه.

يقول العلاّمة: كان جليلاً، حافظاً للأحاديث، بصيراً بالرجال، ناقلاً للأخبار، لم يُر في القمّيين مثله في حفظه وكثرة علمه، وله نحو من ثلاثمائة مصنّف.

مشايخه

وقد شدّ الرحال لتحمّل الرواية والحديث إلى مختلف الحواضر العلمية في القرن الرابع كبغداد، والكوفة والري وقم ونيسابور وطوس وبخارى، وهو وإن سافر إلى تلك البلدان لأخذ الحديث، لكنّه أيضاً حدّث بها، وقد أحصى شيخنا النوري في خاتمة «مستدركه» مشايخه الذين أخذ منهم الحديث فبلغ ٢١١ محدثاً، وإليك أسماء بعضهم:

١. أبو علي أحمد بن الحسن بن عبد ربّه القطان الرازي عرّفه المترجم له في كتابه «كمال الدين» ص ٤٠ بقوله: وهو شيخ كبير من أصحاب الحديث.

٢. أحمد بن علي بن إبراهيم بن هاشم القمّي.

٣. أحمد بن محمد بن يحيى العطار الأشعري القمي.

٤. جعفر بن محمد بن موسى بن قولويه القمي المتوفّى (٣٦٧هـ).

٥. الحسين بن أحمد الحاكم البيهقي.

٦. علي بن أحمد بن مهزيار.

٧. محمد بن حسن بن أحمد بن الوليد القمي (المتوفّى ٣٤٣هـ) وهو من أكبر مشايخه. إلى غير ذلك.

تلاميذه والرواة عنه

١. الحسين بن علي بن موسى بن بابويه القمّي ـ أخو المترجم ـ.

٢. محمد بن محمد بن النعمان المفيد.

٣. علي بن أحمد بن العباس ـ والد الشيخ النجاشي ـ.

٤. أبو القاسم علي بن محمد بن علي الخزاز، صاحب كتاب «كفاية الأثر».

٥. أبو عبد الله الحسين بن عبيد الله بن إبراهيم الغضائري.

٦. أبو الحسن جعفر بن الحسن حسكة القمي.

٧. أبو الحسن محمد بن أحمد بن علي بن شاذان القمّي.

كما أنّه روى عن شيخنا المترجم أفذاذ من أهل الحديث الّذين أصفقت معاجم التراجم على ذكرهم بكلّ جميل، وقد أنهاهم محقّق كتاب «الفقيه» إلى عشرين.[1]

توفي في الري عام ٣٨١هـ وقبره هناك معروف يزار.

٣. محمد بن الحسن الطوسي (٣٨٥ـ٤٦٠هـ)

الشيخ أبو جعفر محمد بن الحسن بن علي بن الحسن الطوسي، نسبة إلى طوس من مدن خراسان التي هي من أقدم بلاد فارس وأشهرها، وكانت ـ ولا تزال ـ من مراكز العلم والثقافة، وأنّ فيها قبر الإمام علي الرضا عليه السلام ثامن أئمة الشيعة الاثني عشرية،فصارت مهوى أفئدتهم يقصدونها من الأماكن الشاسعة والبلدان النائية.

---

١. انظر مقدّمة «من لا يحضره الفقيه».

ولد الشيخ في طوس في شهر رمضان سنة ٣٨٥هـ أي بعد أربع سنين من وفاة الشيخ الصدوق، وهاجر إلى العراق فهبط بغداد سنة ٤٠٨هـ وهو ابن ٢٣ عاماً، وكان زعيم الشيعة آنذاك، شيخ الأُمّة محمد بن محمد بن النعمان الشهير بـ«المفيد» فلازمه ملازمة الظل لذي الظلّ، وعكف على الاستفادة منه إلى حدّ توفّق لشرح كتاب أُستاذه«المقنعة» وهو بعد لم يناهز الثلاثين.

ولما انتقل الشيخ المفيد إلى رحمة الله، عكف على بحوث السيد المرتضى، ولازم حضوره طيلة ٢٣ سنة حتى توفي السيد لخمس بقين من شهر ربيع الأوّل عام ٤٣٦هـ فاستقل شيخ الطائفة بالإمامة، وظهر على منصّة الزعامة، وكانت داره في «الكرخ» مأوى الأُمّة وملجأ روّاد العلم، يأتونها لحلّ المشاكل، وإيضاح المسائل، وقد ذاع صيته ، وعلا مقامه، ممّا حدا بخليفة عصره القائم بأمر الله أن يجعل كرسي الكلام له، وكان لهذا الكرسي يومذاك عظمة وقدر فوق ما يوصف.

وكان الشيخ يدرّس ويربّي إلى أن ضاقت به الأُمور، وثارت القلاقل بشن طغرل بيك أوّل ملوك السلاجقة حملة شعواء على الشيعة، وأمر بإحراق مكتبة الشيعة التي أنشأها أبو نصر سابور بن أردشير وزير بهاء الدولة البويهي، وكانت يومذاك من دور العلم المهمة في بغداد، ونافت كتبها على عشرة آلاف من جلائل الآثار.

حتى توسّعت الفتنة واتجهت إلى بيت الشيخ الطوسي وأصحابه، فأحرقوا كتبه وكرسيّه الذي كان يجلس عليه، فلم يجد الشيخ بداً إلاّ مغادرة بغداد إلى النجف الأشرف لائذاً بجوار مولانا أمير المؤمنين عليه السلام ، فأسّس فيها حوزة علمية كبيرة، تقاطر إليها الفضلاء من شتّى الأقطار، وبقيت تلك الحوزة على مرّ الدهور إلى يومنا هذا تشع نوراً، وتربّي جيلاً بعد جيل من العلماء لا يحصي عددهم إلاّ الله سبحانه.

وقد ترك الطوسي تراثاً علمياً في شتى الموضوعات، كالكلام والفقه والرجال والحديث.

وكتاباه الجامعان: «التهذيب» و«الاستبصار» هما من الأُصول الثانوية الأربعة.

مشايخه

فقد تخرّج على يد عدّة من جهابذة العلم الذين كانت تشد إليهم الرحال لتحمّل الرواية من مختلف الحواضر الإسلامية، حتى أنهاهم السيد المحقّق البروجردي في مقدّمته على كتاب «الخلاف» إلى قرابة ثلاثين شيخاً. ومن بين شيوخه يعد الشيخ المفيد من أعاظمهم، فقد ارتشف من معين علمه سنين طوالا.

وإليك سرد أسماء جملة منهم:

١. أحمد بن عبد الواحد، المعروف بـ«ابن الحاشر» و«ابن عبدون» (٣٣٠ـ٤٢٣هـ).

٢. أحمد بن محمد بن موسى المعروف بـ«ابن الصلت» المتوسط بينه و بين ابن عقدة (٣١٧ـ٤٠٩هـ).

٣. أبو الحسن جعفر بن الحسين بن حسكة القمّي المتوسط بينه وبين ابن بابويه.

٤. الحسن بن إبراهيم بن أحمد بن الحسن بن محمد بن شاذان، أبو علي البزاز المتكلّم.

٥. أبو محمد الحسن بن محمد بن يحيى الفحام السامرائي(المتوفّى ٤٠٨هـ).

٦. الشيخ أبو عبد الله الحسين بن عبيد الله الغضائري (المتوفّى ٤١١هـ).

٧. أبو عمرو عبد الواحد بن محمد بن عبد الله بن محمد بن مهدي بن خشنام (٣١٨ـ ٤١٠هـ).

٨. أبو الحسن علي بن أحمد بن عمر بن حفص المقري، المعروف بـ «ابن الحمامي» (٣٢٨ـ٤١٧هـ).

٩. أبوالحسين علي بن أحمد بن محمد بن طاهر بن الحسن بن أبي عبيد الأشعري القمّي، الراوي عن ابن الوليد وأحمد بن محمد بن يحيى.

١٠. الشريف الطاهر ذو المجدين أبو القاسم علي بن الحسين المعروف بالسيد المرتضى (٣٥٥ـ٤٣٦هـ).

١١. أبوالحسين علي بن محمد بن عبد الله بن بشران.

١٢. أبو الحسين محمد بن أحمد بن شاذان القمي.

١٣. أبو زكريا محمد بن سليمان الحمراني، المتوسط بينه و بين أبي جعفر ابن بابويه (الصدوق).

١٤. أبو الحسن محمد بن محمد بن محمد بن إبراهيم بن مخلد البزاز البغدادي (٣٢٩ـ٤١٩هـ).

١٥. أبو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان المعروف بالمفيد (٣٣٦ـ ٤١٣هـ).

١٦. أبو الفتح هلال بن محمد بن جعفر (٣٢٢ـ٤١٤هـ).

تلاميذه والرواة عنه

إستقطب شيخنا الطوسي روّاد العلم بعد رحيل السيد المرتضى حتى أخذ يحضر مجلس درسه جهابذة العلم من كلا الفريقين، ولا يمكننا سرد أسماء جميع

من تتلمذ عليه، بل نشير إلى أسماء المشاهير منهم:

١. أحمد بن الحسين بن أحمد النيسابوري الخزاعي، جد والد أبي الفتوح الرازي.

٢. الشيخ تقي بن النجم أبو الصلاح الحلبي، صاحب كتاب «الكافي».

٣. الحسن بن الحسين بن علي بن بابويه، المعروف بـ «حسكا».

٤. القاضي عبد العزيز بن نحرير بن عبد العزيز بن البراج، صاحب كتاب: «الكامل» و«المهذب» و«الموجز» و«الجواهر» في الفقه.

٥. الشيخ الإمام الثقة أبو الفتح محمد بن علي الكراجكي.

٦. شهر آشوب بن أبي نصر المازندراني، جدّ محمد بن علي بن شهر آشوب مؤلّف «المناقب». إلى غير ذلك ممّن قرأ عليه وتخرّج على يديه، وقد ذكر الشيخ منتجب الدين في «فهرسته» وغيره أسماء الكثير منهم.

إلى هنا تمّ الكلام حول تدوين الحديث بصورة منهجية ولا أقول إنّ المدوّن على هذا النمط منحصر بالكتب الأربعة، ولكن المعروف بهذه الصبغة هي الكتب الأربعة.

بقيت هنا نكتة جديرة بالإشارة، وهي أنّ المحدّثين ـ كما أوعزنا إليهم في صدر البحث ـ لم يسيروا على نمط واحد، بل انقسموا على أنفسهم إلى قسمين، فمنهم من صبَّ اهتمامه على الجمع والتدوين فقط دون التعمّق وإعمال النظر، ومنهم من ضم إلى التدوين إعمال الفكر والنظر في تمحيص السنّة الصحيحة عن الموضوعة، وقد دام النزاع بينهما مدّة لا يستهان بها إلى أن أطفأ جذوتها الشيخ المفيد (٣٣٦ ـ ٤١٣هـ) في عصره وقلع فكرة الجمود على نقل الخبر من دون أي تمحيص ونظر.

مدرسة أهل الحديث

كلّما أطلق أهل الحديث أو أهل الخبر أو الأخبارية يراد منه من يمارس تدوين ونقل السنن النبوية وأخبار العترة الطاهرة، ولم يكن لهم مذهب خاص باسم مذهب أهل الحديث، بل نهج أصحابنا نهجين:

١. نقل الحديث من كلّ مَن هبّ و دب دون فرق بين الثقة وغيره، وهم المعروفون بالإكثار عن الضعفاء.

٢. نقل الحديث عن الثقة دون الضعيف مع إعمال النظر في السند، وهم مشايخ الشيعة وكبار مراجعهم في الحديث.

فمن الصنف الأوّل:

١. سهل بن زياد، أبو سعيد الآدمي الرازي، كان ضعيفاً في الحديث، غير معتمد فيه، وكان أحمد بن محمد بن عيسى يشهد عليه بالغلو والكذب، وأخرجه من قم إلى الري، وكان يسكنها وقد كاتب أبا محمد العسكري عليه السلام على يد محمد ابن عبد الحميد العطار للنصف من شهر ربيع الآخر سنة ٢٥٥هـ، ذكر ذلك أحمد بن علي بن نوح وأحمد بن الحسين رحمهما الله. [١]

٢. أحمد بن محمد بن خالد بن عبد الرحمن بن محمد بن علي البرقي، أبو جعفر، أصله كوفي. وكان ثقة في نفسه يروي عن الضعفاء واعتمد المراسيل، توفّي عام ٢٧٤هـ.

ونقل العلاّمة الحلّي عن ابن الغضائري: طعن عليه القمّيون، وليس الطعن فيه وإنّما الطعن فيمن يروي عنه، فإنّه كان لا يبالي عمّن أخذ على طريقة أهل

---

١. النجاشي: الرجال: ترجمة ٤٨٨.

الأخبار، وكان أحمد بن محمد بن عيسى أبعده عن قم، ثمّ أعاده إليها واعتذر إليه، ولمّا توفي مشىٰ أحمد بن محمد بن عيسى في جنازته حافياً حاسراً، ليبرئ نفسه ممّا قذفه به. (١)

٣. عبد العزيز بن يحيى بن أحمد بن عيسى الجلودي البصري، أبو أحمد شيخ البصرة وأخباريها، وكان عيسى الجلودي من أصحاب أبي جعفر عليه السلام ، ثمّ ذكر أسماء كتبه الكثيرة. (٢)

٤. محمد بن زكريا بن دينار مولى بني غلاّب، قال النجاشي: وكان هذا الرجل وجهاً من وجوه أصحابنا في البصرة، وكان أخبارياً، واسع العلم، وصنّف كتباً كثيرة، توفّي عام ٢٩٨هـ. (٣)

٥. أحمد بن إبراهيم بن المعلى بن أسد العمّي، قال النجاشي: كان ثقة في حديثه، حسن التصنيف، وأكثر الرواية عن عامة الأخباريّين. (٤)

هذه نماذج من الصنف الأوّل، وإليك نماذج من الصنف الثاني ممّن كانوا لا يروون إلاّ بعد إتقان الحديث، نخص منهم بالذكر ما يلي:

١. أحمد بن محمد بن عيسى، يقول النجاشي: أوّل من سكن قم من آبائه، سعد بن مالك بن الأحوص ـ إلى أن قال :ـ وأبوجعفر رحمه الله شيخ القمّيين ووجههم وفقيههم غير مدافع وله كتب. ولقي الرضا، ولقي أبا جعفر الثاني وأبا الحسن العسكري عليهم السلام . (٥)وقد عرفت أنّ الرجل أخرج بعض المحدّثين من قم، لكثرة

---

١. ابن المطهر: الرجال: قسم المعتمدين،باب أحمد، برقم ٧.

٢. النجاشي: الرجال:برقم ٦٣٨.

٣. النجاشي: الرجال: برقم ٩٣٧.

٤. النجاشي: الرجال: برقم ٢٣٧.

٥. النجاشي: الرجال: برقم ١٩٦.

روايتهم عن الضعفاء.

٢. محمد بن الحسن بن أحمد بن الوليد، أبو جعفر شيخ القمّيين، وفقيههم، ومتقدّمهم ووجههم، ويقال إنّه نزيل قم، وما كان أصله منها، ثقة، عين مسكون إليه، له كتب، منها: تفسير القرآن، وكتاب الجامع، توفي سنة ٣٤٣هـ. [١]

وقد اعتمد الصدوق على تصحيحه وتجريحه، وقال في ذيل خبر صلاة الغدير: إنّ شيخنا محمد بن الحسن كان لا يصحّحه، ويقول: إنّه من طريق محمد ابن يونس الهمداني وكان غير ثقة، وكلّ ما لم يصحّحه ذلك الشيخ ولم يحكم بصحته من الأخبار، فهو عندنا متروك غير صحيح. [٢]

٣. علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي، أبو الحسن شيخ القميين في عصره ومتقدّمهم وفقيههم وثقتهم، توفّي عام ٣٢٩هـ.

إنّ من تصفّح كتب الشيخ الصدوق يجد أنّه يروي عن أبيه أكثر من غيره، وأنّ ما يرويه عن أبيه قد يقرب من مجموع ما رواه عن غيره.

هذه نماذج من الصنف الثاني، وكم له من نظير:

كسعد بن عبد الله القمي (المتوفّى ٣٠١هـ) والشيخ الكليني (المتوفّى ٣٢٩هـ) وجعفر بن محمد بن قولويه (المتوفّى ٣٦٧هـ) والصدوق الثاني (المتوفّى ٣٨١هـ) إلى غير ذلك من كبار المحدّثين.

هذا موجز الكلام في المنهجين السائدين عند المحدّثين.

---

١. النجاشي: الرجال: برقم ١٠٤٣.

٢. المامقاني: تنقيح المقال: ٣/ ١٠٠.



مدرسة الاجتهاد

قد ذكرنا سابقاً أنّ الإمامية ورثت خطين، خطّ ممارسة الحديث وتدوينه ونشره دون منهجية، وخطّ ممارسة الاجتهاد الذي بذرت بذرته في عصر الإمام السجاد عليه السلام ثمّ نمت في عصر الصادقين عليهما السلام فنبغ فقهاء كبار، كزرارة، وابن أبي عمير، ويونس بن عبد الرحمن، والفضل بن شاذان، وغيرهم من المجتهدين المفتين، كما عرفت أنّ للفضل بن شاذان بل لشيخه يونس بن عبد الرحمن إبداعاً في كتابة الفقه، كما أنّ لزرارة ذلك النمط أيضاً، فلم يكونوا ملتزمين في مقام الإفتاء بنقل نص الرواية، وهذا هو الكليني يذكر فتاوى زرارة في «الكافي» [1] وقد مرّت نصوصها. [2]

وقد ورثت الإمامية ذينك الخطّين من أسلافهم فبرعوا في إضفاء المنهجية على نقل الحديث ونقده، كما برعوا في إضفائها على أُسس الاجتهاد وتطويره، فقد استمر خط الاجتهاد باستمرار الحديث، ويكفيك في ذلك ما ذكره المحقّق في «المعتبر» حيث يعطف فقهاء الدور الثاني على فقهاء الدور الأوّل ويقول:

لمّا كان فقهاؤنا رضي الله عنهم في الكثرة إلى حدّ يعسر ضبط عددهم، ويتعذّر حصر أقوالهم لاتساعها وانتشارها وكثرة ما صنّفوه، وكانت مع ذلك

---

١. الكليني: الكافي: ٧/ ٩٧و١٠٠.

٢. مرّت فتاوى زرارة ص٥٨ـ٥٩.

منحصرة في أقوال جماعة من فضلاء المتأخّرين، اجتزأت بإيراد كلام من اشتهر فضله وعرف تقدّمه في الأخبار وصحّة الاختيار وجودة الاعتبار، واقتصرت من كتب هؤلاء الأفاضل على ما بان فيه اجتهادهم وعرف به اهتمامهم وعليه اعتمادهم، ممّن اخترت نقله: الحسن بن محبوب، ومحمد بن أبي نصر البزنطي، والحسين بن سعيد، والفضل بن شاذان، ويونس بن عبد الرحمن؛ ومن المتأخّرين: أبو جعفر محمد بن بابويه القمي رضي الله عنه، ومحمد بن يعقوب الكليني.

ومن أصحاب كتب الفتاوى: علي بن بابويه، وأبو علي بن الجنيد، والحسن ابن أبي عقيل العماني، و المفيد محمد بن محمد بن النعمان، وعلم الهدى، والشيخ أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي.[1]

تجد أنّ المحقّق يصف جميع من سمّاهم بالفقاهة، نعم خصّ طائفة منهم بأهل الفتوى الّذين يرجع إليهم الشيعة في أخذ الحكم، كعلي بن بابويه الذي ألّف رسالة «الشرائع»، والحسن بن أبي عقيل العماني الذي ألّف رسالة عملية، يقول النجاشي في حقّها: ما ورد الحاج من خراسان إلاّ واشتراها، والمفيد محمد بن محمد ابن النعمان مؤلّف «المقنعة» وغيرهم.

وهذه الوثيقة التاريخية تؤكد لنا وجود الاجتهاد بين أصحاب الأئمّة عليهم السلام وانّه لم يكن وليد الصدفة.

نعم صارت الغيبة سبباً لحرمانهم من زيارة الإمام عن كثب ممّا حدا إلى إنهاض الهمم بغية إعمال الفكر وتقوية ملكة الاجتهاد للإجابة على المستجّدات من الأحكام، فقد قيل: إنّ الفقر أبو الصنائع، والحاجة أُمّ الاختراع.

وها نقوم الآن باستعراض طائفة من المجتهدين عقب عصر الغيبة إلى عصر الشيخ الطوسي.

---

١. نجم الدين الحلي: المعتبر: ١/ ٣٣.

١. إبراهيم بن محمد الثقفي (المتوفّى ٢٨٣هـ)

يعرّفه النجاشي بقوله:«إبراهيم بن محمد بن سعيد بن هلال بن عاصم بن سعد بن مسعود الثقفي، أصله كوفي. وسعد بن مسعود أخو أبو عبيد بن مسعود، عمّ المختار، كان زيدياً أوّلاً، ثمّ انتقل إلينا، ويقال إنّ جماعة من القمّيين، كأحمد ابن محمد بن خالد وفدوا إليه وسألوه الانتقال إلى قم فأبى، ثمّ ذكر سبب خروجه من الكوفة وأسماء تأليفاته، منها: الجامع الكبير في الفقه، توفي عام ٢٨٣هـ.[١] وطبع من كتبه «الغارات» وهو كتاب قيّم.

٢. سعد بن عبد الله القمي (المتوفّى ٢٩٩هـ)

سعد بن عبد الله بن أبي خلف الأشعري القمّي، المكنّى بأبي القاسم، شيخ هذه الطائفة وفقيهها ووجهها، كان قد سمع من حديث العامة شيئاً كثيراً، وسافر لطلب الحديث، لقى من وجوههم، وصنّف كتباً كثيرة.[٢]

وقال الشيخ: فمن كتبه: كتاب «الرحمة» وهو يشتمل على كتب، منها: كتاب الطهارة، وكتاب الصلاة، وكتاب الزكاة، وكتاب الصوم، وكتاب جوامع الحج.[٣] وقد قرأ عليه أبو القاسم جعفر بن قولويه.

نقل النجاشي، عن الحسين بن عبيد الله (ابن الغضائري) قال: جئت بالمنتخبات إلى أبي القاسم بن قولويه أقرأها عليه، فقلت: حدّثك سعد، فقال: لا، بل حدّثني أبي وأخي عنه، وأنا لم أسمع من سعد إلاّ حديثين.[٤]

---

١. النجاشي: الرجال: برقم ١٨.

٢. النجاشي: الرجال: برقم ٤٦٥.

٣. الطوسي: الفهرست: برقم ٣١٨.

٤. النجاشي: الرجال: برقم ٤٦٥.

٣. محمد بن أحمد الصابوني (المتوفّى نحو ٣٢٠هـ)

محمد بن أحمد بن إبراهيم بن سليم الجعفي الكوفي، المعروف بـ«أبي الفضل الصابوني» والمشهور بين الفقهاء بـ«صاحب الفاخر» و«الجعفي» أيضاً على الإطلاق من قدماء أصحابنا وأعلام فقهائنا من أصحاب كتب الفتوى، ومن كبار الطبقة السابعة، ممّن أدرك الغيبتين الصغرى و الكبرى، عالم فاضل فقيه، عارف، له كتب، منها: كتاب «الفاخر» المذكور، وهو كتاب كبير يشتمل على الأُصول والفروع والخطب وغيرها، وكتاب «تفسير معاني القرآن» وكتاب «المحبر» وكتاب «التحبير».[١]

قال النجاشي بعد ذكر اسمه: سكن مصر وكان زيدياً ثمّ عاد إلينا، وكانت له منزلة بمصر، ثمّ ذكر سنده إلى كتبه، وقال: أخبرنا أحمد بن علي بن نوح، عن جعفر بن محمد (المتوفّى ٣٦٧هـ) قال: حدّثنا محمد بن أحمد بن إبراهيم ببعض كتبه.[٢]

وأمّا طبقته، فقد عرفت أنّ النجاشي نقل كتبه عنه عن طريق جعفر بن محمد ابن قولويه المتوفّى عام ٣٦٧ هـ، فيكون في طبقة مشايخه، كالكليني وعلي بن بابويه وغيرهما.

نعم عدّه الشيخ في «رجاله» من أصحاب الإمام الهادي عليه السلام المتوفّى عام ٢٥٤هـ[٣] وعلى ذلك فيكون متقدّماً على الكليني بقليل، فلو افترضنا انّه من مواليد ٢٤٠هـ يكفي في عدّه من أصحاب الإمام الهادي عليه السلام لقاؤه غير مرّة، وتوفّي عام ٣٢٠هـ، فيكون له من العمر ٨٠ عاماً، والله العالم.

---

١. بحر العلوم: الفوائد الرجالية: ٣/ ١٩٩.

٢. النجاشي: الرجال: برقم ١٠٢٣.

٣. الطوسي: الرجال: ٤٢٢.

وقال الشيخ: له كتب كثيرة، فمنها كتاب «المتخير»، وكتاب «التخيير»، [١] وكتاب «الفاخر» وكان من أهل مصر، أخبرنا بجميع كتبه أحمد بن عبدون عن أبي علي كرامة بن أحمد بن كرامة البزاز وأبي محمد الحسن بن محمد الخيزراني المعروف بابن أبي العسّاف المغافري عنه بجميع رواياته. [٢]

وقد نقل السيد بحر العلوم بعض فتاويه عن غاية المراد، منها: القول بالمواسعة في قضاء الصلاة اليومية.

ومنها: القول بالتفصيل في البئر، والفرق فيها بين القليل والكثير، وتحديد الكثرة بالذراعين في الأبعاد الثلاثة.

ومنها: الاجتزاء بالشهادة الواحدة في التشهد الأوّل وبالتسليم الأوّل من التسليم الواجب. [٣]

ويظهر من الفتاوى المنقولة عنه انّه كان يفرغ الفتاوى في قوالب خاصة، ولم يكن ملتزماً بالمنصوص، وكان ذلك استمراراً لما رسمه زرارة ويونس بن عبد الرحمن والفضل بن شاذان.

٤. الحسن بن أبي عقيل (المتوفّى نحو ٣٢٩هـ)

الحسن بن علي بن أبي عقيل، أبو محمد العماني [٤] وصفه النجاشي بقوله: الحذّاء، فقيه متكلّم ثقة، له كتب في الفقه والكلام، منها: كتاب «المتمسك بحبل آل الرسول» كتاب مشهور في الطائفة، وقيل ما ورد الحاج من خراسان إلاّ طلبه

١. وقد مرّ ص٩٢ انّ النجاشي عبّر عنه بالمحبرة والتحبير.

٢. الطوسي: الفهرست، باب من عرف بكنيته، برقم ٨٩٨.

٣. بحر العلوم: الفوائد الرجالية: ٣/ ٢٠٣.

٤. عمان كغراب المعروفة في هذه الأيام بسلطنة عمان.

واشترى منه نسخاً، وسمعت شيخنا أبا عبد الله رحمه الله يكثر الثناء على هذا الرجل.

وقرأت كتابه المسمى كتاب «الكرّ والفرّ» على شيخنا أبي عبد الله.

وأمّا طبقته فهو في طبقة الكليني (المتوفّى عام ٣٢٩هـ) لأنّ ابن قولويه المتوفّى عام ٣٦٧هـ من تلامذة الكليني ينقل عنه بالإجازة، قال النجاشي (عن أبي القاسم جعفر بن محمد): كتب إليّ الحسن بن أبي عقيل يجيز لي كتاب «المتمسك» وسائر كتبه.[١]

و يحتمل تقدم طبقته على الكليني بشيء يسير، و ذلك لأنّ ابن قولويه ممّن يروي عن سعد كما تقدّم، فيكون ابن أبي عقيل في طبقة سعد بن عبد الله القمي الذي توفّي في عام ٣٠١هـ أو ٢٩٩هـ فمن المحتمل أن يكون متقدّماً على الكليني بقليل.

ويصفه العلاّمة الحلّي بقوله: فقيه ثقة متكلّم، له كتب في الفقه والكلام، منها: كتاب «المتمسك بحبل آل الرسول» كتاب مشهور عندنا، ونحن نقلنا أقواله في كتبنا الفقهية، وهو من جملة المتكلّمين وفضلاء الإمامية.[٢]

ثمّ إنّ كتبه وإن لم تبق بصورتها، ولكن بقيت بمادّتها، فقد أورد العلاّمة الحلّي وغيره أقواله في كتبهم الفقهية، وأخص بالذكر كتاب «المختلف» للعلاّمة الحلّي، ولأجل ذلك قام مركز المعجم الفقهي في مدينة قم باستخراج آرائه من الكتب الفقهية المتوفرة ونشرها في مجلد واحد.

ثمّ إنّ المعروف أنّ ابن أبي عقيل أوّل من هذّب الفقه واستعمل النظر وفتق البحث عن الأُصول والفروع في ابتداء الغيبة الكبرى، وبعده الشيخ الفاضل ابن

---

١. رجال النجاشي: ١/ ١٥٤ برقم ٩٩.

٢. ابن المطهر: الخلاصة: ٤٠.

الجنيد، وقد ذكره غير واحد من العلماء. [١]

ونقله أيضاً مؤلّف «الكنى والألقاب». [٢]

ولكنّك عرفت أنّ ذلك أمر لا واقع له، بل كان خط الاجتهاد رائجاً منذ عصر الصادقين عليهما السلام إلى يومنا هذا، وذكرنا أيضاً أسماء الفقهاء ممّن تقدّموا عليه كالفضل بن شاذان ومن بعده.

ومع الأسف أنّ سيرة ابن أبي عقيل قد اكتنفها كثير من الغموض، فلا نعرف بالضبط أسماء أساتذته وتلامذته، والظاهر أنّه كان فقيهاً بعمان، وكانت الصلة بينه وبين الحواضر العلمية ضعيفة، ولأجل ذلك ينقل عنه فتويان شاذتان ما أفتى بهما غيره إلاّ القليل، كعدم انفعال الماء القليل بمجرّد الملاقاة، ومن قرأ في صلاة السنن في الركعة الأُولى ببعض السورة وقام في الركعة الأُخرى ابتدأ من حيث قرأ ولم يقرأ بالفاتحة. [٣]

إنّ لابن أبي عقيل فتاوى أُخرى شاذّة، كالتالي:

أ. عدم وجوب طواف النساء.

ب. عدم اشتراط رضى المرأة في نكاح بنت أخيها وبنت أُختها عليها.

ولعلّ مرجع الأخير هو العمل بعموم قوله: ﴿وَأُحِلَّ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكُمْ﴾ [٤] في نكاح بنت الأخ والأُخت، ولا شكّ أنّ الفقه المبني على الأخذ بالعموم والغفلة عن المخصص والمقيّد يخلق فجوة عميقة فيه.

---

١. الأفندي التبريزي: رياض العلماء: ١/ ٢٠٣.

٢. الكنى والألقاب: ١/ ١٩٠.

٣. بحر العلوم: الرجال: ٢/ ٢١٤.

٤. النساء: ٢٤.

ومن مبانيه الفقهية أيضاً عدم الأخذ بخبر الواحد، يقول المحقّق التستري: وكان لا يعمل إلاّ بالأخبار المتواترة إلاّ أنّه كالمفيد والمرتضىٰ يدّعي التواتر كثيراً في ما لا تواتر فيه، كادّعاء الإجماع في ما لا إجماع فيه. [1]

٥. علي بن أحمد الكوفي (المتوفّى ٣٥٢ هـ)

على بن أحمد، أبو القاسم الكوفي صنّف كتباً كثيرة، منها: كتاب «الفقه» على ترتيب المزني. [2]

قال الشيخ الطوسي: علي بن أحمد الكوفي يكنّى أبا القاسم، كان إمامياً، مستقيم الطريقة، وصنّف كتباً كثيرة سديدة، منها: كتاب «الأوصياء» وكتاب في الفقه على ترتيب المزني، ثمّ خلط. [3]

٦. علي بن بابويه الصدوق الأوّل (المتوفّى ٣٢٩ هـ)

عرّفه النجاشي بقوله: «علي بن بابويه القمّي، أبو الحسن شيخ القمّيين في عصره ومتقدّمهم، وفقيههم وثقتهم، ثمّ ذكر أسماء كتبه التي منها: كتاب «الشرائع» وهي الرسالة إلى إبنه» [4]، ومن المحتمل جداً أنّه نفس كتاب فقه الرضا، وهو متن فقهي يشتمل على أكثر الأبواب والمسائل، وهو كتاب بديع يعرب عن أنّ المؤلف كان خبيراً بالأخبار، فقد استخرج الفتاوى منها بعد تخصيص العام

---

١. التستري: قاموس الرجال: ٣/ ١٩٨.

٢. رجال النجاشي: برقم ٦٨٩، و المزني تلميذ الشافعي.

٣. فهرست الشيخ: برقم ٣٩١.

٤. الرجال: النجاشي: ٢، رقم ٦٨٢.

بالخاص، وتقييد المطلق بالمقيد، إلى غير ذلك من شؤون الجمع بين الروايات والخروج بالفتوى، مات عام تسع وعشرين وثلاثمائة.

إنّ علي بن بابويه أوّل من أعدّ متناً فقهياً من متون الروايات بحذف أسانيدها وأسماه بكتاب «الشرائع» وقد حذا ولدُه حذوه في تأليف «المقنع» [١]، يقول في مقدّمة كتابه: إنّي صنّفت كتابي هذا وسمّيته كتاب «المقنع» لقنوع من يقرأه بما فيه، وحذفت الأسناد فيه لئلاّ يثقل حمله، ولا يصعب حفظه، ولا يملّ قارئه إذ كان ما أبيّنه فيه، في الكتب الأُصولية موجوداً مبيناً على المشايخ العلماء الفقهاء، الثقات. [٢]

لقد عاش شيخنا في العصر العباسي قبل تسلم البويهيّين منصّة الحكم في العراق سنة ٣٣٤هـ وقد استوطن قم المحمية التي كانت في أوان عصر الغيبة وعهد نيابة الأبواب الأربعة، مركزاً فقهياً من مراكز البحث الفقهي استقطبت الفقهاء والمحدّثين من بلاد الشيعة.

روى الشيخ الطوسي قال: أنفذ الشيخ حسين بن روح كتاب «التأديب» [٣] إلى قم، وكتب إلى جماعة الفقهاء بها، وقال لهم: انظروا في هذا الكتاب، وانظروا هل فيه شيء يخالفكم؛ فكتبوا إليه أنّه كلّه صحيح، وما فيه شيء يخالف إلاّ قوله في الصاع في الفطرة نصف صاع من طعام، والطعام عندنا مثل الشعير من كلّ واحد صاع. [٤]

فهذا يعرب عن مكانة قم في عصر النائب الثالث، المتوفّى عام ٣٢٦هـ.

وكما أنّ الشيخ الحسين بن روح يستمد من علماء قم وفقهائهم، كذلك

---

١. البحار: ١٠٧/ ٣٠.
٢. الصدوق: المقنع: ٥.
٣. كتاب التأديب تأليف نفس الشيخ أبي القاسم الحسين بن روح. راجع الذريعة: ٣/ ٢١٠.
٤. الطوسي: الغيبة: ٣٩٠، الحديث ٣٥٧.

يستمد فقهاء تلك البلدة من علوم الشيخ.

روى الشيخ الطوسي بسنده عن أبي الحسن محمد بن أحمد بن داود القمّي، قال: وجدت بخط أحمد بن إبراهيم النوبختي و إملاء أبي القاسم الحسين بن روح رضي الله عنه على ظهر كتاب فيه جوابات ومسائل اُنفذت من قم يسأل عنها هل هي جوابات الفقيه عليه السلام أو جوابات محمد بن علي الشلمغاني، لأنّه حكي عنه أنّه قال: هذه المسائل أنا أجبت عنها.

فكتب إليهم على ظهر كتابهم: بسم الله الرّحمن الرّحيم، قد وقفنا على هذه الرقعة وما تضمّنته، فجميعه جوابنا عن المسائل، ولا مدخل للمخذول الضال المضل المعروف بالعزاقري لعنه الله في حروف منه .... [١]

٧. أبو الحسين الناشئ (٢٧١ـ٣٦٦هـ)

علي بن عبد الله بن وصيف، من أهل بغداد، المكنّى بأبي الحسين الناشئ، كان متكلماً شاعراً مجوداً، و له كتب، وكان يتكلم على مذهب أهل الظاهر في الفقه أخبرنا عنه الشيخ المفيد رحمه الله. [٢]

وقال محقق فهرس الشيخ الطوسي: قصد سيف الدولة وأهداه شعره في مسجد الكوفة، فحضر مجلسه المتنبي وهو صغير. ولد سنة ٢٧١ وتوفي ببغداد سنة ٣٦٦.

وقال الأفندي التبريزي: هو الشيخ أبو الحسن علي بن عبد الله بن وصيف الناشئ الأصغر الحلاّء المتكلّم البغدادي. الفاضل العالم الكامل الشاعر الأديب، من مشايخ الشيخ المفيد، كما هو الظاهر من عبارة الفهرست.

---

١. الطوسي: الغيبة:٣٧٣ برقم ٣٤٥.

٢. الطوسي: الفهرست، برقم ٣٨٥، وله ترجمة في وفيات الأعيان:٣/ ٣٦٩، وفي الرياض: ٤/ ١٣٧.

ولعلّ النمط الذي اختاره في الفقه هو تجريد النصوص عن الأسانيد، وعدم الخروج عن حرفيتها في ضمن عدم الاعتقاد بالقواعد العقلية.

٨. محمد بن أحمد بن الجنيد (المتوفّى ٣٨١هـ)

محمد بن أحمد بن الجنيد، أبو علي الكاتب الاسكافي، قال النجاشي: وجه في أصحابنا، ثقة، جليل القدر، صنّف فأكثر، وسمعت بعض شيوخنا يذكر أنّه كان عنده مال للصاحب عليه السلام وسيف أيضاً. ثمّ ذكر فهرست كتبه، منها: «تهذيب الشيعة لأحكام الشريعة». [1]

قال الشيخ الطوسي: كان جيد التصنيف حَسَناً، إلاّ أنّه كان يرى القول بالقياس، فتركت لذلك كتبه ولم يعوَّل عليها، وله كتب كثيرة، منها: كتاب «تهذيب الشيعة لأحكام الشريعة» كبير نحو من عشرين مجلداً، يشتمل على عدد كتب الفقه على طريق الفقهاء، وكتاب «المختصر الأحمدي للفقه المحمدي» في الفقه مجرّداً، ثمّ ذكر أسماء بقية كتبه. [2]

ويظهر من الشيخ أنّ التهذيب كان كتاباً استدلالياً، والمختصر الأحمدي يتضمن فتاواه.

وقال العلاّمة بحر العلوم في «الفوائد الرجالية»: أبوعلي الكاتب الاسكافي من أعيان الطائفة، وأعاظم الفرقة، وأفاضل قدماء الإمامية، وأكثرهم علماً وفقهاً وأدباً، وأكثرهم تصنيفاً، وأحسنهم تحريراً، وأدقّهم نظراً، متكلم فقيه، محدّث، أديب، واسع العلم، صنّف في الفقه والكلام والأُصول والأدب والكتابة وغيرها،

---

١. النجاشي: الرجال: برقم ١٠٤٨.

٢. الطوسي: الفهرست: برقم ٦٠٢.

تبلغ مصنّفاته عدا أجوبة مسائله نحواً من خمسين كتاباً، ثمّ ذكر كتبه. [١]

وقد أطراه العلاّمة في «خلاصته». [٢]

أقول: إنّ القياس على أقسام أربعة:

١. العمل به فيما إذا كانت العلّة منصوصة، كما إذا قال: لا تشرب الخمر، لأنّه مسكر.

٢. قياس الأولوية، وهو قياس الأقوى غير المنصوص على الأضعف المنصوص، كما إذا قال: لا تأكل ذبيحة أهل الكتاب، فيعلم منه حرمة أكل ذبيحة المشرك بوجه أولى.

٣. المناط القطعي فيما إذا وقف المجتهد على وجه القطع واليقين انّ مناط الحكم هو هذا، كما إذا قال: لا تأكل ذبيحة اليهودي ووقف على انّ المناط كونه كافراً فيقيس عليه ذبيحة النصراني. فالعمل بالقياس في هذه الصور الثلاث جائز. وإن كان الخوض في تحصيل مناطات الأحكام أمراً محظوراً.

٤. المناط الظني وتحصيله بالوجوه والاعتبارات وهذا النوع من القياس الناتج عن التخرصات الظنية من غير حصول القطع هو الممنوع.

ولم يعلم أنّ ابن الجنيد قد عمل بالقياس في القسم الأخير، ولعلّ عمله كان في الأقسام الثلاثة الأُول.

وهناك احتمال آخر وهو أن يكون عمله لأجل الاستدلال بالقياس على المخالف.

وعلى كلّ تقدير فالإطراء الذي يذكره العلاّمة عن صفي الدين محمد بن معد، وما يذكره هو نفسه يعرب عن كونه على جلالة في الفقه.

---

١. بحر العلوم: القواعد الرجالية: ٢/ ٢٠٥.

٢. خلاصة الرجال: ١٤٥.

قال العلاّمة: وجدت بخط السعيد صفي الـدين محمد بن معد ما صورته: وقع إليّ من هذا الكتاب مجلد واحد، وقـد ذهب من أوّله أوراق، تصفّحته ولمحت مضمونه، فلـم أر لأحد من الطائفة كتـاباً أجود منه، ولا أبلـغ، ولا أحسن عبارة، ولا أدق معنـى، وقد استعـرض فيـه الفـروع والأُصول، وذكـر الخلاف في المسـائل واستدل بطريق الإمامية وطريق مخالفيهم.[1] وهذا الكتاب إذا أُمعـن النظر فيه، وحصلت معانيه، وأُديمت الإطالة فيه، علم قدره وموقعه، وحصل به نفع كثير لا يحصل من غيره.

وقال العلاّمة: وأقول قد وقع إليّ مـن كتب هذا الشيخ المعظّم الشأن كتاب «الأحمدي في الفقه المحمدي» وهو كتاب جيد، يدل على فضل هذا الرجل وكماله وبلوغه الغاية القصوى في الفقه وجودة نظـره، وأنا ذكرت خلافه وأقواله في كتاب «مختلف الشيعة في أحكام الشريعة».[2]

وقد اعتنـى بأقـواله وفتـاويه كثير مـن المحقّقين، كالسيـد المرتضى، وابـن إدريس في «السرائر» و المحقّق الحلّـي في «المعتبر»، والشهيـدين، والسيوري، وابن فهد، والصيمري، والمحقّق الكركي، وغيرهـم وكلّ ذلك يجلب الاعتماد إلى المؤلِّف والمؤلَّف.

هذا ما يمكن الدفاع عن الرجل ومنهجـه وكتبه، ولكن هناك ما يصدّنا عن التصديق ببعـض ما ذكرنا، فـإنّ مسلك الرجل لم يكـن مورد الرضا لأعـلام الأُمّة، كالمرتضى والمفيد الذي أفرد على نقد مسلكـه رسالتين ذكرهما النجاشي عند ترجمة المفيد.

١. نقض رسالة الجنيدي إلى أهل مصر.

---

١. وهذا يعرب عن أنّ الاستدلال بالقياس ونحوه لأجل إقناع المخالف.

٢. بحر العلوم: الفوائد الرجالية: ٣/ ٢٠٩ـ٢١٠، نقلاً عن إيضاح الاشتباه للعلاّمة الحلّي.

٢. النقض على ابن الجنيد في اجتهاد الرأي.[١]

ولم يصل إلينا شيء من تينك الرسالتين.

كما أنّه ردّ عليه في ثنايا كتابيه «المسائل الصاغانية» و«المسائل السروية» المطبوعتين، فقال في المسائل الصاغانية:[٢]

قال هذا الشيخ الجاهل (يريد الشيخ الحنفي المتحامل على الشيعة): قد وصل إلى نيسابور في سنة ٣٤٠هـ[٣] رجل من هؤلاء الرافضة يعرف بالجنيدي يدّعي معرفة بفقههم ويتصنّع بالنفاق لهم... ثمّ إنّ الشيخ المفيد بعد كلام طويل ردّ به على الفقيه الحنفي، قال في حقّ ابن الجنيد ما يلي: فأمّا شهادتك بجهل الجنيدي فقد أسرفت بما قلت في معناه وزدت في الإسراف ولم يكن كذلك في النقصان، وإن كان عندنا غير سديد فيما يتحلّى به من الفقه ومعرفة الآثار، لكنّه مع ذلك أمثل من جمهور أئمتك، وأقرب منهم إلى الفطنة والذكاء.

فأمّا قوله بالقياس في الأحكام الشرعية واختياره مذاهب لأبي حنيفة وغيره من فقهاء العامة لم يأت بها أثر عن الصادقين عليهم السلام، فقد كنّا ننكره عليه غاية الإنكار، ولذلك أهمل جماعة من أصحابنا أمره وأطرحوه، ولم يلتفت أحد منهم إلى مصنّف له ولا كلام.[٤]

---

١. النجاشي: الرجال: برقم ١٠٤٨.

٢. هذا الكتاب جملة مسائل وردت على شيخنا المفيد، وهي عشر مسائل من مختلف أبواب الفقه شنّع بها فقيه حنفي على الشيعة الإمامية، وادّعى انهّم خارجون بها عن الإيمان، مخالفون لنصوص القرآن. فأجاب عنها الشيخ المفيد وسمّاها بالمسائل الصاغانيّة.

٣. هذا يعرب عن أنّ ابن الجنيد كان في تلك السنة في نيسابور.

٤. المفيد: المسائل الصاغانية: ٥٦ـ ٥٩، في ذيل المسألة الأُولى، ولاحظ أيضاً ص ٦١، ولاحظ من الطبعة القديمة ص ٢٤٩ـ ٢٥٠.

وقال في المسائل السروية: وأجبت عن المسائل التي كان ابن الجنيد جمعها وكتبها إلى أهل مصر، ولقبها بـ«المسائل المصرية» وجعل الأخبار فيها أبواباً، وظنّ أنّها مختلفة في معانيها، ونسب ذلك إلى قول الأئمّة عليهم السلام فيها، بالرأي.

وأبطلت ما ظنّه في ذلك وتخيّله، وجمعت بين جميع معانيها، حتى لم يحصل فيها اختلاف، فمن ظفر بهذه الأجوبة وتأمّلها بإنصاف، وفكر فيها فكراً شافياً، سهل عليه معرفة الحقّ في جميع من يظن انّه مختلف، و يتيقن ذلك ممّا يختص بالأخبار المروية عن أئمّتنا عليهم السلام.[١]

فهذه النصوص من الشيخ المفيد توقفنا على أنّ ابن الجنيد كان متأثراً بالأساليب الفقهية للعامة.

ثمّ الأعجب من العمل بالقياس هو جعل سبب الاختلاف في الأخبار المروية عن أئمّة أهل البيت عليهم السلام هو إفتاء الأئمّة بالرأي كما هو صريح كلام الشيخ المفيد، أعني قوله: «وظنّ أنّها مختلفة في معانيها، ونسب ذلك إلى قول الأئمّة عليهم السلام فيها بالرأي».

ثمّ إنّ السيد بحر العلوم اعتذر عن زلّته بعدم بلوغ الأمر فيه إلى حد الضرورة، فإنّ المسائل قد تختلف وضوحاً وخفاء باختلاف الأزمنة والأوقات، فكم من أمر جلي ظاهر عند القدماء قد اعتراه الخفاء في زماننا، لبعد العهد وضياع الأدلّة؟ وكم من شيء خفي في ذلك الزمان قد اكتسى ثوب الوضوح والجلاء باجتماع الأدلّة المنتشرة في الصدر الأوّل، أو تجدّد الإجماع عليه في الزمان المتأخر، ولعلّ أمر القياس من هذا القبيل؟[٢]

---

١. المفيد: المسائل السروية: ٧٥ـ ٧٦، الطبعة الحديثة.

٢. بحر العلوم: الرجال: ٣/ ٢١٥.

وقال النجاشي: توفي ابن الجنيد بالري سنة ٣٨١هـ وقد اتّفق موته وموت الصدوق الثاني في سنة واحدة، ويظهر من رسالة الشيخ الحنفي انّه زار نيسابور عام٣٤٠هـ كما مرّ.

٩. محمد بن مسعود العياشي (المتوفّى نحو ٣٢٠هـ)

محمد بن مسعود بن محمد بن عياش السلميّ السمرقندي، أبو النضر المعروف بـ «العياشي».

قال النجاشي: ثقة، صدوق، عين من عيون هذه الطائفة، وكان يروي عن الضعفاء كثيراً، وكان في أوّل أمره عامّي المذهب، وسمع حديث العامة فأكثر منه، ثمّ تبصّر وعاد إلينا، سمع أصحاب الحسن بن علي بن فضّال وعبد الله بن محمد ابن خالد الطيالسي وجماعة من شيوخ الكوفيّين والبغداديّين والقمّيين.

قال أبو جعفر الزاهد (أحمد بن عيسى بن جعفر العلوي العمري وكان من أصحاب العياشي): أنفق أبو النضر على العلم والحديث تركة أبيه سائرها وكانت ثلاثمائة ألف دينار، وكانت داره كالمسجد بين ناسخ أو مقابل أو قارئ أو معلّق مملوءة من الناس، ثمّ ذكر أسماء كتبه في مختلف المجالات وفي الفقه كثيراً. [١]

وعرّفه الشيخ الطوسي بقوله: محمد بن مسعود العياشي من أهل سمرقند، وقيل انّه من بني تميم، يكنّى أبا النضر، جليل القدر، واسع الأخبار، بصير بالروايات مطّلع عليها، له كتب كثيرة تزيد على مائتي مصنّف ذكر فهرست كتبه التي ذكرها ابن إسحاق النديم. [٢]

---

١. النجاشي: الرجال: برقم ٩٤٥.

٢. الطوسي: الفهرست: ١٦٣، برقم ٦٠٥.

أقول: لعب الزمان بعامة ما كتبه إلاّ تفسيره المعروف بـ «تفسير العياشي» يشتمل المطبوع منه على تفسير القرآن من أوّله إلى آخر سورة الكهف ولم يطبع الجزء الثاني، ومع ذلك فقد أُصيب الموجود منه بأضرار كبيرة، وذلك لأنّ جلّ رواياته كانت مسندة، فاختصرها بعض النساخ بحذف الأسانيد.

١٠. جعفر بن محمد بن قولويه القمي (المتوفّى ٣٦٧هـ)

جعفر بن قولويه القمي من مشايخ الإمامية وأعيانها، قال النجاشي: أبو القاسم من خيار أصحاب سعد، وكان من ثقات أصحابنا وأجلاّئهم في الحديث والفقه، روى عن: أبيه وأخيه عن سعد، وعليه قرأ شيخنا أبو عبد الله (المفيد) الفقه، ومنه حمل، وكلّ ما يوصف به الناس من جميل وفقه فهو فوقه، ثمّ ذكر أسماء كتبه، وقال: قرأت أكثر هذه الكتب على شيخنا أبي عبد الله المفيد رحمه الله وعلى الحسين ابن عبيد الله رحمه الله.[1]

وكفى في فضله انّ شيخنا المفيد من تلامذته وخريجي مدرسته في الفقه، وقد وصفه النجاشي بما لم يصف به أحداً في رجاله.

يقول الشيخ الطوسي: جعفر بن محمد بن قولويه القمّي يكنّىٰ (أبا القاسم) ثقة، له تصانيف كثيرة على عدد أبواب الفقه.[2]

ويتبادر من تعبير الشيخ انّ تصانيفه كانت إمّا بتجريد المتون عن الأُصول كما هو الرائج في تلك الأزمنة، أو صب الفقه في قوالب خاصة.

وعلى أية حال فهو من الفقهاء العظام ممّن كان لهم دور عظيم في منهجة الفقه، كيف وهو ممّن ألّف كتباً كثيرة على عدد أبواب الفقه كما صرّح به الشيخ في

١. النجاشي: الرجال: برقم ٣١٦.

٢. الطوسي: الفهرست: برقم ١٤١.

«الفهرست»؟!

وترجمه الشيخ في «رجاله» في باب من لم يرو عنهم عليهم السلام برقم ٥، فلاحظ.

وفي خلاصة العلاّمة انّ وفاته كانت في سنة ٣٦٩هـ وفي «الفهرست»: ٣٦٨هـ، ولعلّ الصحيح هو٣٦٧، لوجود التشابه بين لفظ «التسعين» و«السبعين».[1]

ويظهر من اتصاله بابن أبي عقيل نزيل عمان انّه كان على اتصالات وثيقة مع مراكز العلم والفتيا آنذاك.

وقد قصد الحج ووصل بغداد عام ٣٣٧هـ في السنة التي ردّ القرامطة فيها الحجر إلى مكانه من البيت.[2]

١١. محمد بن علي بن الحسين الصدوق(٣٠٦ـ٣٨١هـ)

رئيس المحدّثين على الإطلاق، وفقيه الإمامية ووجههم، وصدوق الطائفة، المولود بدعوة صاحب الأمر، المخصوص بحقّ رعايته وألطافه، الشيخ الفقيه المحدّث أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمّي، ولد في محتد طيب وبلدة عريقة أي مدينة قم، وتربّى في بيت رفيع عرف بالصلاح والعلم وزعامة الدين، وقد تتلمذ على أبيه وتخرّج على يديه، ثمّ هاجر من قم واختلف إلى حواضر العلم لتبادل السماع والاسماع مع المحدّثين وأئمّة العلم.

قال النجاشي بعد ذكر اسمه: أبو جعفر، نزيل الري، شيخنا وفقيهنا، ووجه الطائفة بخراسان، وكان ورد بغداد سنة ٣٥٥هـ، وسمع منه شيوخ الطائفة وهو حدث السن، ثمّ ذكر أسماء كتبه وذكر أنّه ينقل كتب الصدوق عن طريق والده وهو علي بن أحمد بن العباس النجاشي، وهو الواسطة الوحيدة بينه وبين

---

١ و ٢. لاحظ المستدرك للعلاّمة النوري: ٣/ ٥٢٤، الفائدة الثالثة.

الصدوق، فإنّ الوالد قد تتلمذ على الصدوق وسمع كتبه، ومات الصدوق بالري سنة (٣٨١هـ). [١]

ويقول شيخ الطائفة في «رجاله»: جليل القدر، حفظة، بصير بالفقه والأخبار والرجال، له مصنّفات كثيرة. [٢]

وقال في «فهرسته»: محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمّي، يكنّى أبا جعفر، كان جليلاً، حافظاً للأحاديث، بصيراً بالرجال، ناقداً للأخبار، لم ير في القمّيين مثله في حفظه وكثرة علمه، له نحو من ثلاثمائة مصنّف وفهرست كتبه معروف. [٣]

ثمّ ذكر أسماء كتبه.

قال الخطيب البغدادي: كان من شيوخ الشيعة ومشهوري الرافضة، حدّثنا عنه محمد بن طلحة النعالي. [٤]

وقال الذهبي: رئيس الإمامية، أبو جعفر محمد بن العلاّمة علي بن الحسين ابن موسى بن بابويه القمّي، صاحب التصانيف السائرة بين الرافضة، يضرب في حفظه المثل، يقال له (٣٠٠) مصنف. [٥]

وكفى في جلالته انّه تخرّج عليه شيخنا المفيد، قال ابن إدريس: كان ثقة، جليل القدر، بصيراً بالأخبار، ناقداً للآثار، عالماً بالرجال، حفظة، وهو أُستاذ شيخنا المفيد محمد بن محمد بن النعمان. [٦]

---

١. النجاشي: الرجال: ٣١١، برقم ١٠٥٠.
٢. الطوسي: الرجال: ٤٩٥، برقم ٢٥، في باب «من لم يرو عن الأئمّة».
٣. الطوسي: الفهرست: ١٨٤، برقم ٧٠٩.
٤. الخطيب: تاريخ بغداد: ٣/ ٨٩.
٥. الذهبي: سير أعلام النبلاء: ١٦/ ٣٠٣.
٦. ابن إدريس: السرائر: ٢/ ٥٢٩.

وقد سبق منّا ذكر أسماء مشايخه وتلامذته.

يظهر من التدبّر في الكتب الفقهية المؤلّفة في القرن الرابع أنّه كانت الفتاوى في ذلك العصر تستعرض على نحوين.

أحدهما: ما كان عليه الصدوق ووالده وغيرهم من الإفتاء بنصوص الروايات تقريباً، مع تجريدها عن الأسانيد، وعلى ذلك ألّف الوالد كتاب «الشرائع» الذي هو الكتاب المعروف بـ«فقه الرضا» في هذه الأيام. وألّف الولد كتاب «الهداية» و«المقنع»، فهما ومن تبعهما كانوا مجتهدين مستنبطين يستعملون النظر في استنباط الأحكام بتميز الصحيح عن غيره بعد تقييد المطلق بقيده وتخصيص العام بخاصه دون الخروج عن النصوص الواردة في السنّة، وقد دام هذا النمط من الاجتهاد بعد مضيهما وألّف الشيخ الطوسي «النهاية» على غرار ذلك النمط.

ويظهر من مقدّمة المبسوط انّ هذا النمط كان أكثر رواجاً في القرن الرابع.[1]

والثاني: استنباط الأحكام من الكتاب والسنّة والقواعد العقلية التي دلّ عليها العقل الصريح وطبيعة ذلك الاجتهاد هو الخروج عن دائرة النصوص، وعلى ذلك جرى ابن أبي عقيل في كتابه «المتمسك بحبل آل الرسول»، وابن الجنيد في «تهذيبه»، والمرتضى في «انتصاره»، و الشيخ في «مبسوطه».

قد مضى أنّ النمطين كانا موروثين من فقهاء عصر الحضور، فقد عرفت أنّ زرارة ويونس بن عبد الرحمن والفضل بن شاذان كانوا مستنبطين ومفتين لا بلفظ النصوص بل كانوا يصبّون ما استنبطوه من الأدلّة في قالب التعبير.

وبذلك نقف على أنّ الدور الثاني كان امتداداً للدور الأوّل بإضافة

---

١. الطوسي: المبسوط: ١٢/١.

المنهجية في مجالي الحديث والاجتهاد، فظاهرة الاجتهاد بمعناه الحقيقي كانت سائدة في الدور الأوّل، ولكنّها ارتقت وتكاملت عبر الدور الثاني بكلا النمطين: الإفتاء بلفظ النصوص وهو الذي كان سيدنا البروجردي يعبّر عنه بالفقه المتلقّى عن أئمّة أهل البيت والأولى التعبير عنه بالفقه المنصوص، والفقه الخارج عن نطاق النصوص معتمداً على الأدلّة الشرعية.

١٢. محمد بن محمد بن النعمان المفيد (٣٣٦ـ٤١٣هـ)

لا عتب على اليراع إذا وقف عاجزاً أمام تحديد معالم شخصية إسلامية فذّة كشخصية الشيخ المفيد، فهو كالنجم اللامع في سماء العلم والحديث، وكقطب الرحى لكافة الفضائل الإنسانية، فقد آلت إليه زعامة الشيعة في بغداد أواخر القرن الرابع التي كانت تعجّ بالتيارات الفكرية المختلفة، فمن سلفي لا همّ له سوى أخذ الحديث وجمعه من كلّ من هبّ و دب، إلىٰ معتزلي لا يقيم للسنّة وزناً ويعتمد على العقل في كافة المجالات، إلى أشعري يحاول صياغة السلفية بأُطر عقلية، إلى زيدي يقتفي إثر المعتزلة في الأُصول، و الحنفية في الفروع، إلى غير ذلك من التيارات الفكرية التي كانت رائجة في تلك الأزمنة. التي حاولت القضاء على الفكر الشيعي الإمامي.

فوسط هذا العجاج بزغ نجم شيخنا المفيد ﵀ فقام خير قيام بتثبيت الهوية الفكرية الشيعية، وتصدّى للمخالفين خصوصاً من يتّهمون المذهب الإمامي بأقاويل فاسدة وينسبون إليه آراءً زائغة قصداً للتشنيع والتنكيل، كالقول بالجبر والتشبيه والتجسيم التي هي علىٰ جانب النقيض من عقائد الشيعة.

وقد كان ليراعه وبيانه أثر بالغ في إخضاع المخالف للعقيدة الحقّة وتبكيته على وجه اعترف به الموافق والمخالف، فهذا هو اليافعي يعرّفه في «تاريخه» في

حوادث سنة ٤١٣هـ بقوله:

توفي فيه عـالم الشيعة وعالم الرافضـة صاحب التصانيـف الكثيرة، شيخهم المعروف بالمفيـد وبابن المعلم أيضـاً البارع في الكلام والجدل والفقه، وكـان يناظر أهل كلّ عقيدة مع الجلالة والعظمة في الدولة البويهية.

قـال ابن أبي طـي: وكـان كثير الصدقـات، عظيـم الخشوع، كثير الصـلاة والصوم، خشن اللباس.

وقال غيره: كان عضد الدولة ربما زار الشيخ المفيد وكان ربعة نحيفاً أسمر، عاش ستـاً وسبعين سنة، وله أكثر مـن مائتي مصنّـف، وكانت جنازتـه مشهودة، وشيّعه ثمانون ألفاً من الرافضة والشيعة، وأراح الله منه، وكان موته في رمضان. [١]

أقول: إنّ كلام اليافعي خير شاهد على جلالة الشيخ، ووفور علمه، وعظمة منزلته عند الموافـق والمخالف وإنّه ببيانه و ببراعه ضيّـق الخناق على أعدائه حتى تُلقّيتْ وفاته بالراحة لهم.

وقال ابن كثير: المفيد شيخ الإمامية الروافض، والمصنّف لهم، والمحامي عن حوزتهم، كانت له وجاهة عند ملـوك الأطراف لميل كثير من أهل ذلك الزمان إلى التشيّع. [٢]

وكم للمـوافق والمخـالف مـن جمل درّية في حـقّ شيخنا المفيـد، فلنذكـر كلمتين من تلميذيه(وكم له من تلامذة برعوا في مجالات شتّى).

يقول النجـاشي ـ بعدمـا يسوق نسبـه إلى يعـرب بن قحطان ـ: شيخنـــا وأُستاذنا رضي الله عنه، فضله أشهر من أن يوصف في الفقه والكلام والرواية والثقة

---

١. اليافعي: التاريخ:٣/ ٢٨، طبعة ١٣٣٨هـ.

١. ابن كثير: البداية والنهاية:١٢/ ١٥.

والعلم، ثمّ ذكر أسماء كتبه الهائلة وقال: مات رحمه الله ليلة الجمعة لثلاث ليال خلون من شهر رمضان سنة ٤١٣هـ وكان مولده يوم الحادي عشر من ذي القعدة سنة ٣٣٦هـ وصلىٰ عليه الشريف المرتضىٰ بميدان الاشنان وضاق على الناس مع كبره، ودفن في داره سنين، ونقل إلى مقابر قريش بالقرب من السيد أبي جعفر عليه السلام.[1]

وقال تلميذه الآخر الشيخ الطوسي: من أجلّة متكلّمي الإمامية، انتهت إليه رئاسة الإمامية في وقته، وكان مقدّماً في العلم وصناعة الكلام، وكان فقيهاً متقدماً فيه، حسن الخاطر، دقيق الفطنة، حاضر الجواب، وله قريب من مائتي مصنّف كبار وصغار، وكان يوم وفاته يوماً لم ير أعظم منه من كثرة الناس للصلاة عليه وكثرة البكاء من المخالف و الموالف.[2]

«المقنعة» أثره الخالد في الفقه

لقد ترك شيخنا المفيد تراثاً فقهياً حيث انتهج منهجاً وسطاً بين الجمود على النصوص والتوسّع في التفريعات المستمدة من القياس والاستحسان، وكتابه المقنعة قد سبك على هذا السبك، فليس كتابه متناً حديثياً فقهياً محضاً لا يخرج عن حيطة الروايات، ولا كتاباً تفريعياً تخريجياً يتوسّع في الاستدلال، ويحتوي كتابه علىٰ أبواب الفقه جميعاً، وأنت إذا قارنت بين هذا الكتاب وما ألّفه أُستاذه قبله كالمقنع للصدوق وما نقل عن القديمين (ابن أبي عقيل وابن الجنيد) من الفتاوىٰ لوجدته كتاباً متوسطاً بينهما.

إنّ شيخنا المفيد بتأليفه هذا الكتاب وغيره أضفىٰ للفقه الإمامي ثوباً

---

١. النجاشي: الرجال: برقم ١٠٦٨.

٢. الطوسي: الفهرست: برقم ٧١٠.

جديداً، فأخرج الفقه من حصار الوقوف على النصوص كما كان عليه الصدوقان كما حدّده بقواعد لها رصيد في الكتاب والسنّة، من دون أن يتعبّد بما لم ينزل بها من سلطان كالقياس والاستحسان، وكأنّه تبع نهج ابن أبي عقيل الذي كان يثني عليه ويطريه ثناءً علىٰ شخصيته ومنهج فقهه، فما هو المعروف انّ المقنعة فقه منصوص فليس على صواب.

نعم ليس هو كتاباً تفريعياً تخريجياً كالمبسوط وغيره.

وأمّا سائر مؤلّفاته الفقهية فقد ذكر أسماءها تلميذه النجاشي في «رجاله»، فلاحظ.[1]

البصمات التي تركها المفيد على الفقه الإمامي

١. نحل الشيخ المفيد للفقه الإمامي منهجية موضوعية بعيدة عن الجمود والتزمّت الذي كان عليه المحدّثون، وعن الأساليب التي كانت على الخلاف من أُصول أئمّة أهل البيت كالعمل بالقياس والاستحسان وغيرهما، ففي هذا الجو المشحون بالتفريط والإفراط أخذ الشيخ بزمام الفقه ونفض عنه غبار الجمود وجعله في منحى التكامل والازدهار.

فبينما تجد أنّه كان يندّد بكل محدث لا يأبى بما أخذ وعمّن أخذ ويعمل بخبر الواحد دون اكتراث في جميع المجالات، كان يندّد أيضاً بمن حاول تبسيط الفقه وفق القياس والاستحسان، و أثبت بذلك الهوية الفكرية والفقهية للشيعة الإمامية وحدّد معالمها بعدما تعرّض الفقه لمنعطفات حرجة كادت تقوّض كيانه.

---

١. النجاشي: الرجال: برقم ١٠٦٨.

وقد كان شيخنا الوالد الشيخ محمد حسين السبحاني(١٢٩٩ـ١٣٩٢هـ) يحكي عن أُستاذه شيخ الشريعة الاصفهاني (١٢٦٦ـ ١٣٣٩هـ) أنّه قال: إنّ لبعض الفقهاء حقاً عظيماً في تثبيت الهوية الفكرية للشيعة في سالف الزمان، منهم: الشيخ المفيد فقد جعل الفقه ينحو منهج أهل البيت عليهم السلام صائناً له عن التحريف والإضلال.

٢. انّ لأكثر فقهائنا مع تثبتهم في الفقه فتاوى شاذة تخالف فتاوى مشاهير الفقهاء، ولكن شيخنا المفيد في منأى عن هذه الوصمة، فمع أنّه تتلمذ على أيدي أهل القياس والاستحسان، ولكنّه لم يتأثر بأفكارهم قيد أنملة، وقد أبعد القياس والاستحسان والاستصلاح عن فقهه.

٣. يعد الشيخ المفيد أوّل من صنّف كتاباً جامعاً في أُصول الفقه مشتملاً على جميع الأبواب، فإنّ من تقدّمه من العلماء ألّفوا رسائل خاصة في بعض موضوعات علم الأُصول ولم يصل إلينا كتاب جامع لجميع أبوابه، ومن هؤلاء:

أ. هشام بن الحكم صنّف كتاب «الألفاظ».

ب. يونس بن عبد الرحمن صنّف كتاب «اختلاف الحديث».

ج. أبو سهل النوبختي صنّف كتاب «الخصوص والعموم».

د. الحسن بن موسى النوبختي ألّف كتاب «خبر الواحدوالعمل به»، وكتاب «الخصوص والعموم».

هـ. ابن الجنيد له كتاب «كشف التمويه والالباس على اعمال [1] الشيعة في أمر القياس».

و. أبو منصور السرام النيسابوري له كتاب في إبطال القياس.

---

١. وفي نسخة: اغمار.

ز. محمد بن أحمد بن داود المعروف بـ«ابن داود» له كتاب مسائل الحديثين المختلفين.

لكنّها لا تعدو أن تكون في نطاق مسائل خاصة من علم أُصول الفقه، وقد قام المفيد بتأليف كتاب جامع لمباحث علم الأُصول الدارجة في تلك الأزمنة أسماه بـ «التذكرة بأُصول الفقه» [١]، وقد ذكره النجاشي باسم كتاب «أُصول الفقه» وقام تلميذه الكراجكي بتلخيصه في كتابه «كنز الفوائد» المطبوع قديماً وحديثاً.

ثمّ توالى التأليف في أُصول الفقه بعد شيخنا المفيد، فألّف تلميذه المرتضى «الذريعة» في جزءين، كما ألّف تلميذه الآخر الطوسي كتاب «العدّة» وألّف تلميذه الآخر سلاّر الديلمي كتاب «التقريب في أُصول الفقه» إلى غير ذلك.

المفيد وابتكاره للفقه المقارن

إنّ الفقيه تارةً يستعرض آراءه الشخصية أو آراء إمام نحلته ويستدل عليها دون أن يستعرض آراء فقهاء بقية النِحَلْ وهذا هو النمط السائد في أكثر الكتب الفقهية.

وأُخرى يستعرض آراءه الشخصية وآراء إمامه مع ذكر آراء فقهاء سائر النحل وذكر حججهم والمناقشة فيها، وهذا اللون من التأليف يتوقف على مقدرة علمية فائقة ليكون الممارس لها قادراً على عرض الآراء وترجيح بعضها على بعض.

وشيخنا المفيد أوّل من فتح هذا الباب على مصراعيه فألّف كتابه «الإعلام فيما اتفقت عليه الإمامية من الأحكام» وجعله ذيلاً لكتاب أوائل المقالات الذي

---

١. طبع في ضمن مصنفاته لاحظ الجزء ٩/ ٥، نشره المؤتمر العالمي بمناسبة الذكرى الألفية لوفاة الشيخ المفيد.

ذكر فيه ما اتّفقت عليه الإمامية من الأُصول مع الإشارة إلى آراء المخالفين، فبالإمعان في هذين الكتابين يقف القارئ على آراء الإمامية في الفقه والعقائد.

وقد ورث تلميذاه هذا اللون من التأليف عنه في الفقه.

فألّف السيد المرتضى «الانتصار» في ما انفردت به الإمامية مع ذكر آراء الآخرين، كما تبع الشيخ الطوسي أثر أُستاذه فألّف كتاب «الخلاف» حيث ذكر فيه آراء الفقهاء الإسلاميين وناقشها ورجح منها المذهب المختار.

نعم تكامل ما ابتكره الشيخ المفيد على يد تلميذه الشيخ الطوسي بتأليف كتاب «الخلاف» الذي تمتع بالدقة والعمق والأمانة في نقل الأقوال الفقهية من مصادرها الموثوقة حتى أنّ وفداً مصرياً من الجامع الأزهر زار سيدنا المحقّق البروجردي نحو سنة ١٣٧٧هـ فأهدى السيد لهم كتاب «الخلاف» ليكون رمزاً للوحدة.

وقد أعربوا عن رأيهم وإعجابهم بالكتاب بعد مطالعته بدقة وإمعان وأذعنوا بأمانة الشيخ في نقل أقوالهم والأُسلوب الدقيق المتبع فيه.

إنّ النهج الذي اختطه الشيخ المفيد في الفقه والأُصول والكلام بقي يفيض عطاءً على يد تلاميذه وتلامذة تلاميذه، وكأنّها صارت كلمة باقية في عقبه، فقد استنار من علومه أكابر العلماء والفضلاء عبر الزمان، وما زالت كتبه اليوم مصدر إلهام وإشعاع تنير الدرب امام رواد العلم والمعرفة.

١٣. السيد المرتضى (٣٥٥ـ٤٣٦هـ)

كان لمدرسة المفيد التي أسّسها في حاضرة العالم الإسلامي معطيات جمة وثمرات يانعة، حيث أنجبت أعلاماً وأفذاذاً للأُمّة يضنُّ بهم الدهر إلاّ في فترات خاصة، منهم: السيد علي بن الحسين بن محمد، الذي ينتهي نسبه إلى الإمام موسى

ابن جعفر بخمس وسائط، يعرّفه تلميذه النجاشي بقوله:

حاز من العلوم ما لم يدانه فيه أحد في زمانه، وسمع من الحديث فأكثر، وكان متكلماً شاعراً أديباً، عظيم المنزلة في العلم والدين والدنيا، ثمّ ذكر أسماء كتبه وقال: إنّه مات(رض) لخمس بقين من شهر ربيع الأوّل سنة ٤٣٦هـ. وصلّى عليه ابنه في داره، وتولّيتُ غسله ومعي الشريف أبو يعلىٰ محمد بن الحسن الجعفري وسلار بن عبد العزيز. [١]

ويقول تلميذه الآخر الشيخ الطوسي: كنيته أبو القاسم، لقبه علم الهدى، الأجل المرتضى، متوحّد في علوم كثيرة، مجمع على فضله، مقدّم في العلوم، مثل علم الكلام والفقه وأُصول الفقه والأدب والنحو والشعر ومعاني الشعر واللغة وغير ذلك؛ له ديوان شعر يزيد على عشرين ألف بيت، ثمّ ذكر أسماء تصانيفه.

إنّ نواحي فضل سيدنا المبجّل لا تنحصر بواحدة ولا انّ مآثره معدودة فإلى أي فضيلة نحوت فله فيها الموقف الأسمى، فهو إمام الفقه، ومؤسس أُصوله، وأُستاذ الكلام، ونابغة الشعر، وراوية الحديث، وبطل المناظرة، والقدوة في اللغة، والأُسوة في العلوم العربية كلّها، وهو المرجع في تفسير كتاب الله العزيز، وجماع القول إنّك لا تجد فضيلة إلاّ وهو ابن بجدتها. [٢]

وقد ترك سيدنا الجليل آثاراً وتآليف عديدة تصل إلىٰ ٨٦ كتاباً أو موسوعة أو رسالة، و إليك بعض ما ألّف في الفقه وأُصوله:

١. الذريعة في أُصول الفقه في جزءين.

٢. مسائل المفردات في أُصول الفقه.

---

١. النجاشي: الرجال: برقم ٧٠٦.

٢. الأميني: الغدير: ٤/ ٢٦٤ ـ ٢٦٥.

٣. مسائل الخلاف في أُصول الفقه.

هذا ما ألّفه في الأُصول؛ وأمّا في الفقه، فقد ألّف الكتب التالية:

١. إبطال القول بالعدد.

٢. مسائل الخلاف في الفقه.

٣. الناصرية في الفقه ،وهي عبارة عن ٢٠٧ مسائل استلّها الشريف المرتضى من فقه الناصر الكبير (جدّه لأُمّه) وشرحها وصحّحها، واستدل على صحتها من الكتاب والسنّة والإجماع.

٤. الديلمية في الفقه.

٥. الرد على أصحاب العدد في شهر رمضان.

٦. المصباح في الفقه. [١]

إلى غير ذلك من المسائل التي ألّفها في جواب الأسئلة والاستفسارات التي كانت ترد إليه من نواحي شتّى.وكفى في فضله انّ المعرّي لمّا خرج من العراق سئل عن السيد المرتضى، فقال:

يا سائلي عنه لما جئت تسأله ألا هو الرجل العاري من العار
لو جئته لرأيت الناس في رجل والدهر في ساعة والأرض في دار [٢]

انّ كتاب «الانتصار» من تصانيفه المعروفة، وقد ذكر في مقدّمته الداعي إلى تأليف هذا الكتاب فقال: فإنّي ممتثل ما رسمته الحضرة السامية الوزيرية

١. الطوسي: الفهرست: برقم ٤٣٣، الغدير: ٤/ ٢٦٥ـ٢٦٦.
٢. المجلسي: بحار الأنوار: ١٠/ ٤٠٨.

العميدية[١] أدام الله سلطانها، وأعلى أبداً شأنها ومكانها، من بيان المسائل الفقهية التي شُنع بها على الشيعة الإمامية، وادّعي عليهم مخالفة الإجماع وأكثرها موافق فيه الشيعة غيرهم من العلماء والفقهاء المتقدّمين والمتأخّرين، وما ليس لهم فيه موافق من غيرهم فعليه من الأدلّة الواضحة والحجج اللامعة ما يغني عن وفاق الموافق، ولا يوحش معه خلاف المخالف، وان أبيّـن ذلك وأُفصّله وأُزيل الشبهة المعترضة فيه.[٢]

ميزات فقهه

قد تعرفت أنّ لسيدنا المرتضى تآليف عديدة في الفقه، وحيث إنّ كتاب «الانتصار» من أشهر تآليفه، فنستعرض ميزات الكتاب، وبها يعلم ميزات فقهه.

١. قد ذكر السيد في مقدّمة كتابه: أنّ الداعي وراء تأليفه هو تشنيع المخالفين على الشيعة بانفرادهم بمسائل تخالف الإجماع، وذكر انّ المسائل التي صارت سبباً للتشنيع على صنفين، فصنف انفردت بها الإمامية وليس لهم موافق من أتباع سائر المذاهب، وصنف آخر وافق فيها بعض الفقهاء من المتقدّمين والمتأخّرين.

فالثاني لا يخالف الإجماع لوجود الموافق، وأمّا الصنف الأوّل فلا غرو فيه إذا عضده الدليل.

إنّما الشناعة على المذهب الذي لا يعاضده الدليل ولا تؤيده الحجة.

---

١. المراد هو أبو نصر محمد بن منصور، الملقّب بـ «عميد الملك» الكندري النيسابوري، استوزره السلطان طغرل بك السلجوقي والب أرسلان، وقتل بتفتين نظام الملك الطوسي يوم الأحد ١٦ ذي الحجة سنة ٤٥٦ هـ كما ذكره محقّق الكتاب.

٢. الانتصار: ١.

٢. قد اشتمل كتاب «الانتصار» على ٣٣٤ مسألـة، فالمسائل التي انفردت بها الإمـامية هـي ٢٥٢ مسـألة، والمسـائل التي ظـن الانفـراد بها و لهم موافـق في المذاهب الأُخرى ٨٢ مسألة، فيكون مجموع المسائل المبحوث عنها ٣٣٤ مسألة.

٣. ينقل عنـد استعراض المسـائل آراء سائر المذاهـب. [1] وبذلك أصبح كتابـه فقهاً مقـارناً، فهو يجمـع الآراء الفقهية المختلفـة لسائر المذاهـب ويقيمها ويوازن بينها بالتماس أدلّتها، وترجيح بعضها على بعض، فهذا هو الفقه المقارن أو علم الخلاف أو علـم الخلافيات، وقد كان العلـم بالخلافيات معدوداً مـن مبادئ الاجتهاد، وعرف بأنّه علم يقتدر بـه على حفظ الأحكام الفرعية المختلف فيها بين الأئمّة، أو هدمها بتقرير الحجج الشرعية وقوادح الأدلّة.

وقد تبـع السيد في ذلك أُستـاذه الشيخ المفيـد في كتابه «الإعـلام بما اتفقت عليه الإمـامية من الأحكـام» وقد ألّفه الشيخ المفيـد بطلب من الشريـف فقال في أوّله:

أدام الله للسيد الشريف التأييد، ووصل له التـوفيق والتسديد، فإنّي ممتثل ما رسمه من جمع ما اتفقـت عليه الإمامية من الأحكام الشرعيـة على الآثار المجتمعة عليها بينهم عن الأئمّة المهدية من آل محمد صلوات الله عليهم ممّن اتفقت العامة علىٰ خلافهم فيه.

من جملة ما طابقهم عليه جماعتهـم أو فريق منهم على حسب اختلافهم في ذلك لاختلافهـم في الآراء والمذاهب لتنضاف إلى كتاب أوائل المقالات في المذاهب المختارات، ويجتمـع بهما للناظر فيهما علم خـواص الأُصول والفروع، ويحصـل له منهما ما لم يسبق أحد إلى ترتيبه على النظام في المعقول. [2]

---

١. وقد ورد فيها من أعلام الرأي والفقه ما يناهز ٥٤ شخصاً. ذكره محقّق الكتاب ص ٤٦.

٢. الاعلام بما اتفقت عليه الإمامية من الأحكام:١٦.

وبا لمقارنة بين الكتابين يظهر انّ المفيد سلك مسلك الاقتضاب بخلاف تلميذه فقد استعرض المسائل بإسهاب.

٤. يستدل السيد في بعض المسائل بالإجماع، وقال: وممّا يجب علمه انّ حجّة الإمامية في صواب جميع ما انفردت به أو شاركت فيه غيرها من الفقهاء، هي إجماعها عليه، لأنّ إجماعها حجّة قاطعة، ودلالة موجبة للعلم، فإن انضاف إلى ذلك ظاهر كتاب الله تعالى أو طريقة أُخرى توجب العلم وتثمر اليقين فهي فضيلة ودلالة تنضاف إلى أُخرى وإلاّ ففي إجماعهم كفاية. [١]

ويظهر من الإمعان في الإجماعات التي استدل بها انّه يقول بحجّية الإجماع من باب دخول الإمام المعصوم في المجمعين، وأمّا أنّه كيف يمكن أن يستحصل العلم بدخول المعصوم في هذه المسائل الكثيرة، فهو موكول إلى مكان آخر.

ولما كان وجود الإمام هو السبب لحجّية الإجماع وليس للإجماع قيمة علمية إلاّ كونه كاشفاً عن وجود الحجّة الشرعية بين المجمعين، فلا يرى لمخالفة بعض العلماء قيمة تذكر، ففي مسألة لا تجب الزكاة إلاّ في تسعة أصناف، يقول:

فإن قيل: كيف تدّعون إجماع الإمامية وابن الجنيد يخالف في ذلك و يذهب إلىٰ أنّ الزكاة واجبة في جميع الحبوب التي تخرجها الأرض وإن زادت على التسعة أصناف التي ذكرتموها، وروى في ذلك أخباراً عن أئمتهم، وذكر انّ يونس كان يذهب إلى ذلك؟

فأجاب بقوله: قد تقدّم إجماع الإمامية وتأخّر عن ابن الجنيد ويونس، والأخبار التي تعلّق ابن الجنيد بها الواردة من طرق الشيعة الإمامية معارضة بأكثر وأقوى منها في رواياتهم المعروفة المشهورة. [٢]

---

١. الانتصار:٦.

٢. الانتصار:٧٧.

وصرّح بما ذكرنا (عدم قدح مخالفة معلوم النسب) في عدّة من المسائل كبعض نصب الإبل، وفي مسألة الفرار من الزكاة، أو عدم الشفعة مع تعدّد الشركاء.

وقال بتقدّم الإجماع على ابن الجنيد وابن بابويه وعدم العبرة بخلافهما لمعلومية نسبهما. [1]

وهكذا في غير تلك المواضع:

٥. قد يستمد السيد في تحقيق المسألة بالبحوث الأدبية واللغوية ويعطي لها قسطاً وافراً، نظير:

أ. تحقيق في الاعراب بالمجاورة في آية الوضوء.

ب. تحقيق في معنى المسح والغسل.

ج. تحقيق في معنى القرء.

د. تحقيق في معنى النذر.

هـ. تحقيق في معنى قوله تعالى: ﴿مكلبين﴾.

و. تحقيق لغوي في معنى الغبيراء، والفقاع.

ز. تحقيق في معنى الباغي. [2]

ولا غرو في ذلك، فإنّ السيد هو اللغوي الباحث الذي يكون قوله حجّة كغيره من أعلام اللغة، وهذا ما أذعن به الموافق والمخالف.

٦. انّ السيد لا يعمل إلاّ بالسنّة المتواترة أو المحفوفة بالقرائن دون أخبار الآحاد، ولكنّه يدّعي انّ أكثر ما نسمّيه خبر الواحد فهو خبر متواتر.

---

١. لاحظ الانتصار: ٨٠و٨٣و٢١٦.

٢. لاحظ الانتصار: ٢١، ٢٢، ١٥١، ١٦٤، ١٨٣، ١٩٨، ٢٣٢.

هذا كلّ مـا يمكن أن يقال في ملامح فقهـه إذا نظرنا إليه مـن منظار كتاب «الانتصار» ولا يفوتنـا القول بأنّ هناك ملامـح أُخر لفقهه لم نستعرضها خـوفاً من الإطالة.

وقد طبـع «الانتصار» طبعة جديـدة بتحقيق السيد محمد رضـا الخرسان في النجف الأشرف، قـدّم له مقـدّمة نافعـة شكر الله مساعيـه، ومع الاعتراف بـذلك فالكتاب بحاجة إلى تخريج الأحاديث.

ويظهر ممّـا ذكره السيد في صفحـة ٦ من مقدّمة الكتـاب انّه ألّفه بعـد سنة ٤٢٠هـ، عن عمر يتراوح بين ٦٠ و٧٠ عاماً أي في أوج نضوجه العلمي.

آراؤه في غير الانتصار

وللسيد آراء في الأُصول والفقه نشير إليها بوجه موجز:

١. يقول بجواز استعمال اللفظ المشترك في أكثر من معنىً واحد، فإذا قال: لا تنكح ما نكح أبـوك، يعم المعقودة والموطوءة، وإذا قال: إن كنت محدثـاً فتوضّأ يعم الحدثين.

٢. يعد الاستعمال عـلامة للحقيقـة، حتى جعـل صيغة الأمـر مشتركة بين الوجوب والندب.

٣. يذهب إلى:أنّ الكفّار مكلّفون بالفروع كما هم مكلّفون بالأُصول.

٤. القضاء بأمر جديد.

٥. يذهب إلى أنّ الجمل الشرطية والغائية فاقدة للمفهوم.

٦. لم يثبت حجية الاستصحاب عنده.[1]

---

١. انظر في الوقـوف على مصادر هذه الآراء والآراء الأُخر كتاب الذريعـة في أُصول الفقه:١٧، ٢٥٠، ٧٨، ١١٦، ٤٠٦ـ٤٠٧، ٨٢٩.

١٤. أبو الصلاح الحلبي (٣٧٤ـ٤٤٧هـ)

تقي الدين بن نجم الدين بن عبيد الله بن عبد الله بن محمد الحلبي، وكنيته أبو الصلاح، علم من أعلام الطائفة، وفقيه متبحّر، قرأ على الشيخ الطوسي، ومن الأمر الطريف، أن يقوم أُستاذ بترجمة تلميذه.

قال أُستاذه الشيخ الطوسي في رجاله: تقي بن نجم الحلبي، ثقة، له كتب، قرأ علينا وعلى المرتضى.[1]

وقد أطراه غير واحد من المتأخّرين، كابن شهر آشوب في «معالمه»[2]، ومنتجب الدين في «فهرسته»[3]، وابن إدريس في «سرائره»[4]، قال الأخير في مسألة من مسائل المزارعة: وما اخترناه مذهب السيد المرتضى وخيرته في «الناصريات» في مسألة المائتين ومذهب أبي الصلاح الحلبي في كتابه «الكافي» وهو كتاب حسن فيه تحقيق مواضع، وكان هذا المصنف من أصحابنا الحلبيّين من تلامذة المرتضى.

كما أطراه أيضاً غير واحد من علماء أهل السنّة.

قال ابن حجر في «لسان الميزان»: تقي الدين عمر[5] بن عبيد الله بن عبد الله بن محمد الحلبي، أبو الصلاح مشهور بكنيته من علماء الإمامية ولد لسنة أربع وسبعين وثلاثمائة وطلب وتمهّر وصنّف، وأخذ عن أبي جعفر الطوسي وغيره ورحل إلى العراق فحمل عن الشريف المرتضى، ومات سنة ٤٤٧هـ.[6]

---

١. الطوسي: الرجال: ٤٥٧، باب من لم يرو عن الأئمّة.
٢. ابن شهر آشوب: معالم العلماء: ٢٩.
٣. منتجب الدين: الفهرست: ٣٠ برقم ٦٠، باب التاء.
٤. ابن إدريس: السرائر: ٢٦٦، الطبعة القديمة.
٥. هو مصحف نجم.
٦. ابن حجر: لسان الميزان: ٢/ ٧١.

آثاره في الفقه

١. البداية ذكره ابن شهر آشوب في معالم العلماء.

٢. الكافي في الفقه، وقد طبع وانتشر.

٣. اللوامع في الفقه.

٤. مختصر الفرائض الشرعية.

وله في غير الفقه تآليف أشهرها: «تقريب المعارف» في الكلام، وتجد له ترجمة وافية في مقدمة كتاب «الكافي»، و يعرب كتابه هذا عن استقلاله في الفكر واعتماده على تفكيره الذاتي.

١٥. أبو يعلى حمزة بن عبد العزيز الديلمي (المتوفّى٤٤٨هـ)

لقد كانت مدرسة شيخنا المفيد ذات عطاءٍ و افرٍ ومن خرّيجيها شيخنا أبو يعلى حمزة بن عبد العزيز المعروف بـ«سلاّر الديلمي».

قال العلاّمة في «الخلاصة»: سلاّر بن عبد العزيز الديلمي أبو يعلى ﷺ شيخنا المقدّم في الفقه والأدب وغيرهما، وكان ثقة وجهاً، له: «المقنع» في المذهب، و«التقريب» في أُصول الفقه، والمراسم، والرد على أبي الحسين البصري في نقض الشافي، والتذكرة في حقيقة الجوهر والعرض، قرأ على المفيد وعلى السيد المرتضى قدّس سرّهما. [١]

وعن الشيخ بهاء الدين العاملي انّ السيد المرتضى أمر سلاّراً بنقض نقض الشافي فنقضه. [٢]

---

١. ابن المطهر: الخلاصة: ٨٦ برقم ١٠، طبع النجف.

٢. بحر العلوم في رجاله: ٣/ ١١.

ألّف القاضي عبد الجبار المتوفّى (٤١٥هـ) كتاباً في إبطال مذهب الشيعة وسمّاه الكافي، فألّف السيدالمرتضى المتوفّى (٤٣٦هـ) كتاباً سمّاه الشافي في نقض الكافي.

ثمّ صنّف أبو الحسين البصري المتوفّى (٤٣٦هـ)كتاباً في نقض الشافي، فألّف سلاّر كتاباً في نقض نقض الشافي بأمر من أُستاذه، وترجمه منتجب الدين في «فهرسته» [١]، وابن شهر آشوب في «معالم العلماء». [٢]

مشايخه وتلامذته

تخرّج كما عرفت على يدي الشيخ المفيد والسيد المرتضى كما نص به العلاّمة في «خلاصته».

وقال الخوانساري: إنّه كان من أخص خواص سيدنا المرتضى ومعتمداً على فقهه وفهمه وجلالته عنده في الغاية، فعيّنه في جملة من عيّنه للنيابة عنه في البلاد الحلبية باعتبار مناصب الحكام، بل ربما كان يدرّس الفقه نيابة عنه ببغداد كما حكي عن خط الشهيد، وأضاف بأنّ أبا الحسين البصري لما كتب نقض الشافي لسيدنا المرتضى أمر السيد سلاّراً بنقض نقضه فنقضه. [٣]

وممّن تخرّج على يده لفيف من أعلام الطائفة،نذكر جملة منهم:

١. الفقيه شمس الإسلام الحسن بن الحسين بن بابويه، ذكره الشيخ منتجب الدين في «الفهرست». [٤]

---

١. منتجب الدين: الفهرست: ٨٤ برقم ١٨٣.

٢. ابن شهر آشوب: معالم العلماء:١٣٥، باب الكنى.

٣. الخوانساري: روضات الجنات:٢/ ٣٧١.

٤. منتجب الدين:الفهرست:٤٦.

٢. أبو محمد عبد الرحمن بن أحمد بن الحسين النيسابوري الخزاعي شيخ الأصحاب.[١]

٣. عبد الجبار بن عبد الله المقري الرازي.[٢]

٤. عبيد الله بن الحسن بن الحسين بن بابويه.[٣]

٥. الشيخ أبو علي الطوسي، وهو ابن شيخ الطائفة الطوسي المتوفّى (٥١٥هـ) فإنّه يروي عن سلاّر.[٤]

٦. أبو الكرم المبارك بن فاخر النحوي، قال الصفدي: كما في بغية الوعاة للسيوطي بأنّه قرأ على المترجم له.[٥]

وقد عصفت الحوادث بآثاره، فلم يصل إلينا سوى كتاب واحد، وهو «المراسم العلوية في الأحكام النبوية» وقد اختصره المحقّق الحلّي بالتماس بعض أصحابه.[٦]

وقد طبع الكتاب عدّة مرّات أفضلها ما قام بها المجمع العالمي لأهل البيت مع مقدّمة للسيد محسن الحسيني الأميني شكر الله مساعيه.

١٦. محمد بن الحسن الطوسي (٣٨٥-٤٦٠هـ)

يمتاز الشيخ محمد بن الحسن الطوسي عن أكثر معاصريه بأنّه كان ذا مواهب كثيرة، ففي حين أنّه محدّث كبير، و ألّف للشيعة الإمامية الجامعين

---

١. منتجب الدين: الفهرست: برقم ٢١٩.

٢. منتجب الدين: الفهرست: برقم ٢٢٠.

٣. بحر العلوم: الفوائد الرجالية: ٣/ ٥.

٤. الحر العاملي: أمل الآمل: ٢/ ١٢٧.

٥. السيوطي: بغية الوعاة: ٥٩٤.

٦. رياض العلماء: ٢/ ٤٤٣.

الكبيرين «التهذيب» و«الاستبصار» فهو فقيه متضلّع في الفقه.

ولقد مرّتْ ترجمته في هذا الدور عند ذكر كبار المحدّثين الذين دوّنوا جوامع الحديث، فلا حاجة إلى تكرار ما سبق، إلاّ أنّه نشير إلى شخصيته الفقهية، وكفى في حقّه انّـه تتلمذ على علمين كبيرين هما: المفيد و المرتضى، فصار علماً للفقه، ومرجعاً للشيعة على الإطلاق بعد رحيل أُستاذه الشريف المرتضى عام ٤٣٦هـ وصارت كتبه مرجعاً ومصدراً لروّاد العلم، حتى أضحىٰ كتابه «النهاية» في مجرّد الفقه كتاباً دراسياً عدّة قرون.

يقول الشيخ النجاشي في حقّه: محمد بن الحسن بن علي الطوسي، أبو جعفر، جليل من أصحابنا، ثقة، عين، من تلامذة شيخنا أبي عبد الله، ثمّ ذكر أسماء كتبه.

وقد ترجم الشيخ نفسه في كتاب «الفهرست» وقال: محمد بن الحسن الطوسي مصنّف هذا الفهرست، له مصنّفات، ثمّ ذكر أسماء ما ألّفه بوجه مبسوط.

وقال العلاّمة: شيخ الإمامية، ورئيس الطائفة، جليل القدر، عظيم المنزلة، ثقة، عين، صدوق، عارف بالأخبار والرجال والفقه والأُصول والكلام والأدب، وجميع الفضائل تنسب إليه.

صنف في كلّ فنون الإسلام، وهو المهذّب للعقائد في الأُصول و الفروع، والجامع لكمالات النفس في العلم والعمل.[1]

وقد أثنى عليه أعلام الفريقين عبر القرون، ويطول بنا الكلام عند ذكر إطراءاتهم، فمن أراد الوقوف علىٰ ترجمته، فليرجع إلى مقدمة كتابيه «التبيان»

١. الخلاصة: ١٤٨.

و«الرجال».

وقد ذاع صيته في آفاق واسعة، وعلت منـزلته حتى نرىٰ أنّ الخليفة القائم بأمر الله بن القادر بالله، جعل للشيخ الطوسي كرسي الإفادة والبحث، وكان لكرسي الإفادة والكلام مقام كبير يومذاك.

وقد خدم الشيخ الطوسي علم الفقه بأساليب شتى، فتارة ألّف في الفقه على مسلك الأخباريين وأصحاب الحديث، فجرّد النصوص عن الأسانيد وأسماه بـ«النهاية» في مجرّد الفتاوى، وكان الكتاب كتاباً دراسياً إلى زمن المحقّق الحلّي قبل تأليف الشرائع.

كما ألّف في الفقه على مسلك المجتهدين وأسماه بـ«المبسوط» وآثر فيه طريق المجتهدين، وقال في مقدمته: إنّه كتاب لم يصنف مثله، ولا نظير له بين كتب الأصحاب، ولا في كتب المخالفين، إلى أن قال:

إنّ أصحابنا ألفوا الأخبار وما رووه من صريح الألفاظ، حتى أنّ مسألة لو غيّر لفظها وعبّر عن معناها بغير اللفظ المعتاد لهم، تعجبوا منها، وقصر فهمهم عنها.[1]

كما انّه خدم الفقه بتأليف كتاب على نمط ثالث، وهو العلم بالمسائل الخلافية، فكتابه «الخلاف» يعد فقهاً مقارناً يوقف القارئ علىٰ آراء فقهاء مختلف النحل، وهو ليس ممّن يجمع الآراء المختلفة في المسائل الفقهية دون إجراء موازنة بينها، بل يذكر الآراء ويقوّمها ويوازنها بترجيح ما اختاره على غيره من الآراء.

وقد ألّف في مضمار الفقه كتباً ورسائل كثيرة ذكرت أسماؤها في ترجمته، ولا نطيل بها الكلام، وإنّما نلفت نظر القارئ الكريم إلى نكتة مهمة وهي: انّ الشيخ

---

١. المبسوط: ١/ ٢.

ألّف «تهذيب الأحكام» شرحاً لكتاب «المقنعـة» في حال حياة أُستاذه، ولم يتجاوز عمره ٢٧ سنـة، ولكنّه عندما يستـدل على المسألة يستـدل كأنّه فقيه متبحّـر أفنى قسماً كبيراً من عمره في دراسة الفقه.

يقـول سيد مشـايخنـا المحقّق البروجـردي: وأنـت إذا نظرت إلىٰ كلماتـه في الكتابين (الطهارة والصلاة) وما جادل به المخالفين في المسائل الخلافية، كمسألة مسح الـرجلين، وما أفاده في مقام الجمـع بين الأخبار واختياراته في المسـائل، وما يستند فيه إليها، وما يورده من الأخبار في كلّ مسألة، تخيّلته من أبناء السبعين وأنّه صرف عمره الطـويل في تحصيـل العلوم الأدبيـة والأُصولين و القـراءات والتفسير ومسائل الخلاف والوفاق، وطاف البلاد في طلب أحاديث الفريقين وما يتعلّق بها من الجرح والتعديل، حتّى صارت له قدم راسخة في جميع العلوم الدينية، ولو قيل لك إنّـه كان شـاباً حـدثاً من أبنـاء أربع أو ثمان وعشريـن لأنكرت ذلـك وقلت انّ هذا لشي عجاب. [١]

آثاره الأُصولية والرجالية

إنّ الاجتهـاد المنهجي يعتمـد على قواعـد أُصوليـة تمهّد للمجتهـد طريـق الاستنباط، وليس لمن يريد وضع الحلول للتفريعـات إلاّ دراسة تلك القواعد بدقة وإمعـان، فلولاهـا لما قـام للفقه عمـود ولا اخضرَّ له عـود، فـالمستنبط يعتمـد في استنباطه على الإجماع وخبر الواحد، فلولا إثبـات حجيتهما في علم آخر لما صحّ له الاستناد إليها، كما انّه يفتي بالإجزاء عند امتثال الأوامر الواقعية الأوّلية أو الثانوية أو الظاهرية، فلولا إثبات الإجزاء في علـم آخر لعرقلت خطاه في الفقه، وهكذا في سائر المسائل الفقهية.

---

١. الخلاف: مقدّمة السيد المحقّق البروجردي، ص ٢، الطبعة الأُولى.

وقد خدم الشيخ الفقه بتأليف كتاب ثالث أوسع ممّا ألّفه أُستاذاه المفيد والمرتضى، فقد ألّف كتاب «العدّة» وهو كتاب مبسوط حاو لجميع المسائل الأُصولية، وفيه بعض المسائل الكلامية التي كانت تدرس في الأُصول، ويظهر إخلاص الشيخ في منهجه العلمي بأنّه ما ترك باباً إلاّ وطرقه، ولا ثغراً إلاّ وسدّه.

وقد كان لأصحابنا مؤلّفات كثيرة متعدّدة في الرجال ولكنّها دون المستوى المطلوب فأخذ الشيخ بزمام المبادرة وألّف كتباً رجالية مختلفة منها:

١. الرجال: ألّف هذا الكتاب بصورة الطبقات، فذكر أصحاب النبي ﷺ، ثمّ أصحاب كلّ واحد من الأئمّة على حسب الحروف الهجائية، وهو أحد الأُصول الأربعة الرجالية المعتمد عليها عند علمائنا يتضمن زهاء ثمانية آلاف وتسعمائة اسم، و الغرض من وراء هذا التأليف تمييز طبقاتهم لا تمييز الممدوح من المذموم، ولو وثّق بعضهم في خلال ترجمته فإنّما كان استطرادياً.

٢. اختيار الرجال: وهو تلخيص رجال الكشي الموسوم بمعرفة الناقلين عن الأئمّة الصادقين. فقد عمد الشيخ الطوسي إلى تهذيبه وتجريده من الزيادات والأغلاط وأملاه علىٰ تلاميذه في المشهد الغروي، و كان بدء إملائه يوم الثلاثاء ٢٦ من صفر سنة ٤٥٦هـ كما حكاه السيد رضي الدين علي بن طاووس في «فرج المهموم» عن نسخة خط الشيخ.

٣. الفهرست: ذكر فيه أصحاب الكتب والأُصول وأنهىٰ إليهم وإليها أسانيده عن مشايخه، وهو يحتوي على ما يقارب التسعمائة اسم من أسماء المصنّفين، وهو من الآثار الثمينة الخالدة.

وقد ألّف «الفهرست» بعد تأليفه لكتاب الرجال، ويشهد عليه أنّه ذكر كتاب «الرجال» في فهرسته.[١]

---

١. الفهرست: برقم ٧١٣.

كان الشيخ الطوسي فيّاضاً في العلم، سبّاقاً في حلبة البحث، فلم يقتصر على التأليف والتدريس في الفقه وأُصوله ورجاله، بل ألّف أيضاً كتاب «التبيان» في التفسير، وهو كتاب جامع لعلوم القرآن، يصدر عنه شيخنا الطبرسي في «مجمع البيان» ويغترف منه.

كان درس الشيخ يعجّ بعلماء كلا الفريقين، ولكن في عام ٤٤٨هـ تعرضت بغداد لأزمات شديدة رافقتها فتن طائفية، ولم ينج الشيخ الطوسي من شرارتها، فلم يجد بدّاً من مغادرة بغداد إلى النجف الأشرف.

لم يكن إحراق مكتبة الشيخ وكرسيّه ونهب داره أمراً سهلاً، فقد ترك مضاعفات خطيرة أدناها تشتّت أصحابه في الأمصار الإسلامية؛ فهاجر سلّار إلى إيران، وتوفي في قرية «خسرو شاه» من اعمال تبريز، وله هناك مزار؛ كما هاجر النجاشي إلى «مطير آباد» من اعمال سامراء؛ وهاجر لفيف مع الشيخ إلى النجف الأشرف. وتوفّي الشيخ في مهجره في محرم عام ٤٦٠هــ وقبره هناك مزار يقصده الخاص والعام وهو في المسجد الذي سمّي باسمه.

لقد بلغ الشيخ الذروة في مختلف العلوم الإسلامية اعترف بفضله القريب والبعيد حتى اتخذت كتبه مصدراً للفتيا قرابة قرن و احد، وما هذا إلاّ لغزارة علمه وتألّق نجمه في حياته وبعد مماته.

خصائص فقه الشيخ الطوسي

١. اتبع الشيخ الطوسي في فتاواه وتآليفه الفقهية نهج أُستاذيه المفيد والمرتضى، وقد أُتيحت له فرصة الوقوف على الكتب الفقهية أكثر ممّا وقف عليه أُستاذاه، فأحاط بآراء المذاهب الأُخرى إحاطة تامة لا نجد مثيلها في كتب المفيد والمرتضى.

٢. بلغ التفريع والتخريج علىٰ يده القمة، فما ترك فرعاً إلاّ خاضه ويعد كتابه «المبسوط» خير شاهد على ذلك، وقد مضى على تأليفه قرابة عشرة قرون ومع ذلك لم يؤلّف كتاب مثله، والكتاب مع كونه يحتوي على دورة فقهية كاملة، لكنّه سلس الألفاظ، سهل التناول، موجز في النقل، مختصر في الاستدلال، على خلاف ما نراه في كتابي «التذكرة» و«المنتهىٰ» فإنّهما في غاية البسط خصوصاً الأخير.

٣. استخرج قواعد عقلية واعتمد عليها في مقام التفريع، وبذلك ردّ على خصوم الشيعة وصمة العار التي ألصقوها بهم، قال في أوّل «المبسوط»:

«إنّي لا أزال أسمع معاشر مخالفينا من المتفقهة والمنتسبين إلى علم الفروع يستحقرون فقه أصحابنا الإمامية، ويستنزرونه، وينسبونهم إلى قلّة الفروع وقلّة المسائل، ويقولون: إنّهم أهل حشو ومناقضة، وإنّ من ينفي القياس و الاجتهاد لا طريق له إلى كثرة المسائل ولا التفريع على الأُصول، لأنّ جل ذلك وجمهوره مأخوذ من هذين الطريقين؛ وهذا جهل منهم بمذهبنا، وقلّة تأمل لأُصولنا، ولو نظروا في أخبارنا وفقهنا لعلموا أنّ جلّ ما ذكروه من المسائل موجود في أخبارنا ومنصوص عليه تلويحاً عن أئمتنا الذين قولهم في الحجة يجري مجرىٰ قول النبي ﷺ إمّا خصوصاً، أو عموماً، أو تصريحاً، أو تلويحاً.

وأمّا ما كثّروا به كتبهم من مسائل الفروع، فلا فرع من ذلك إلاّ وله مدخل في أُصولنا ومخرج على مذهبنا لا على وجه القياس، بل على طريقة يوجب علماً ويجب العمل عليها ويسوغ الوصول إليها من البناء على الأصل، وبراءة الذمة، وغير ذلك مع أنّ أكثر الفروع لها مدخل فيما نص عليه أصحابنا، وإنّما كثر عددها عند الفقهاء لتركيبهم المسائل بعضها على بعض وتعليقها والتدقيق فيها، حتى أنّ كثيراً من المسائل الواضحة دق لضرب من الصناعة وإن كانت المسألة معلومة واضحة».

إنّ الشيخ الطوسي كان يعمل بخبر الواحد تحت شروط خاصّة، وقد أعرب عن رأيه في كتاب «العدّة» وبذلك خالف أُستاذيه المفيد والمرتضى، وقال بحجية الإجماع كأُستاذيه، ويظهر انّ الإجماع عنده حجّة لكشفه عن قول المعصوم فقط، وله آراء خاصة في الأُصول يظهر ذلك لمن راجع كتاب «العدّة».

ميزات هذا الدور

قد مرّ آنفاً انّ هذا الدور ابتدأ من عام ٢٦٠ إلى ٤٦٠هـ أي قرابة مائتي سنة، وهذا الدور من الفقه من أخصب الأدوار عطاءً في تاريخ المذهب الإمامي، والمهم هو تناول الميزات التي تمتع بها هذا الدور:

مرّ الفكر الشيعي بأزمات حادة خصوصاً بعد غيبة الإمام الثاني عشر عجّل الله فرجه الشريف، فقد انتهز مخالفوه الفرصة للانقضاض عليه ببث الشبهات في الإمامة، وقد أوجدت تلك الشبهات أصداءً واسعة في الأجواء الشيعية حتى كادت تؤثر، لولا قيام أفذاذ من العلماء في تلك الحقبة، وفي طليعتهم: الصدوق والمفيد والمرتضى والطوسي، بأخذ زمام الأُمور وتثبيت الهوية الفكرية للشيعة في مختلف المجالات من خلال القيام بأُمور:

١. كبح جماح الانتهازيين الذين ادّعوا النيابة الخاصة للإمام الثاني عشر امام النواب الأربعة الذين كانت لهم النيابة الخاصة، فحفظوا الشيعة من الانخراط في صفوفهم.

٢. الرد على المشكّكين وأصحاب المقالات الضالّة في أمر الإمامة والغيبة إذ أنكروا إمكان الغيبة، وأنكروا إمكان حياة الإمام فترة طويلة.

٣. تثبيت الهوية الفكرية العقائدية للشيعة حيث خلّصوا العقائد من

رواسب الروايات الضعيفة وسبكوها بسبكة علمية فكرية بعيداً عن الغلو والتقصير، وقد عقدوا أندية فكرية للمناظرة مع أصحاب المقالات، كالزيدية والإسماعيلية والواقفة، الذين كانوا على نهج الإمامة ثمّ انحرفوا، كما عقدوا أندية مناظرات مع غيرهم من المذاهب.

٤. تأليف جوامع فقهية وغربلة الأحاديث، لتمييز الصحيح منها من السقيم.

٥. إقامة الصلة بين الحوزات الشيعية التي أُنشِئت آنذاك في بغداد وقم وخراسان، والتي ازدهرت في هذا الدور، وإليك لمحة خاطفة عنها:

المراكز الفقهية التي ازدهرت في هذا الدور

إنّ أهم المراكز الفقهية للشيعة في هذا الدور عبارة عن:

١. جامعة الكوفة وجامعها الكبير.

٢. جامعة قم.

٣. جامعة بغداد.

ارتحل الإمام الحادي عشر الإمام العسكري عليه السلام عام ٢٦٠هـ، وقد اتخذ خلفاء بني العباس لا سيما عصر المأمون سياسة الحذر والحيطة حيال الأئمّة، لئلاّ يثيروا حفيظة شيعتهم فاستقدموهم من المدينة المنوّرة إلى العراق بغية الإشراف على نشاطاتهم وتحركاتهم السياسية، هذا وغيره صار سبباً لتقلص نشاط مدرسة الحديث والفقه للشيعة في المدينة المنوّرة، وقد ازدهرت جامعة بغداد في الدور الثاني بفضل علماء الشيعة وفقهائهم بعد أن دبَّ الضعف في كيان الدولة العباسية

وأخذ آل بويه بزمام الأُمور في أكثر مناطق العراق لا سيما بغداد حاضرة العالم الإسلامي يومذاك، وقد تألّق نجمها على يد نابغة العراق الشيخ المفيد (٣٣٦ ـ ٤١٣هـ) والسيد المرتضى علم الهدى (٣٥٥ ـ ٤٣٦هـ) والشريف الرضي (٣٥٩ـ٤٠٦هـ).

ولما توفّي السيد المرتضى آلت زعامة حوزة بغداد إلى الشيخ الطوسي ودام هذا الأمر إلى أن ضعفت واضمحلّت سلطة البويهيين ودخل طغرل بك الحاكم التركي بغداد، وأشعل نار الفتنة فيها بين الطائفتين،وأحرق دوراً في الكرخ، ولم يقتصر على ذلك بل قصد دار الشيخ وأخذ ما وجد فيها من دفاتر وكتب وأحرقها ،وأحرق كرسي الكلام، عندها هاجر إلى النجف الأشرف فأسّس حوزة علمية فيها تقاطر إليها الفقهاء ورواد العلم من كلّ صوب وحدب واكتظت بهم، فصارت جامعة النجف الأشرف بديلاً عن جامعة بغداد.

٤. مدرسة النجف الأشرف

إنّ هذه الحادثة المؤلمة التي أدّت إلى ضياع التراث الفقهي الشيعي وقتل الأبرياء، دفعت بالشيخ إلىٰ مغادرة بغداد واللجوء إلى النجف الأشرف وتأسيس مدرسة علمية شيعية في جوار قبر أمير المؤمنين عليه السلام ، وشاء الله تبارك وتعالى أن تكون هذه المدرسة مشعلاً منيراً لروّاد العلم على مر العصور.

المعروف أنّ الشيخ هو المؤسس لتلك الجامعة العلمية المباركة، وهذا أظهر من الشمس في رائعة النهار، بيد أنّه يظهر من النجاشي وغيره أنّ الشيخ ورد عليها وكان النشاط العلمي يدبُّ فيها يومذاك حيث يقول في ترجمة الحسين بن أحمد بن المغيرة: له كتاب «عمل السلطان». أجازنا بروايته أبو عبد الله بن الخمري الشيخ

صالح في مشهد مولانا أمير المؤمنين سنة ٤٠٠ هـ عنه.[1]

ولقد استغل الشيخ تلك الأرضية العلمية، وأعانه على ذلك الهجرة العلمية الواسعة التي شملت معظم الأقطار الشيعية، فتقاطرت الوفود إليها، من كلّ فج، فصارت حوزة علمية وكلية جامعة في جوار النبأ العظيم علي أمير المؤمنين منذ عصر تأسيسها عام ٤٤٨ هـ إلى يومنا هذا، وقد مضى على عمرها قرابة ١٠٠٠ سنة، وهي بحق شجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي أكلها كل حين بإذن ربّها.

إنّ لجامعة النجف الأشرف حقاً كبيراً على الإسلام والمسلمين عبر القرون، فمن أراد الوقوف على تاريخها والبيوتات العلمية التي أنجبتها، فعليه الرجوع إلى كتاب «ماضي النجف وحاضرها» في ثلاثة أجزاء، كما أنّه قد قام الشيخ هادي الأميني بتخريج أسماء لفيف من العلماء الذين تخرّجوا من تلك المدرسة الكبرىٰ.

---

١. النجاشي: الرجال: ١/ ١٩٠، برقم ١٦٣.

أدوار الفقه الإمامي

٣

الدور الثالث:

عصر الركود

(٤٦٠-٦٠٠هـ)

خدم شيخ الطائفـة الفقه الشيعي خدمة جليلة عظيمـة، فلم يترك موضعاً إلاّ ولجه، ولا ثغراً إلاّ سـدّه، ولا حاجـة إلاّ رفعها، فبـزغ نجمه في شتـى المجالات الفكريـة، ففي مجال الحديث له الحظ الـوافر والقدح المعلّـى، ويشهـد على ذلك جامعاه «التهذيب» و«الاستبصار».

وأشاد أُسس الأُصول بتـأليفه القيم «العدّة» كما بلغ الذروة في تـأليف الفقه بألـوان شتّى، فألّف «النهـاية» في مجرد الفتاوى، و«الخلاف» في علـم الخلافيات، و«المبسوط» في التفريعات، وسدّ الفراغ في التفسير بتأليفه كتاب «التبيان في تفسير القـرآن» في عشرة أجـزاء، وتـرك ميراثـاً رجـالياً ضخماً بتـآليفـه الثـلاثـة، أعنـي:

---

١. استمر الـركود إلى عصر الفقيـه المجدّد المعروف بـابن إدريس (٥٤٢ـ٥٩٨هــ) الذي نفـض غبار الركود عن كـاهل الفقه بتأليفه الرائع المسمّـىٰ بالسرائر، الذي فرغ من تأليـف كتاب الميراث منه سنة ٥٨٨هــ، و على ضوء ذلك ينتهـي الدور الثالـث بظهور أفكـار الفقيه المجدد إلى السـاحة الفكريـة، و لمّا كان ما بذلـه من الجهود و ما طـرحه من أفكـار تعد أُولى الخطوات لدخـول الفقه مرحلة جديدة فلا يكون لها تأثير ملمـوس إلاّ بمرور زمان تستقطب فيها أفكار العلماء و تقع تحت شريحة النقد، فآثـرنا تحديد نهاية الدور الثالـث بتمامية القرن السـادس، فيكون تحديـد نهاية الدور السابق و بداية الدور اللاحق تحديداً تقريبياً.

الرجال، والفهرست، وتلخيص الكشي (اختيار معرفة الرجال)، إلى غير ذلك من مصنّفاته.

وقد استأثر الشيخ بعواطف تلاميذه ومعاصريه، واستطاع أن يحتل في قلوبهم مكانة رفيعة أهالت عليه حالة من القداسة، جعلت مخالفته، ونقاش آرائه إهانة لشخصيته الفذة.

نعم كان ذلك هو الطابَع العام السائد، وإن وجد هناك من ناقش آراءه وخالفها، ولكن كانوا نزراً يسيراً.

وهذا هو الشيخ سديد الدين محمود الحمصي من علماء القرن السادس يصف تلك الفترة من الركود قائلاً: بأنّه لم يبق للإمامية مفت على التحقيق بل كلّهم حاك.

وقال السيد ابن طاووس (المتوفّى ٦٦٤هـ) بعد نقل كلام الحمصي: فقد ظهر لي انّ الذي يفتى به ويجاب على سبيل ما حفظ من كلام العلماء المتقدّمين.

ويقول الشهيد الثاني زين الدين الجبعي العاملي (٩١١ـ٩٦٦هـ) في كتابه «الرعاية» الذي ألّفه في دراية الحديث ما هذا لفظه: إنّ أكثر الفقهاء الذين نشأوا بعد الشيخ كانوا يتبعونه في الفتوى تقليداً له، لكثرة اعتقادهم فيه، وحسن ظنّهم به، فلمّا جاء المتأخرون وجدوا أحكاماً مشهورة قد عمل بها الشيخ ومتابعوه، فحسبوها شهرة بين العلماء، وما دروا انّ مرجعها إلى الشيخ، وانّ الشهرة إنّما حصلت بمتابعته. ثمّ ذكر كلام الحمصي والسيد ابن طاووس. [1]

يقول المحقّق التستري: ولعلّ الحكمة الإلهية فيما اتّفق للشيخ تجرّده للاشتغال بما تفرّد به من تأسيس العلوم الشرعية ولا سيما المسائل الفقهية، فإنّ

---

١. مقدّمة معالم الدين: ٤٠٨، مبحث الإجماع؛ روضات الجنات: ٧/ ١٦١.

كتبه فيها هي المرجع لمن بعده غالباً، حتى أنّ كثيراً ما يذكر مثل المحقّق أو العلاّمة أو غيرهما فتاوى الشيخ من دون نسبتها إليه، ثمّ يذكرون ما يقتضي التردّد أو المخالفة فيها، فيتوهّم التنافي بين الكلامين مع أنّ الوجه فيهما ما قلناه جزاه الله وإيّاهم عنّا خير الجزاء. [١]

والذي يدفعنا إلى اتّهام الفترة بالركود هو ما نجده في الكتب المؤلّفة في الدور الرابع من الشكوى من وصف فقهاء هذه الفترة بالمقلدة تارة وبالمتفقّهة أُخرى:

يقول ابن إدريس في مقدّمة السرائر: إنّي لمّا رأيت زهد أهل هذا العصر في علم الشريعة المحمدية والأحكام الإسلامية، وتثاقلهم طلبها، وعداوتهم لما يجهلون، وتضييعهم لما يعلمون، ورأيت ذا السن من أهل دهرنا هذا، لغلبة الغباوة عليه، وملكة الجهل لقياده، مضيِّعاً لما استودعته الأيام، مقصِّراً في البحث عمّا يجب عليه علمه، حتىٰ كأنّه ابن يومه ونتيج ساعته... ورأيت العلم عنانه في يد الامتهان، وميدانه قد عطل من الرهان، تداركت منه الذماء الباقي، وتلافيت نفساً بلغت التراقي. [٢]

ثمّ يقول: فإنّ الحقّ لا يعدو أربعة طرق؛ إمّا كتاب الله سبحانه، أو سنّة رسوله ﷺ المتواترة المتفق عليها، أو الإجماع، أو دليل العقل. فإذا فقدت الثلاثة فالمعتمد في المسائل الشرعية عند المحقّقين الباحثين عن مأخذ الشريعة، التمسّكُ بدليل العقل فيها، فإنّها مبقاة عليه وموكولة إليه، فمن هذا الطريق يوصل إلى العلم بجميع الأحكام الشرعية في جميع مسائل أهل الفقه فيجب الاعتماد عليها والتمسّك بها، فمن تنكّب عنها عسف، وخبط خبط عشواء، وفارق قوله من المذهب.

---

١. التستري: مقابس الأنوار:٥.

٢. السرائر:١/ ٤١، المقدمة.

ثمّ قال في آخر مقدّمته: فعلى الأدلّة المتقـدمة أعمل، وبها آخذ وأُفتي وأدين الله تعالى، ولا ألتفت إلى سـواد مسطور، وقول بعيد عـن الحقّ مهجور، ولا أقلّد إلاّ الدليل الواضـح والبرهان اللائح، ولا أُعرِّج إلى أخبار الآحاد، فهـل هدم الإسلام إلاّ هي، وهذه المقدّمة أيضاً من جملة بواعثي على وضع كتابي هذا. [١]

ثمّ إنّـه يظهر مـن غير موضـع من كتـاب «السرائر» انّه عنـدما يفتـي على خلاف ما كان عليه فقهاء عصره المنتمون إلى الشيخ كان يتربص اتهامه بمخالفته للرأي العام في مسألة نزح ماء البئر، قال: فما يوجب نزح الجميع أو المراوحة، عشرة أشياء على هذه الطـريقة، وعدّ منها كلّ نجـاسة لم يرد في مقدار النـزح منها نص، ومنها الكافر، فهذا التحرير على هذه الطريقة صحيح. [٢]

ففي مسألة تحديد مقدار الواجب من النزح إذا مات في البئر كافر، يرى ابن إدريس أنّ الواجب نزح جميع ما في البئر، بـدليل أنّ الكافر إذا باشر ماء البئر وهو حي وجب نزحها جميعاً اتفاقاً، فوجوب نزح الجميع إذا مات فيها أولى. [٣]

وحينما أضفى على هذا الاستـدلال طابع العقل وخالف فيهـا الرأي السائد أعقب عليه بقوله: وكأنّي بمن يسمع هذا الكلام ينفر منه ويستبعده، ويقول: من قال هذا؟! ومن سطره في كتابه؟! ومن أشار مـن أهل هذا الفن الذين هم القدوة في هذا إليه؟ ثمّ أشار إلى دليل المسألة. [٤]

فقهاء الدور الثالث

وقد اتسمـت هذه الفترة بالركـود، ولكن أنجبت في أحضانها فقهـاء كباراً،

---

١. السرائر: ٥١، المقدمة.

٢و٣و٤. السرائر: ١/ ٧١ـ٧٣.

نشير إلى أسماء بعضهم أداءً للحق الذي لهم علينا:

١. ابن البراج الطرابلسي (٤٠٠ـ٤٨١هـ)

الشيخ سعد الدين أبو القاسم عبد العزيز بن نحرير الشهير بـ«ابن البراج» الطرابلسي، فقيه عصره، وقاضي زمانه، وخليفة الشيخ الطوسي في الشامات، وقد أطراه منتجب الدين في «فهرسته»[١]، وابن شهر آشوب في «معالمه»[٢]، والعلاّمة الحلّي في إجازته لبني زهرة[٣]، إلى غير ذلك ممّن ترجم له ترجمة وافية. وقصارى الكلام انّه كان زميلاً للشيخ من جهة وتلميذاً له من جهة أُخرى، وبما انّهما قرأا على المرتضى و جلسا مجلساً واحداً، فهما زميلان، وفي الوقت نفسه حضر مجلس الشيخ الطوسي أيضاً حتى أنّ الشيخ الطوسي ألّف بعض كتبه باستدعاء منه.

قال التستري: هو من غلمان المرتضى، وكان خصيصاً بالشيخ، وتلمذ عليه، وصار خليفته في البلاد الشامية، وروى عنه وعن الحلبي.[٤]

وقال المحدّث النوري بعد إطرائه: تلميذ علم الهدى وشيخ الطائفة، وكان يجري السيد عليه في كلّ شهر ثمانية دنانير، وهو مؤلّف «المهذب» و«الكامل» و«الجواهر» و«شرح الجمل».[٥]

ومع أنّ العصر الذي أعقب الشيخ قد اتّسم بالركود، لكنا نجد انّه خرج على آراء شيخه الطوسي، فقد يذكر مناظرته في مسائل فقهية في كتاب «المهذب».

١. منتجب الدين: الفهرست: ١٠٧ برقم ٢١٨.
٢. ابن شهر آشوب: معالم العلماء: ٨٠.
٣. البحار: ١٠٥/ ٢٦٥.
٤. التستري: مقابس الأنوار: ٧.
٥. المستدرك: ٣/ ٤٨١.

قال: وكان الشيخ أبو جعفر الطوسي رحمه الله قال لي يوماً في الدرس: هذا الماء[1] يجوز استعماله في الطهارة وإزالة النجاسة.

فقلت له: ولم أجزت ذلك مع تساويهما؟

فقال: إنّما أجزت ذلك، لأنّ الأصل الإباحة.

فقلت له: الأصل وإن كان هو الإباحة، فأنت تعلم أنّ المكلّف مأخوذ بأن لا يرفع الحدث ولا يزيل النجاسة عن بدنه أو ثوبه إلاّ بالماء المطلق، فتقول أنت بأنّ هذا الماء مطلق؟!

فقال: أفتقول أنت بأنّه غير مطلق؟!

فقلت له: أنت تعلم أنّ الواجب أن تجيبني عمّا سألتك عنه قبل أن تسألني بـ«لا» أو «نعم» ثمّ تسألني عمّا أردت، ثمّ إنّني أقول بأنّه غير مطلق.

فقال: ألست تقول فيهما إذا اختلطا وكان الأغلب والأكثر المطلق، فهما مع التساوي كذلك؟

فقلت له: إنّما أقول بأنّه مطلق إذا كان المطلق هو الأكثر والأغلب، لأنّ ما ليس بمطلق لم يؤثر في إطلاق اسم الماء عليه، ومع التساوي قد أثّر في إطلاق هذا الاسم عليه، فلا أقول فيه بأنّه مطلق، و لهذا لم تقل أنت بأنّه مطلق، وقلت فيه بذلك إذا كان المطلق هو الأكثر و الأغلب، ثمّ إنّ دليل الاحتياط تناول ما ذكرته، فعاد إلى الدرس ولم يذكر في ذلك شيئاً.[2]

وله مناظرة أُخرى مع شيخه الطوسي ذكرها في «المهذّب».[3]

---

١. اختلط المضاف بالماء المطلق، وكانا متساويين في المقدار.

٢. المهذب:١/ ٢٤ـ٢٥، كتاب الطهارة.

٣. المهذب:٢/ ٤١٩و٤٢٠، كتاب الكفارات.

نعم انّ شيخنا ابن البراج أدرك كلتا الدورتين، فبات مستقلاً في التفكير مناظراً مع الأبطال.

وقد ترجمناه في تقديمنا لكتابه المهذب، فمن أراد التبسط فليرجع إليه.

٢. أبو علي الطوسي (المتوفّى نحو ٥١٥هـ)

هو الشيخ الجليل أبو علي بن شيخ الطائفة أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي المجاز عن والده في سنة ٤٥٥هـ.

قرأ على أبيه جميع تصانيفه، وروى عنه، وعن سلاّر بن عبد العزيز الديلمي وغيره، وكان من كبار العلماء، فقيهاً، محدّثاً، راوية للأخبار، وأثنى عليه ابن حجر وقال:

الحسن بن محمد بن الحسن بن علي الطوسي، أبو علي سمع من والده وأبي الطيب الطبري والخلاّل والتنوخي، ثمّ صار فقيه الشيعة وإمامهم بمشهد علي (رض). سمع منه: أبو الفضل بن عطاف، وهبة الله السقطي، ومحمد بن محمد النسفي، وهو في نفسه صدوق مات في حدود ٥٠٠هـ كان متديناً. [1]

ولكن الظاهر انّه كان حياً عام ٥١٥هـ كما حُكي عن مواضع من «بشارة المصطفى» لتلميذه العماد الطبري.

وله ترجمة ضافية في «أعيان الشيعة».

ومن آثاره الفقهية:

١. شرح النهاية لأبيه أبي جعفر.

---

١. لسان الميزان: ج٢ الترجمة ١٠٤٦.

٢. المرشد إلى سبيل التعبّد.

٣. رسالة في الجمعة.

٤. كتاب الأنوار. [١]

٣. الفضل بن الحسن بن الفضل الطبرسي (٤٧١ـ٥٤٨هـ)

الشيخ الإمـام أمين الديـن أبو علي الطبرسي، ثقة، فـاضل، ديـن، عين، له تصـانيف، منهـا:«مجمع البيـان» في تفسير القرآن في عشرة أجـزاء، «الوسيـط» في التفسير في أربعة أجزاء، «الوجيز» في التفسير أيضاً، «إعلام الورى بأعلام الهدى»، إلى غير ذلك من الآثار ذكرها منتجب الديـن قال: شاهدته وقرأت بعضها عليه، يروي عن الشيخ أبي الوفاء المقري الرازي، وعن الشيخ أبي علي الطوسي، و الشيخ حسكا جد منتجب الدين، إلى غير ذلك من الأسانيد. [٢]

وأودُّ أن أنقل ما ذكره الذهبـي الحاقد على الشيعة في حق الطبرسي إذ يقول: والحقّ انّ تفسير الطبرسي، بصرف النظر عمّا فيه من نزعات تشيعية، وآراء اعتزالية، كتاب عظيم في بـابه، يدل على تبحّر صاحبـه في فنون مختلفة من العلـم والمعرفة، والكتاب يجري على الطـريقة التـي أوضحها لنا صـاحبه في تناسـق تام، وتـرتيب جميل، وهـو يجيد في كـل ناحية مـن النواحـي التي يتكلّم عنهـا، فإذا تكلّـم عن القراءات ووجوههـا أجاد، و إذا تكلم عن المعاني اللغويـة للمفردات أجاد، و إذا تكلّم عن أسبـاب النزول وشرح القصص استعرض الأقـوال وأفاض، و إذا تكلّم عن الأحكام، تعرض لمذاهب الفقهاء وجهر بمذهبه ونصره إن كانت هناك مخالفة

١. لاحظ أعيان الشيعة: ٥/ ٢٤٦.

٢. انظر ترجمته في روضات الجنات:٥/ ٣٥٧، أعيان الشيعة:٨/ ٣٩٨، طبقات أعلام الشيعة؛مستدرك الوسائل:٣/ ٣٨٧، الذريعة: ٢٠/ ٢٤، وقد ترجم له في مقدمة تفسير «مجمع البيان».

منه للفقهاء، وإذا ربط بين الآيات آخى بين الجمل، وأوضح لنا عن حسن السبك وجمال النظم، وإذا عرض لمشكلات القرآن أذهب الإشكال وأراح البال، وهو ينقل أقوال من تقدّمه من المفسّرين معزوة لأصحابها ويرجح ويوجه ما يختار منها... إلى أن قال: والحقّ أن يقال انّه ليس مغالياً في تشيّعه، ولا متطرّفاً في عقيدته.[1]

ثمّ إنّ لشيخنا الطبرسي آراء فقهية ذكرها في ذيل آيات الأحكام، فمن حاول أن يطّلع على آرائه الفقهية، فليرجع إلى الآيات التي تضمّنت أحكاماً شرعية.

وله في الرضاع وغيره آراء خاصة مذكورة في الكتب الفقهية.

٤. قطب الدين الراوندي (المتوفّى ٥٧٣هـ)

سعيد بن هبة الله بن الحسن الراوندي مؤلف «فقه القرآن في بيان آيات الأحكام» وربما يسمّى بـأُمّ القرآن، والكتاب مرتب على ترتيب كتب الفقه، ابتدأ فيه بكتاب الطهارة، ثمّ الصلاة، وهكذا إلى كتاب الديات، فرغ منه سنة ٥٦٣هـ وله كتاب «أسباب النزول».

قرأ على: شيخنا أبي علي الطبرسي المفسّر، وعماد الدين الطبري، والأخوين المرتضى والمجتبى ابني الداعي القاسم الرازي، وأبي السعادات هبة الله بن علي الشجري، وغيرهم.[2]

---

١. التفسير والمفسرون للذهبي: ٢/ ١٠٤.

٢. انظر ترجمته في روضات الجنات: ٤/ ٥ برقم ٣١٤، ومستدرك الوسائل: ٣/ ٤٤٨، طبقات أعلام الشيعة: ٣/ ١٢٤، معالم العلماء برقم ٣٦٨، الذريعة: ٧/ ١٤٥ برقم ٨٠٢.

٥. جمال الدين أبو الفتوح الرازي المتوفّى (نحو ٥٥٠هـ)

هو الشيخ الجليل قدوة المفسّرين، ترجمان كلام الله، جمال الدين أبو الفتوح الحسين بن علي بن محمد بن أحمد بن الحسين بن أحمد الخزاعي الرازي يصل نسبه إلى نافع بن هذيل بن ورقاء الخزاعي من صحابة الرسول ﷺ.

يعرّفه تلميذه الشيخ منتجب الدين في «فهرسته» بقوله: الشيخ الإمام جمال الدين أبو الفتوح الحسين بن علي بن محمد الخزاعي، عالم، واعظ، مفسّر، دين، له تصانيف منها التفسير المسمى «روض الجنان وروح الجنان» في تفسير القرآن في ٢٠ مجلداً، و«روح الأحباب وروح الألباب» في شرح الشهاب قرأتهما عليه. [١]

وترجمه تلميذه الآخر ابن شهر آشوب في «معالمه» وقال: شيخي أبو الفتوح ابن علي الرازي، عالم، له كتاب «روض الجنان وروح الجنان» في تفسير القرآن فارسي إلاّ أنّه عجيب، وشرح الشهاب. [٢]

وقد ذكر المحدّث النوري أنّ شيخنا أبا الفتوح يروي عن جماعة، منهم:

أ. الشيخ أبو الوفاء عبد الجبار الرازي.

ب. والده الشيخ علي بن محمد، الذي كان من أجلّة العلماء.

ج. الشيخ أبو علي الطوسي (المتوفّى نحو ٥١٥هـ).

د. القاضي الفاضل الحسن الاستر ابادي.

إلى غير ذلك من المشايخ. [٣]

---

١. منتجب الدين: الفهرست: ٤٥ برقم ٧٨.

٢. معالم العلماء: ١٤١ برقم ٩٨٧؛ وانظر ترجمته في أعيان الشيعة:٦/ ١٢٤، وطبقات أعلام الشيعة:٢/ ٧٩، والذريعة:١١/ ٢٧٤ برقم ١٦٩٤، ومستدرك علم رجال الحديث:٣/ ١٧٠ برقم ٤٥٤٩، ومعجم رجال الحديث:٦/ ٥٠ برقم ٣٥٣٩.

٣. مستدرك الوسائل:٣/ ٤٤٨، الفائدة الثالثة من الخاتمة.

٦. أبو جعفر محمد بن علي الطوسي المعروف بـ «ابن حمزة» (المتوفى نحو ٥٥٠هـ)

هو الشيخ الفقيه المتكلّم الأمين، أبو جعفر الرابع، عماد الدين محمد بن علي الطوسي المشهدي المشتهر بالعماد الطوسي المشهدي، والمكنّى عند فقهائنا بـ«ابن حمزة».

قال منتجب الدين في «الفهرست»: الشيخ الإمام عماد الدين، أبو جعفر محمد بن علي بن حمزة الطوسي المشهدي، فقيه، عالم، واعظ، له تصانيف. [1]

وقال الخوانساري في «الروضات»: الإمام جمال الدين، أبو جعفر الطوسي، المشهدي، شيخ، إمام، فقيه، واعظ، عالم، له تصانيف، منها: كتاب «الوسيلة». [2]

وقد أطراه غير واحد من المترجمين بكلمات مماثلة لا حاجة إلى نقلها.

بعض أساتذته وتلاميذه

ذكر الخوانساري انّه كان يروي عن أبي علي ابن الشيخ الطوسي (المتوفّى نحو ٥١٥هـ)، كما يروي عن محمد بن الحسن الشوهاني، حيث يروي عنه في كتابه «الثاقب في المناقب». [3]

كما يروي عنه السيد عبد الحميد بن فخار، كما ورد ذكره في إجازة المحقّق الكركي للقاضي صفي الدين، حيث ذكر ابن حمزة وقال: رويت جميع مصنفاته

---

١. منتجب الدين: الفهرست: ١٦٤ برقم ٣٩٠.

٢. روضات الجنات:٦/ ٢٦٧.

٣. روضات الجنات: ٦/ ٢٦٣و٢٦٦.

ومروياته بالأسانيد الكثيرة والطرق المتعدّدة، فمنها الطرق المتعدّدة إلى الشيخ السعيد جمال الدين أحمد بن فهد، عن السيد العالم النسابة الحسيني، عن والده السيد عبد الحميد، عن ابن حمزة. [١]

وقد انتشر من تصانيفه كتاب «الوسيلة إلى نيل الفضيلة» وهو دورة فقهية تشتمل على قليل من الاستدلال، طبع مستقلاً عام ١٤٠٠هـ بعد ما طبع في ضمن الجوامع الفقهية، وفي موسوعة الينابيع الفقهية.

٧. أبو الحسن علي بن الحسن بن أبي المجد الحلبي (المتوفّى بعد ٥٦٦هـ)

قال المحقّق التستري: الشيخ الفقيه المتكلّم النبيه، علاء الدين أبو الحسن علي بن أبي الفضل بن الحسن بن أبي المجد الحلبي ـ نور الله مرقده ـ وهو صاحب كتاب «إشارة السبق إلى معرفة الحق» في أُصول الدين وفروعه إلى الأمر بالمعروف، وعندي نسخة منها يعود تاريخ كتابتها إلى سنة ٨٠٧هـ. [٢]

وأطراه الخوانساري في «روضاته» [٣] وشيخنا الطهراني في «طبقاته». [٤]

والكتاب يتضمن مجموعة من المعارف والأحكام، وقد بسط الكلام في الأوّل واختصر في الثاني، فحرّر أحكام الطهارة والزكاة والصوم والحج والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وختم الكلام مشعراً بأنّه قد فرغ عمّا قصده، ويعرب انّ الكتاب كان رسالة عملية للمؤلّف، وقد كتبه بصورة واضحة وإن كانت براهينه في المعارف مشرقة،عالية لا يتحمّلها إلاّ الأمثل فالأمثل.

وقد طبع كتابه «إشارة السبق» عام ١٤١٤هـ مع تقديم منّا.

---

١. بحار الأنوار:١٠٨/ ٧٦.

٢. مقابس الأنوار:١٢.

٣. روضات الجنات: ٢/ ١١٤.

٤. طبقات أعلام الشيعة في القرن الخامس: ١١٩،وكان عليه أن يذكره في قسم القرن السادس.

٨. السيد ابن زهرة الحلبي (٥١١ـ٥٨٥هـ)

هو السيد عز الدين أبو المكارم حمزة بن علي بن أبي المحاسن زهرة يصل نسبه إلى الإمام الصادق باثنتي عشرة واسطة.

يعرّفه ابن شهر آشوب في كتابه و يقول: حمزة بن علي بن زهرة الحسيني الحلبي له كتاب «قبس الأنوار في نصرة العترة الأخيار» و«غنية النزوع» حسن.[١]

وقال العلاّمة الحلّي: حمزة بن علي بن زهرة الحسيني، قال السيد السعيد صفي الدين معد: إنّ له كتاب «قبس الأنوار في نصرة العترة الأطهار» وكتاب «غنية النزوع».[٢]

وينقل الزبيدي عن ابن العديم في تاريخ «حلب» أنّه قال: كان فقيهاً أُصولياً نظاراً على مذهب الإمامية؛ وقال ابن سعد الجواني: الشريف الطاهر عز الدين أبو المكارم حمزة، ولد في شهر رمضان سنة ٥١١هـ وتوفي بحلب سنة ٥٨٥هـ.[٣]

إلى غير ذلك من الكلمات المتماثلة التي نقلناها برمّتها عند تقديمنا لكتابه «غنية النزوع» وقد طبع وانتشر عام ١٤١٧هـ وطبع قبل ذلك أيضاً.

يروي عنه: الشيخ معين الدين المصري، والشيخ شاذان بن جبرئيل القمي الذي كان حياً سنة ٥٨٤هـ والشيخ محمد بن جعفر المشهدي صاحب المزار المشهور، وأخيرهم لا آخرهم محمد بن إدريس الحلي، وقد دارت بينهما مكاتبات ومساجلات.[٤]

---

١. معالم العلماء:٢٦ برقم ٣٠٣. ٢. إيضاح الاشتباه:١٦٨.

٣. الزبيدي: تاج العروس:٣/ ٢٤٩، مادة «زهر».

٤. لاحظ للوقوف على مصادر روايتهم عنه والمناظرات التي دارت بينه و بين ابن إدرس تقديمنا لكتاب غنية النزوع.

تعريف بكتاب غنية النزوع

يشتمل هذا الكتاب على الأُصولين والفروع وفي الحقيقة البحث فيه يدور على محاور ثلاثة:

أ. **الفقه الأكبر**: وهذا القسم مشتمل على مهمات المسائل الكلامية من التوحيد إلى المعاد.

ب. **أُصول الفقه**: وهو حاو لبيان القواعد الأُصولية التي يستنبط منها الأحكام الشرعية، ألّفه على غرار أُصول القدماء، و من فصوله النافعة بحثه عن القياس وآثاره السلبية في الفقه، وقد خلت كتب المتأخرين من أصحابنا من طرح هذه المسألة، ودراسة أدلّة المثبتين والنافين، وما هذا إلاّ لأنّ عدم حجّيته هو الأصل المسلم في فقه أهل البيت.

ج. **الفروع والأحكام الشرعية**: وهي دورة فقهية استدلالية كاملة يستدل بالكتاب والسنّة النبوية وأحاديث العترة الطاهرة والإجماع، وهذا القسم من محاسن الكتب وجلائلها.

وهو في كتابه هذا يستمد من الكتاب العزيز في مسائل كثيرة، فقد استدل بقرابة مائتين وخمسين آية، كما اعتمد على أحاديث نبوية وافرة إمّا استدلالاً على المطلوب، أو احتجاجاً على المخالف كما اعتمد على الإجماع في مسائل كثيرة قرابة ٦٥٠ مسألة، وهو في كتابه يسير على ضوء كتاب الانتصار والناصريات للسيد الشريف المرتضى وكتاب الخلاف والمبسوط لشيخ الطائفة.

٩. محمد بن الحسن الكيدري من علماء القرن السادس

وصفه شيخه ابن حمزة في إجازته له بقوله: الإمام الأجل العالم الزاهد المحقّق المدقّق، قطب الدين، تاج الإسلام، فخر العلماء، مرجع الأفاضل، محمد بن

الحسين بن الحسن الكيدري البيهقي.[١]

وقال صاحب الروضات: كان من أكمل علماء زمانه في أكثر الأفنان، وأكثرهم إفادة لدقائق العربية في جموعه الملاح الحسان.[٢]

يروي عن جماعة من مشايخنا، منهم:

١. الشيخ الإمام نصير الدين أبو طالب عبد الله بن حمزة بن عبد الله الطوسي الشارحي المشهور الذي عرّفه منتجب الدين بقوله: فقيه، ثقة، وجه؛ وهو غير محمد بن علي بن حمزة الطوسي صاحب الوسيلة، وإن كانا معاصرين، وإن زعم المحقّق السيد عبد العزيز الطباطبائي ـ المغفور له ـ كونهما شخصاً واحداً.[٣]

٢. المفسّر الكبير الفضل بن الحسن الطبرسي.[٤]

٣. محمد بن هبة الدين الراوندي.

ولشيخنا المترجم تآليف قيمة أشهرها«إصباح الشيعة بمصباح الشريعة» الذي ربما ينسب إلى الفقيه الصهرشتي، وهو غير صحيح و قد طبع مع تقديم منّا.

١٠. الإمام سديد الدين الحمصي الرازي (المتوفّى قبل ٥٨٩ هـ)

يعرّفه منتجب الدين في «فهرسته» بقوله: علاّمة زمانه في الأُصولين، ورع، ثقة، له تصانيف، وذكر كتبه، ثمّ قال: حضرت مجلس درسه سنين، وسمعت أكثر هذه الكتب في قراءة من قرأ عليه.[٥]

---

١. إصباح الشيعة: ١٥، المقدمة.
٢. روضات الجنات:٦/ ٢٩٥ برقم ٥٨٧.
٣. منتجب الدين: الفهرست:١٢٥ برقم ٢٧٢. وراجع تراثنا: العدد: ٣٩/ ٣٠٣.
٤. الذريعة:٢/ ٤٣١ برقم ١٦٩٧ تحت عنوان أنوار العقول.
٥. منتجب الدين الرازي: الفهرست: ١٦٤ برقم ٣٩٩.

ويقول التستري: عمدة المحقّقين، ونخبة المدقّقين، علاّمة زمانه في الأُصولين، الشيخ سديد الدين محمود بن علي الحمصي الرازي الحلي قدس الله روحه ونوّر ضريحه. [١]

وشيخنا هو أحد أساتذة علم الأُصول، فقد ألّف كتاباً في علم الأُصول باسم «المصادر في أُصول الفقه» فيكون هو الكتاب السادس في علم الأُصول من زمن المفيد إلى عصره؛ فقد ألّف الشيخ المفيد أوّلاً رسالة في ذلك العلم أسمّاها بـ «التذكرة»، وأكمله ثانياً تلميذه المرتضىٰ باسم «الذريعة»، وتابعه في البسط والتحقيق ثالثاً تلميذه الآخر الطوسي باسم «العدة» ،كما ألّف أبو يعلى المعروف بـ «سلاّر» كتاباً رابعاً باسم «التقريب في أُصول الفقه»، إلى أن جاء دور ابن حمزة فألّف كتاباً خامساً مستقلاً أسماه«غنية النزوع في علمي الأُصول والفروع» وتلاه الحمصي فألّف كتاباً أسماه «المصادر في أُصول الفقه».

وقد ذكر أسماء تصانيفه تلميذه منتجب الدين في «فهرسته» ومن تآليفه المعروفة: «المنقذ من التقليد» يذكر في مقدّمته انّه وصل إلى العراق عند منصرفه من الحرمين بالحجاز حماها الله، فورد الحلّة، فلقيه جماعة من فقهائها مستبشرين بوصوله إليهم، فأصرّوا عليه بالإقامة، فلبّى دعوتهم وعزم على الإقامة، وفي القلب النزوع إلى الأهل و الولد، وفي الخاطر التفات إلى المورد والبلد، واشتغل بالمذاكرة والمدارسة، فأقام عندهم مدرساً ومؤلّفاً، كتب كتاباً باسم «المنقذ من التقليد والمرشد إلى التوحيد» فرغ منه عام ٥٨١ هـ وقد طبع الكتاب في جزءين، وهو ذو مادّة كلامية مبسطة.

ثمّ إنّ ابن إدريس يذكره في «السرائر» بإكبار وإجلال ممّا يدل على تقدّمه عليه في السن. [٢]

---

١. مقابس الأنوار: ١١.

٢. السرائر: ٢/ ٤٤٣، كتاب المزارعة.

١١. محمد بن علي بن شهر آشوب (٤٨٨ـ ٥٨٨هـ)

فخر الشيعة، وتاج الشريعة، رشيد الملة والدين، شمس الإسلام والمسلمين أبـو عبد الله محمـد بن علي بن شهـر آشوب السروي المازنـدراني الفقيه المحـدّث المفسّر المحقّق الجامع لفنون الفضائل.

يعرّفه صـلاح الدين الصفدي في «الوافي بـالوفيات» بقوله: محمـد بن شهر آشوب، أبو جعفر السروي المازندراني، رشيد الدين الشيعي، أحد شيوخ الشيعة، حفظ أكثر القرآن، وله ثمان سنين، وبلغ النهايـة في أُصول الشيعة، كان يرحل إليه من البلاد ثمّ تقدّم في علم القرآن والغـريب والنحو، ووعظ على المنبر أيام المقتفي ببغـداد فأعجبه وخلـع عليه، وكـان بهي المنظر، حسـن الوجـه والشيبة، صـدوق اللهجة، مليـح المحاورة، واسع العلم، كثير الخشـوع والعبادة والتهجـد، لا يكون إلاّ على وضوء، أثنى عليه ابن أبي طي في «تاريخه» ثناءً كثيراً، توفي سنة ثمان وثمانين وخمسمائة.

وقال الفيروز آبادي في كتـاب «البلغة في تراجم أئمة النحـو واللغة»: محمد ابن علي بن شهر آشوب، أبو جعفر المازنـدراني رشيد الدين الشيعي، بلغ النهاية في أُصول الشيعة، تقدّم في علم القرآن و اللغة والنحو، ووعظ أيّام المقتفي فأعجبه وخلع عليه، وكان واسع العلم، كثير العبادة، دائم الوضوء، له: كتاب «الفصول» في النحـو، وكتاب «المكنـون والمخزون»، وكتـاب «أسباب نـزول القرآن»، وكتـاب «متشـابه القـرآن»، و كتـاب «الأعـلام والطرائق في الحدود و الحقـائق»، وكتـاب «الجديدة» جمع فيها فوائد وفرائد جمّة.[1]

وقـال شمس الديـن محمد بـن علي بن أحمد الـداودي المالكي تلميذ عبـد

---

١. مستدرك الوسائل: ٣/ ٤٨٥.

الرحمن السيوطي في «طبقات المفسّرين»: محمد بن علي بن شهر آشوب، أحد شيوخ الشيعة، اشتغل بالحديث، ولقي الرجال، ثمّ تفقّه وبلغ النهاية في فقه أهل مذهبه، ونبغ في الأُصول حتى صار رُحلة،ثمّ تقدّم في علم القراءات والغريب، والتفسير، والنحو.

كان إمام عصره، وواحد دهره، و الغالب عليه علم القرآن والحديث. [1]

وقد ترجم لنفسه في كتابه «معالم العلماء» وذكر تصانيفه بالأسماء التالية:

١. «مناقب آل أبي طالب» طبع في أربعة أجزاء.

٢. مثالب النواصب.

٣. المخزون والمكنون في عيون الفنون.

٤. الطرائق في الحدود والحقائق.

٥. مائدة الفائدة.

٦. المثال في الأمثال.

٧. «معالم العلماء» وهو ذيل لفهرست الشيخ الطوسي، طبع في العراق وإيران.

٨. الأسباب و النزول على مذهب آل الرسول.

٩. الحاوي.

١٠. «متشابه القرآن ومختلفه» وهو كتاب قيّم، طبع في إيران.

١١. الأوصاف.

١٢. المنهاج. [2]

---

١. الداودي: طبقات المفسرين:٢/ ٢٠١ برقم ٥٣٨.

٢. معالم العلماء:١١٩.

وهو يروى عن المشايخ العظام يقول: أنبأني الطبرسي بـ« مجمع البيان لعلوم القرآن»، وبكتاب «اعلام الورى باعلام الهدى»، وأجاز لي أبو الفتوح رواية «روض الجنان وروح الجنان» في تفسير القرآن، وناولني أبو الحسن البيهقي «حلية الأشراف» وقد أذن لي الآمدي في «غرر الحكم»، ووجدت بخط أبي طالب الطبرسي كتابه «الاحتجاج» إلى آخر ما ذكره. [1]

والعجب انّ علمين جليلين معاصرين ألّفا كتابين في موضوع واحد، أعني بهما: محمد بن شهر آشوب (المتوفّى٥٨٥هـ) والشيخ منتجب الدين الرازي (وكان حياً إلى عام ٦٠٠هـ). فألّف الأوّل «معالم العلماء» ذيلاً لفهرست الشيخ، وألّف الثاني «الفهرست» في هذا المضمار أيضاً، ولم يكن بينهما صلة واطّلاع عن عمل كلّ منهما.

أسباب الركود

إنّ لكلّ ظاهرة سبباً، فظاهرة الركود لم تكن اعتباطية بل نشأت لأسباب ودواعي أدّت إليه، منها:

أ. الضغط و الكبت من قبل السلطات الحاكمة آنذاك على الشيعة، كالسلاجقة في العراق، والغزنويّين في الشرق، والأيوبيّين في الشام ومصر، وأخذوا ينظرون إليهم بنظرة ملؤها الحقد والغضب، وكانوا بصدد الانقضاض على الكيان الشيعي واستئصاله،وقد حفظ لنا التاريخ بعض الأعمال التي قام بها السلاجقة ممّا يندى لها جبين الإنسانية، فقد أحرق طغرل بك مكتبة بغداد التي كانت عامرة بالكتب، و إليك هذه الوثيقة التاريخية التي تعكس لنا صورة عن المأساة التي حلّت بالشيعة:

---

١. الخوانساري: روضات الجنات:٦/ ٢٩٠ برقم ٥٨٥، نقله عن البحار في مقدّمته عن كتابه المناقب.

يقول ابن الجوزي: وفي هذه السنة ـ يعني: سنة ٤٤٨ ـ أُقيم الأذان في المشهد بمقابر قريش، و مشهد العتيقة، ومساجد الكرخ بـ«الصلاة خير من النوم» وأُزيل ما كانوا يستعملونه في الأذان «حي على خير العمل» وقلع جميع ما كان على أبواب الدور و الدروب من «محمد وعلي خير البشر» ودخل إلى الكرخ منشدو أهل السنّة من باب البصرة، فأنشدوا الأشعار في مدح الصحابة، وتقدّم رئيس الرؤساء إلى ابن النسوي بقتل أبي عبد الله بن الجلاّب شيخ البزازين بباب الطاق، لما كان يتظاهر به من الغلو في الرفض، فقتل وصلب على باب دكانه، وهرب أبو جعفر الطوسي ونهبت داره.[١]

ويقول أيضاً في حوادث سنة ٤٤٩هـ: وفي صفر هذه السنة كبست دار أبي جعفر الطوسي متكلّم الشيعة بالكرخ، وأخذ ما وجد من دفاتره، وكرسي كان يجلس عليه للكلام، وأخرج ذلك إلى الكرخ، وأُضيف إليه ثلاثة مجانيق بيض كان الزوار من أهل الكرخ قديماً يحملونها معهم إذا قصدوا زيارة الكوفة، فأُحرق الجميع.[٢]

وقال الجزري: وفيها (أي في هذه السنة) نهبت دار أبي جعفر الطوسي بالكرخ، وهو فقيه الإمامية، وأُخذ ما فيها، وكان قد فارقها إلى المشهد الغربي[٣].[٤]

وقال الخفاجي: لمّا دخل صلاح الدين الأيوبي إلى حلب عام ٥٧٩هـ حمل الناس على التسنّن وعقيدة الأشعري، ولا يقدّم للخطابة ولا للتدريس إلاّ من كان

---

١. ابن الجوزي: المنتظم: ١٦/ ٧و ٨.

٢. ابن الجوزي: المنتظم:١٦/ ١٦.

٣. ولعل الصحيح: الغرويّ.

٤. ابن الأثير: الكامل في التاريخ:٩/ ٦٣٧و ٦٣٨.

مقلّداً لأحد المذاهب الأربعة، ووضع السيف على الشيعة وقتلهم وأبادهم مثل عمله في مصر إلى حد يقول الخفاجي في كتابه.

فقد غالى الأيوبيون في القضاء علىٰ كلّ أثر للشيعة.[١]

وفي هذا الجو المشحون بالعداء والبغضاء لا تسنح الفرصة لأي نشاط علمي، بل يغيب عندها النتاج الفكري، فالحياة الفقهية رهن وجود ظروف مناسبة وبيئة صالحة لتنمية الأفكار.

ب. وأمّا السبب الثاني، فهو انّ الشيخ الطوسي قد حَظِيَ بتقدير عظيم في نفوس تلامذته ومعاصريه على وجه رفعته عن مستوى النقد، لما قدّمه من خدمات جليلة للحوزة الشيعية من إتحافها بأنواع العلوم والتآليف وتربية جيل كبير من العلماء والمفكّرين.

وقد حظيت آراؤه الشخصية بقدسية نزّهته عن النقد، فاستمرت تلك النظرة إلى الشيخ مدة مديدة بعده، وقد خلفه في إدارة شؤون الحوزة نجله أبو علي الطوسي الذي كان حياً إلى سنة ٥١٥هـ.

فهذان العاملان أدّيا إلى الركود والخضوع لكل ما ورثوه عن الشيخ الطوسي.

وربّما يذكر عامل آخر للركود وهو: انّ الشيخ بهجرته إلى النجف قد انفصل في أكبر الظن عن تلامذته وحوزته العلمية في بغداد، وبدأ ينشئ في النجف حوزة فتية حوله من أولاده أو الراغبين في الالتحاق بالدراسات الفقهية من مجاوري القبر الشريف أو أبناء البلاد القريبة منه كالحلّة ونحوها، ونمت الحوزة على عهده بالتدريج ، وعلى هذا الأساس فإنّ الشيخ الطوسي بهجرته إلى النجف انفصل عن حوزته الأساسية في بغداد وأنشأ حوزة جديدة حوله في النجف، ومن الطبيعي

---

١. الخفاجي: الأزهر في ألف عام:١/ ٥٨.

انّ الحوزة الفتية التي نشأت حول الشيخ في النجف أن لا ترقى إلى مستوى التفاعل المبدع مع التطور الذي أنجزه الطوسي في الفكر العلمي لحداثتها، وأمّا الحوزة الأساسية ذات الجذور في بغداد فلم تتفاعل مع أفكار الشيخ ولم يهاجر منهم إلى النجف إلاّ القليل، ولهذا لم يتسرّب الإبداع الفقهي العلمي من الشيخ إلى تلك الحوزة التي كان ينتج ويبدع بعيداً عنها، وفرق كبير بين المبدع الذي يمارس إبداعه العلمي داخل نطاق الحوزة ويتفاعل معها باستمرار وتواكب الحوزة إبداعه بوعي وتفتّح، وبين المبدع الذي يمارس إبداعه خارج نطاقها وبعيداً عنها.[1]

ولنا مع هذا الكلام وقفة قصيرة وهي:

١. انّ الشيخ قام بجهد علمي كبير في مهجره، وهو تأليف كتاب «المبسوط» الذي يعتبر من أوسع الموسوعات الفقهية للشيعة الإمامية التي ذكر فيها فروعاً وتخريجات لم يكن لها حلول في كتب السابقين، فلو كان الجو العلمي في مهجره غير بالغ إلى هذا المستوى فالقيام بهذا الجهد يكون أمراً غريباً.

٢. انّ لازم ذلك طروء الركود في بعض الحوزات دون بعض، وقد كانت للشيعة آنذاك حوزة في الكوفة وفي قم والري وخراسان لا سيما في منطقة «بيهق» و«كيدر» و«نيسابور»، فلو كان هذا مبرراً لطروء الركود فيجب أن يختص بحوزة دون أُخرى.

ومهما يكن من أمر فإنّ ظاهرة الركود قد تفشّت في كافة الحوزات وكان النتاج الفقهي في تلك الفترة أقلّ بكثير ممّا كان عليه في الدور المتقدّم.

---

١. الشهيد محمد باقر الصدر: المعالم الجديدة: ٦٥ـ٦٦.

ميزات هذا الدور

القضاء الحاسم في نتائج الجهود التي بذلها فقهاؤنا في هذه الفترة بحاجة إلى دراسة الكتب المدوّنة فيها وهي بين مسهب ومقتضب، وهي فوق ما نرومه في هذا المقال، ويمكن أن نلخّص نتائج الجهود العلمية في هذه الفترة بالأُمور التالية:

الأوّل: الموسوعة الفقهية

قد ألّف ابن البرّاج الطرابلسي(٤٠٠ ـ ٤٨١هـ)موسوعة على ضوء المبسوط للشيخ الطوسي، ولكن بإيجاز وتلخيص، وقد فرغ من تأليفها عام ٤٦٧هـ وهي موسوعة دون «المبسوط» وفوق ما ألّف قبله.

الثاني: تدوين المتون الفقهية

قد أُلّفت في هذه الفترة متون فقهية علىٰ صعيد عال فوق ما تحظىٰ به المتون السابقة كالمقنعة والنهاية للمفيد والشيخ.

١. فقد ألّف الفقيه أبو جعفر محمد بن علي الطوسي المعروف بـ«ابن حمزة» (المتوفّى نحو ٥٥٠هـ) كتاب «الوسيلة» وهو كتاب فقهي يشتمل على جميع الأبواب الفقهية مقروناً بالاستدلال الموجز.

٢. كما ألّف السيد حمزة بن علي بن زهرة كتاب «غنية النزوع إلى علمي الأُصول والفروع» ومع أنّه كتاب واحد إلاّ أنّه يشتمل على متون في العقائد، وأُصول الفقه، والفقه.

وقد أسهب في الاستدلال أكثر ممّن سبقه.

٣. كما ألّف محمد بن الحسن الكيدري «إصباح الشيعة بمصباح الشريعة» وقد مشى على ضوء غنية النزوع، وهو مع اشتماله على جميع الأبواب لا يسهب في

الاستدلال.

وهناك متون فقهية أُخرى أُلّفت في تلك الفترة، فمن أراد فليرجع إلىٰ طبقات الفقهاء في القرن الخامس والسادس.

الثالث: العناية بعلم الأُصول

نجد في هذه الفترة عناية بعلـم الأُصول لا سيما العنصر العقلي وإدخاله في مصب الاستدلال، فقد جعله ابن زهـرة قسماً من كتاب «الغنية» في علم الأُصول، و القارئ يجد فيـه الاعتماد الواضح على العقـل في مجالات خاصـة كما يعتمد على سائر الأدلّة.

كما ألّف الإمام سديد الدين الحمصي الرازي كتاباً باسم «المصادر في أُصول الفقه» تنـاول فيه العنصر العقلي أكثـر ممّن سبقه لضلـوعه في المسـائل العقلية كما يظهر ذلك من كتابه القيّم«المنقذ من التقليد».

الرابع: العناية بفقه القرآن

يعد القرآن أساس التشريع الإسلامي، ففيـه آيات تعدّ أُسساً للتشريع، وقد أفردهـا قطب الديـن الراونـدي بالتأليـف أسماه «فقه القرآن» وقـد طبع في ثـلاثة أجزاء، وهو كتاب ممتع جداً.

نعم بحـث عنها غيره في ثنـايا تفسير القرآن الكـريم كـالطبرسي في «مجمع البيان»، وأبي الفتوح الرازي في «روض الجنان».

هـذا بعض مـا يمكن أن يعـد ميـزة لهذا الدور، و استيعـاب الميزات رهـن الإحاطة بكافة تصانيف هذا الدور من الكتب لا سيّما الفقهية والأُصولية منها.

وهدفنا من هذه الدراسة تمهيد السبيـل أمام المعنيين بتاريخ علم الفقه كي يتناولوا تلك التصانيف بشيء من الدقة والعناية والإحاطة.

أدوار الفقه الإمامي

٤

الدور الرابع:

تجديد الحياة الفقهية

(٦٠٠-١٠٣٠هـ) القرن السابع

الضابطـة في تمييز كلّ دور عمّا سبقه وجـود تفاوت جوهري بين الـدورين، ففي الفترة التـي سبقت هذا الدور كـان الركود سائداً على ربـوع التفكير الفقهي لكـن بإبـداع في العرض وتغيير في البيـان، ولم يكن ثمّـة تطور جـوهري طـرأ على التفكير الفقهي، وهـذا بخلاف ما سنستعرضـه في هذا الدور ففيه تجديـد للحياة الفقهية بـأساليب مبتكـرة، وقواعد غير مـذكورة في كتـب السابقين وعنايـة وافرة بأُصول الفقه وتنوّع في التأليف.

وقد سبق انّ مشايخنا انقادوا وأذعنوا لفتاوى الشيخ واستدلالاته فلم يخرجوا عن ذلك الطـور إلاّ قليلاً، حتى ظهر علىٰ مسرح الفكر الفقهي فقيـه فذ، ذو فكر وقّاد، وذهـن جوّال، آب عـن التقليد تـابع لما يقـوده إليه فكـره ألا وهو محمـد بن إدريس الحلّي، فإنّه وقف وهو في العقد الرابع من عمره على توقف الركب الفقهي عن السير، وانّ كلّ ما تمخّضت عنه الساحة الفكـرية كان في الواقع تقليداً للشيخ الطوسي ليس إلاّ، فشمّر عـن ساعد الجدّ وأحدث انقلاباً عـارماً في حقل الاجتهاد والاستنباط، وإليك البيان.

١ . ابن إدريس مجدّد الحياة الفقهية (٥٤٣ـ٥٩٨هـ)

يعد ابن إدريس أوّل من خطا بالفقه خطوات واسعة، فلنبدأ بذكر سيرته .

يعرّفه التستري بقوله: الشيخ الفاضل، الكامل، المحقّق المدقّق، عين الأعيان، ونادرة الزمان، فخر الدين، أبو عبد الله محمد بن إدريس أو أحمد بن إدريس العجلي الربعي الحلّي نور الله مرقده.

روى عنه: الشيخ النبيل الجليل، قدوة المذهب، صاحب المصنّفات، نجيب الدين أبو إبراهيم محمد بن نما الربعي، والسيد السند قدوة الأدباء والنسابة والفقهاء صاحب المصنّفات شمس الدين أبو علي فخار بن معد الموسوي الحائري.[1]

يقول المحدّث النوري: الشيخ الفقيه، والمحقّق النبيه، فخر الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن إدريس الحلّي العجلي، العالم الجليل، المعروف الذي أذعن بعلو مقامه في العلم و الفهم والتحقيق والفقاهة أعاظم الفقهاء في إجازاتهم وتراجمهم، ثمّ ذكر وصف العلماء إيّاه في إجازاتهم.[2]

ولأجل أن يقف القارئ على مدى الجهود العلمية التي بذلها ابن إدريس في رفع المستوي العلمي والفقهي نذكر نصّ عبارته في أوّل «السرائر»، وإن مرّ ذكره في الدور السابق أيضاً.

إنّي لمّا رأيت زهد أهل هذا العصر في علم الشريعة المحمدية والأحكام الإسلامية، وتثاقلهم عن طلبها، وعداوتهم لما يجهلون، وتضييعهم لما يعلمون، ورأيت ذا السن من أهل دهرنا هذا لغلبة الغباوة عليه، وملكة الجهل لقياده،

---

١ . مقابس الأنوار: ١١ .

٢ . مستدرك الوسائل: ٣/ ٤٨١ .

مضيعاً لما استودعتـه الأيام، مقصراً في البحث عمّا يجب عليه علمه حتى كـأنّه ابن يومه ونتيـج ساعته... ورأيت العلـم عنانه في يد الامتهـان، وميدانه قد عطـل من الرهان، تداركت منه الذماء الباقي، وتلافيت نفساً بلغت التراقي.(١)

فـابن إدريـس بكتابـه هذا أوّل مـن نفض غبـار الركـود عن كـاهل الفقـه الشيعي، واقتفـاه جلّ مـن تأخّروا عنـه وإن اختلفوا معـه في أشياء وأشيـاء، ولكن الضجة التي أثـارها تركت أثرها في شحـذ الهمم نحو عرض الفقه بـأُسلوب أكثر علميّة.

وقد أُصيب في جهاده العلمي بوابل من الطعنات اللاذعة، لكنّها لم تؤثر في عزمـه الراسخ نحـو ما تصبو إليه نفسـه، وهو بتأليـف كتابه الـرائع «السرائر» قد قضى على التقليد الفكـري، وأطاح به، وأخذ بطـرح أفكاره في ثنايا كتـابه، منددا بالمتفقّهة والمقلّدة، وهو مع إجلاله للشيخ الطوسي أخذ ببيان المواضع التي يخالفه فيها مدعومة بالبرهان.

وأخذ يدافع عن وجهة نظره بأمرين:

الأوّل: بإقامة البراهين الدامغة علىٰ رأيـه وفق منهجه، وهو عدم حجّية خبر الواحد، وانحصار الحجية بالكتاب والخبر المتواتر والإجماع والعقل.

الثاني: محاولة عدم الانفراد بـالرأي وتعزيزه بموافقة الشيـخ الطوسي له على هذا الرأي في بعض كتبه، أو أنّ ما ذكـره الشيخ إنّما ذكره إيراداً لا اعتقاداً، إلى غير ذلك من المحاولات التي كان الهدف من ورائهـا استقطاب موافقة من تقدّم عليه حتى ربما يقتصر على الموافقة التي ربما تلوح من عبارة الشيخ.

يقول هـو في حكم الماء النجس المتمم كـراً: الشيخ أبو جعفـر الطوسي ﵀

١. مقدّمة المؤلّف على كتابه السرائر: ١ / ٤١.

الذي يُتمسّك بخلافه، ويُقلّد في هذه المسألة ويُجعل دليلاً، يقوّي القول والفتيا بطهارة هذا الماء في كثير من أقواله، وأنا أُبيّن إن شاء الله انّ أبا جعفر رحمه الله يفوح من فيه رائحة تسليم المسألة بالكلية، إذا تؤمّل كلامه وتصنيفه حقّ التأمّل، وأُبصر بالعين الصحيحة، وأحضر له الفكر الصافي فانّه فيه نظر ولبس، ولتفهم عني ما أقول.[1]

مراسلاته مع فقهاء عصره

كان ابن إدريس فقيهاً دؤوباً في العمل، وكانت له صلة وثيقة بمعاصريه من فقهاء كلا الفريقين، وثمة وثيقتان تاريخيتان تؤكّدان ذلك.

١. قال في كتاب المزارعة: وانّ الزكاة على المزارع أوالعامل. وقال بعض أصحابنا المتأخرين في تصنيف له: كلّ ما كان البذر منه وجب عليه الزكاة، ولا يجب الزكاة على من لا يكون البذر منه، قال: لأنّ ما يأخذه كالأُجرة (فعلى ما ذكره، الزكاة على المزارع دون العامل) ثمّ قال: والقائل بهذا هو السيد العلوي أبو المكارم ابن زهرة الحلبي رحمه الله شاهدته ورأيته وكاتبته وكاتبني وعرّفته ما ذكره في تصنيفه من الخطأ، فاعتذر رحمه الله بأعذار غير واضحة، وأبان بها انّه ثقل عليه الرد، ولعمري انّ الحق ثقيل كلّه، ومن جملة معاذيره ومعارضاته لي في جوابه، انّ المزارع مثل الغاصب للحب إذا زرعه، فإنّ الزكاة تجب على ربّ الحب دون الغاصب.

وهذا من أقبح المعارضات وأعجب التشبيهات، وإنّما كانت مشورتي عليه أن يطالع تصنيفه وينظر في المسألة ويغيّرها قبل موته، لئلاّ يستدرك عليه مستدرك بعد موته، فيكون هو المستدرك على نفسه، فعلت ذلك، علم الله شفقة وسترة عليه

---

١. ابن إدريس: السرائر: ١/ ٦٦، أحكام المياه.

ونصيحة له، لأنّ هذا خلاف مذهب أهل البيت. [١]

٢. يقول في مسألة الطلاق ثلاثاً: وقد كتب إليّ بعض فقهاء الشافعية وكانت بيني وبينه مؤانسة ومكاتبة: هل يقع الطلاق الثلاث عندكم، وما القول عند فقهاء أهل البيت عليهم السلام؟

فأجبته أمّا مذهب أهل البيت فإنّهم يرون أنّ الطلاق الثلاث بلفظ واحد في مجلس واحد وحالة واحدة ومن دون تخلّل المراجعة لا يقع منه إلاّ واحدة، ومن طلق امرأته تطليقة واحدة وكانت مدخولاً بها كان له مراجعتها بغير خلاف بين المسلمين، إلى آخر ما ذكره من المطالب الشيقة، وقد استغرق عدّة صحائف. [٢]

توفي ابن إدريس وترك تراثاً علمياً وربّى جيلاً من روّاد العلم، انتهلوا من معين علمه، ونذكر الآن أسماء لفيف من المشاهير الذين لم تخمد جذوة الإبداع التي أوجدها ابن إدريس في قلوبهم، بل واصلوا النهج الذي اختطّه لهم وبثّوا أفكاره في جميع المحافل العلمية.

٢. الفقيه معين الدين المصري (كان حياً عام ٦٢٩هـ)

سالم بن بدران بن علي المصري المازني صاحب كتاب «التحرير» الحاوي على أحكام المواريث، وقد ذكر بعض كلماته المحقّق الطوسي في «الفرائض النصيرية» معبّراً عنه: شيخنا الإمام معين الدين، وقد قرأ عليه المحقّق الطوسي كتاب «إصباح الشيعة بمصباح الشريعة» وأجاز له عام ٦٢٩هـ والإجازة مطبوعة في تقديمنا على كتاب الغنية. [٣]

---

١. ابن إدريس: السرائر: ٢/ ٤٤٣.

٢. ابن إدريس: السرائر: ٢/ ٦٧٨ـ٦٨٥.

٣. مقابس الأنوار: ١٢، وله ترجمة في رياض العلماء: ٢/ ٤٠٨ـ ٤١١ وأعيان الشيعة: ٧/ ١٧٢ـ١٧٣.

٣. شمس الدين فخار بن معد بن فخار (المتوفّى ٦٣٠هـ)

شمس الدين فخار بن معد بن فخار الموسوي الحائري، قال الشيخ الحر العاملي: كان عالماً، فاضلاً، أديباً، محدثاً، له كتب، منها: كتاب «الرد على الذاهب إلى تكفير أبي طالب» حسن جيد، وغير ذلك، يروي عنه المحقّق المتوفّى (٦٧٦هـ) ويروي هو عن ابن إدريس الحلّي، وعن ابن شاذان بن جبرئيل القمي وغيرهما.[١]

ووصفه شيخنا الشهيد الثاني في إجازته: بإمام الأُدباء والفقهاء.

ويروي عنه من علماء أهل السنّة ابن أبي الحديد (المتوفّى ٦٥٥هـ) وأبو الفرج الجوزي ، والقاضي أبو الفتح محمد بن أحمد المنداني الواسطي، الذي يروي هو عن ابن الجواليقي وغيره.[٢]

٤. نجيب الدين محمد بن جعفر بن نما الحلي (٥٦٥ـ٦٤٥هـ)

إنّ بيت ابن نما من أعرق البيوت العلمية في الحلّة الفيحاء، التي انجبت العديد من العلماء الفطاحل الذين ضنّ بهم الدهر إلاّ في فترات يسيرة، فلنقتصر على ترجمة الوالد والولد.

أمّا الوالد، فهو نجيب الدين أبو إبراهيم محمد بن جعفر بن هبة الله بن نما ابن علي بن حمدون الحلّي، شيخ الفقهاء في عصره، أحد مشايخ المحقّق الحلّي المتوفّى (٦٧٦هـ) و الشيخ سديد الدين، والد العلاّمة الحلّي، و السيد أحمد بن طاووس، والسيد رضي الدين بن طاووس.

---

١. أمل الآمل: ٢/ ٢١٤ برقم ٦٤٦.

٢. وقد ترجمه الخوانساري في «روضات الجنات»:٥/ ٣٤٦ برقم ٥٤٠، و البحراني في لؤلؤة البحرين: ٢٨٠، والنوري في مستدرك الوسائل: ٣/ ٤٧٩.

قال المحقّق الكركي في وصف المحقّق الحلّي: وأعْلَمُ مشايخه بفقه أهل البيت الشيخ الفقيه السعيد الأوحد محمد بن نما الحلّي، وأجلّ أشياخه الإمام المحقّق قدوة المتأخرين فخر الدين محمد بن إدريس الحلّي العجلي برّد الله مضجعه.

فالمترجَم من خريجي مدرسة ابن إدريس.

وأمّا الولد، فهو الشيخ الفقيه نجم الدين جعفر بن محمد بن هبة الله بن نما الحلي، كان عظيم الشأن، جليل القدر، من مشايخ آية الله العلاّمة الحلّي المتوفّى (٧٢٦هـ) وصاحب المقتل الموسوم بـ «مثير الأحزان».

فالوالد من مشايخ المحقّق الحلّي، والولد من مشايخ العلاّمة الحلّي، ويظهر من القصيدة التي نظمها جواباً لبعض الحاسدين انّ بيت ابن نما كان بيتاً رفيعاً مرموقاً مشهوراً بالفضائل، قال:

أنا ابن نما إن نطقت فمنطقي ... فصيح إذا ما مصقع القوم اعجما

بنىٰ والدي نهجاً إلى ذلك العلىٰ ... بأفعاله كانت إلى المجد سلّما

كبنيان جدي جعفر خير ماجدٍ ... فقد كان بالإحسان والفضل مغرماً

وجدي أبا الخير الفقيه أبي البقا ... فما زال في نقل العلوم مقدما[1]

٥. المحقّق الحلّي نجم الدين جعفر بن الحسن بن يحيى بن سعيد الحلّي (٦٠٢ـ٦٧٦هـ)

هو الشيخ أبو القاسم نجم الملة والدين، الملقّب بالمحقّق على الإطلاق،

---

١. اقرأ ترجمة الوالد والولد في روضات الجنات: ٦/ ٢٩٤ برقم ٥٨٦، ٢/ ١٧٩ برقم ١٦٩، والكنى والألقاب: ١/ ٤٤١، وغيرها.

الغني عن الإطراء، المشهـور بالآفاق بتلاميذه وتآليفه، ويكفي في مقـامه انّ كتابه «شرائع الإسلام» أصبح كتاباً دراسياً منذ تـأليفه إلى يومنا هذا، وصار محطاً للشرح و التعليق عبر القرون، وقد وصفـه العلاّمة الحلّي في إجازته لبني زهـرة من أنّه كان أفضل أهل عصره في الفقه، واستدركه الشيخ حسن صاحب المعالم بقوله: لو كان ترك التقييد بأهل زمانه كان أصوب إذ لا أرى في فقهائنا مثله على الإطلاق.

وذكره ابـن داود في «رجالـه» بقولـه: جعفر بـن الحسن بـن يحيى بـن سعيد الحلّي، شيخنا نجـم الديـن، أبو القـاسم المحقّـق المدقّق الإمـام العلاّمـة، واحد عصره، كان ألسَـن أهل زمـانه، وأقومَهـم بالحجـة، وأسرعهم استحضـاراً، وقرأت عليـه، وربّاني صغيراً، وكـان له عليّ إحسـان عظيـم والتفات، وأجـاز لي جميع مـا صنّفـه وقرأه ورواه، وكـلّ مـا يصح روايتـه عنـه. توفي في شهـر ربيـع الآخر سنـة ٦٧٦هـ، وله تصـانيف حسنة محقّقة محررة عذبة، فمنهـا: كتاب «شرائع الإسلام» مجلدان، وكتاب «المختصر النافـع» مجلد، وكتاب «المعتبر في شرح المختصر» لم يتم مجلدان، وكتاب «نكت النهاية » مجلدان، وكتاب :«المسائل الغرية» مجلد، وكتاب «المسـائل المصريـة» مجلد، وكتـاب «المسلـك» في أُصـول الـدين مجلـد، وكتـاب «الكهنة» في المنطـق مجلد، ولـه كتب أُخرى ليـس هذا مـوضع استيفائهـا فأمـرها ظاهر، وله تلاميذ فقهاء فضلاء. [١]

حكي أنّ المحقّـق نصير الديـن الطوسي حضر درس المحقّـق وطلب منـه إكمال الدرس، فجرى البحث في مسألة استحباب التياسر (يعني في العراق) فقال المحقّق الطـوسي: لا وجه للاستحباب، لأنّ التيـاسر إن كان من القبلـة إلى غيرها

١. ابن داود: الرجال:١ بـرقم ٣٠٠؛ وانظر ترجمته في روضات الجنـات:٢/ ١٨٣، برقم ١٧٠. ولشيخنا المحقّق تـرجمة وافية في غير واحد مـن الكتب، فلاحظ رجـال ابن داود: القسم الأوّل بـرقم٣٠٠، وأعيان الشيعة: ٤/ ٨٩ ، مقابس الأنوار:١٢، والكنى والألقاب:٢/ ١٥٤.

فهو حرام، وإن كان من غيرها إليها فواجب، فقال المحقّق في الحال: بل منها إليها، فسكت المحقّق الطوسي.

ثمّ ألّف المحقّق في ذلك رسالة لطيفة أوردها الشيخ أحمد بن فهد في «المهذّب» بتمامها، وأرسلها إلى المحقّق الطوسي فاستحسنها، وكان مرجع أهل عصره في الفقه، يروي عن أبيه عن جده يحيى الأكبر. [1]

إنّ كلّ ما انتج يراع شيخنا المحقّق أثر خالد على جبين الدهر، لا سيّما كتابيه «شرائع الإسلام» و «المعتبر»، فإنّ لهما قيمة علمية كبيرة لم تتطاول يد الزمان عليهما.

فكتاب شرائع الإسلام في مسائل الحلال والحرام، وهو من أحسن المتون الفقهية ترتيباً، وأجمعها للفروع، وقد ولع به الأصحاب من لدن عصر مؤلّفه إلى الآن، ولا يزال من الكتب الدراسية في حواضر العلم الشيعية، وقد اعتمد عليه الفقهاء خلال هذه القرون العديدة فاتخذوه محوراً لبحوثهم ودراساتهم، وكتبوا عليه شروحاً وحواشي كثيرة، ويكفيك انّ معظم الموسوعات الفقهية الضخمة التي أُلّفت بعد عصر المحقّق كلّها شروح له، وقد ذكر أسامي تلك الشروح شيخنا المجيز في «الذريعة إلى تصانيف الشيعة». [2] وأمّا كتاب «المعتبر في شرح المختصر» فقد شرح فيه كتابه الآخر«المختصر النافع» الذي هو مختصر كتابه «شرائع الإسلام» خرج منه العبادات إلى كتاب الحج وبعض التجارات، وطبع أخيراً في جزءين.

والكتاب من أنفس الكتب الفقهية الاستدلالية لا يقاس بغيره، وقد كان السيد المحقّق البروجردي (١٢٩٢ـ١٣٨٠هـ) يذكره في دروسه الشريفة بإجلال وإكبار، ويقول لم يؤلّف على غراره تأليف.

---

١. الكنى والألقاب: ٢/ ١٥٤.

٢. الذريعة: ١٣/ ٤٧ برقم ١٦١.

٦ . أحمد بن موسى بن جعفر بن طاووس (المتوفّى ٦٧٣ هـ)

يعرفه تلميذه ابن داود بقوله: سيدنا الطاهر، الإمام المعظّم، فقيه أهل البيت جمال الدين أبو الفضائل، مات سنة ثلاث وسبعين وستمائة، مصنف، مجتهد، كان أورع فضلاء زمانه، قرأت عليه أكثر «البشرى» و«الملاذ» وغير ذلك من تصانيفه، وأجاز لي جميع تصانيفه ورواياته، وكان شاعراً مصقعاً، بليغاً منشئاً مجيداً، من تصانيفه: كتاب «بشرى المحقّقين» في الفقه ستة مجلدات، وكتاب «الملاذ» في الفقه أربعة مجلدات، كتاب «الكر» مجلد، كتاب «السهم السريع» في تحليل المبايعة مع القرض مجلد، كتاب «الفوائد العدة» في أُصول الفقه مجلد، كتاب «الثاقب المسخر على نقض المشجر» في أُصول الدين، كتاب «الروح» نقضاً على ابن أبي الحديد، كتاب «شواهد القرآن» مجلدان، كتاب «بناء المقالة العلوية في نقض الرسالة العثمانية» مجلد، كتاب «المسائل» في أُصول الدين مجلد، كتاب «عين العبرة في غبن العترة» مجلد، كتاب «زهرة الرياض» في المواعظ مجلد، كتاب «الاختيار في أدعية الليل والنهار» مجلد، كتاب «الازهار» في شرح لامية مهيار مجلدان، كتاب «عمل اليوم والليلة» مجلد، وحقق الرجال والرواية والتفسير تحقيقاً لا مزيد عليه، رباني وعلمني وأحسن إليّ، وأكثر فوائد هذا الكتاب من إشاراته وتحقيقاته جزاه الله عنّي أفضل جزاء المحسنين.[1]

وممّا يجب إلفات نظر القارئ إليه هو انّه ﷺ أوّل من اخترع تفريع الخبر إلى أقسامه الأربعة المشهورة: الصحيح، الحسن، الموثق، والضعيف، بعدما كان الصحيح عند القدماء بغير المعنى الذي اصطلحه هو عليه، وقد ذكرنا وجه الفرق

---

١ . ابن داود الحلي: الرجال، برقم ١٣٧؛ وانظر ترجمته في روضات الجنات: ٧/ ٦٦ برقم ١٥، والكنى والألقاب: ١/ ٣٤٠، إلى غير ذلك من الكتب.

وسبب تنويع الأخبار إلى الأقسام الأربعة في كتابنا «كليات في علم الرجال». [1]

وممّا يؤسف له انّ موسوعاته الفقهية باسم «بشرى المحقّقين» في ستة أجزاء، وكتاب «ملاذ العلماء» في أربعة أجزاء ممّا لعب به الزمان، فلم نعثر على نسخة منها.

ثمّ إنّ من تآليفه «حلّ الإشكال في معرفة الرجال» وكانت نسخة الكتاب موجودة عند الشهيد الثاني، ثمّ انتقلت إلى ولده الشيخ حسن صاحب المعالم، فجدّد صياغة الكتاب وأسماه بـ«التحرير الطاووسي».

وقد صبت الحركة الأخبارية ـ التي ظهرت في أوائل القرن الحادي عشر ـ حمم غضبها على ابن طاووس وتلميذه العلاّمة الحلّي من جرّاء تنويعهما الأخبار بهذا النحو الذي ذكرناه.

٧. الفقيه البارع يحيى بن سعيد الحلي (٦٠١ـ٦٨٩)

عرّفه ابن داود في رجاله بقوله: يحيى بن أحمد بن سعيد، شيخنا الإمام الورع القدوة، كان جامعاً لفنون العلم الأدبية والفقهية والأُصولية، وكان أورع الفضلاء وأزهدهم، له تصانيف جامعة للفوائد، منها: كتاب «الجامع للشرائع» في الفقه، كتاب «المدخل» في أُصول الفقه، وغير ذلك، مات سنة ٦٨٩هـ. [2]

وقال الأفندي التبريزي في كتابه القيم «رياض العلماء»: كان مجمعاً على فضله وعلمه بين الشيعة وعظماء أهل السنّة. [3]

---

١. كليات في علم الرجال: ٣٥٩.

٢. ابن داود: الرجال: برقم ١٦٦٠.

٣. رياض العلماء: ٥/ ٣٣٦.

قال السيوطي في «بغية الوعاة» في طبقات اللغويين والنحاة نقلاً عن الذهبي انّه قال: لغوي، أديب، حافظ للآثار، بصير باللغة والأدب، من كبار الرافضة.[١]

وقد ترجمنا له ترجمة وافية في تقديمنا لكتابه«الجامع للشرائع».

ومن لطائف آثاره كتابه«نزهة الناظر في الجمع بين الأشباه والنظائر» وقد غفل عن ذكره ابن داود في «رجاله» وهو كتاب شيق في الفقه يذكر لمسألة واحدة نظائرها وأشباهها.

وقد طبع من آثاره: «الجامع للشرائع» بتقديم منّا و«نزهة الناظر».

٨. غياث الدين عبد الكريم بن أحمد بن طاووس (٦٤٨ـ٦٩٣هـ)

يعرّفه المحدّث النوري في «المستدرك» بقوله: نادرة الزمان، وأُعجوبة الدهر، صاحب المقامات والكرامات.

ويعرّفه أيضاً تلميذه ابن داود في «رجاله»: سيدنا الإمام المعظّم، غياث الدين، الفقيه النسّابة النحوي العروضي الزاهد العابد أبو المظفر، انتهت رئاسة السادات وذوي النواميس إليه، وكان أوحد زمانه، حائري المولد، حلّي المنشأ، بغدادي التحصيل، كاظمي الخاتمة، ولد في شعبان سنة ٦٤٨هـ وتوفي في شوال سنة ٦٩٣هـ وكان عمره خمساً وأربعين سنة وشهرين وأياماً، كنت قرينه طفلين، إلى أن توفّي قدس الله روحه، ما رأيت قبله ولا بعده بخلقه وجميل قاعدته وحلو معاشرته ثانياً، ولا لذكائه وقوة حافظته مماثلاً، ما دخل في ذهنه شيء فكاد ينساه، حفظ القرآن في مدّة يسيرة وله إحدىٰ عشرة سنة، استقل بالكتابة واستغنى عن المعلم في أربعين يوماً وعمره إذ ذاك أربع سنين، ولا تحصى مناقبه وفضائله.

---

١. بغية الوعاة: ٢/ ٣٣١.

له كتب، منها: كتاب «الشمل المنظوم في مصنفي العلوم» ما لأصحابنا مثله، وكتاب «فرحة الغري» وغير ذلك.[١]

٩. سديد الدين يوسف بن المطهّر الحلّي

هو الشيخ يوسف بن الشيخ شرف الدين علي بن مطهّر الحلّي، والد العلاّمة الحلّي، وأستاذه الأقدم في الفقه والأدب والأُصول، يعرفه ابن داود في «رجاله» بقوله: كان فقيهاً، محقّقاً، مدرساً، عظيم الشأن.[٢]

وقال الحر العاملي: فاضل، فقيه، متبحر، نقل ولده العلاّمة أقواله في كتبه.[٣]

ويكفي في عظمته وسعة آفاق علمه انّ ولده العلاّمة تتلمذ عليه.

ويظهر من أجوبة العلاّمة لأسئلة السيد المهنا انّ والده كان فقيهاً فحلاً، حيث يذكر هناك ما دار بينه وبين والده من الاختلاف في مسألة، فمن أراد فليرجع إليه.[٤]

١٠. الحسن بن أبي طالب اليوسفي الآبي (كان حياً عام ٦٧٣هـ)

هو عز الدين الحسن بن أبي طالب اليوسفي المكنّى بـ«أبي زينب» المعروف بالفاضل الآبي، وصفه العلاّمة المامقاني بقوله: عالم، فاضل.

ترجمه العلاّمة الطباطبائي بقوله: أحد تلامذة المحقّق الحلّي وشارح كتابه «النافع» المسمّىٰ «كشف الرموز» وهو أوّل من شرح هذا الكتاب، عالم، فاضل،

---

١. ابن داود: الرجال: برقم ٩٤٧.

٢. ابن داود: الرجال: برقم ٤٦١.

٣. أمل الآمل: ٢/ برقم ١٠٨١.

٤. أجوبة المسائل المهنائية.

محقّق، فقيه، قوي الفقاهة، حكى الأصحاب كالشهيدين والسيوري وغيرهم أقواله ومذاهبه في كتبهم، ويعبرون عنه بالآبي وأبي زينب، وشارح النافع، وتلميذ المحقّق. وشهرة هذا الرجل دون فضله وعلمه أكثر من ذكره ونقله، وكتابه «كشف الرموز» كتاب حسن مشتمل على فوائد كثيرة وتنبيهات جيدة مع ذكر الأقوال والأدلّة على سبيل الإيجاز والاختصار، ويختص بالنقل عن السيد ابن طاووس أبي الفضائل في كثير من المسائل، وله مع شيخه المحقّق مخالفات ومباحثات في كثير من المواضع؛ وهو ممّن اختار المضايقة في القضاء، وتحريم الجمعة في زمان الغيبة، وحرمان الزوجة من الرباع وإن كانت ذات ولد، وقد فرغ من كتابه سنة ٦٧٢هـ.[١]

وقد توفي المحقّق الماتن عام ٦٧٦هـ وشيخنا الآبي قد فرغ من شرح الكتاب والماتن على قيد الحياة.

يقول في مقدّمة الكتاب: بعد ذكر توجهه إلى الحلة السيفية، يعرّفها بقوله: فكم بها من أعيان العلماء بهم التقيت، والمعارف الفقهاء، بأيّهم اقتديت اهتديت؛ وكان صدر جريدتها، وبيت قصيدتها، جمال كمالها، وكمال جمالها، الشيخ الفاضل الكامل، عين أعيان العلماء، ورأس رؤساء الفضلاء، نجم الدين حجّة الإسلام أبا القاسم جعفر بن الحسن بن سعيد عظّم الله قدره وطوّل عمره.

فاستسعدت بهاء طلعته، واستفدت من جَني ثمرته في كلّ فصل من كلّ فن، وصرفت أكثر همي وسابق فهمي إلى العلوم الدينية الفقهية والكلامية، إذ لا تدرك إلّا بكمال العقل وصفاء الذهن، وعليها مدار الدين وتحقيق اليقين.[٢]

---

١. انظر إلى الفوائد الرجالية: ٢/ ١٧٩ وترجمه أيضاً المامقاني في تنقيح المقال: ١/ ٢٦٧.
والحقّ انّ فضل الرجل قد اختفى، لأجل عدم توفر ترجمة وافية له في المعاجم.

٢. المحقق الآبي: مقدّمة كشف الرموز: ١/ ٣٨.

ثمّ يذكر انّ لأُستاذه المحقّق كتابين: ١. شرائع الإسلام، ٢. منتخبه النافع.

فيقول: التمس منّي بعض إخواني في الدين أن أكشف قناع الإشكال عن رموزات كتاب «النافع» أعني: كتاب «مختصر الشرائع» إلى أن يقول: فوجدت طاعته راحة، وإجابته طاعة، فقمت به مستعيناً بمسبّب الأسباب ومسهّل الصعاب.

ويقول في آخر الكتاب: واتّفق فراغ مصنّفه في سنة ٦٧٢هـ وكلّما يذكر قول الماتن يردفه بقوله دام ظله إلى آخر الكتاب، و هو يدل على أنّ التلميذ برع في عهد أُستاذه حتى صنّف دورة فقهية استدلالية في زمن المؤلّف، وقد طبع الكتاب في جزءين طبعة محقّقة.

١١. الشيخ عماد الدين علي بن محمد الطبري (كان حياً عام ٦٩٨هـ)

عماد الدين الحسن بن علي بن محمد بن علي بن حسن الطبري المعروف بـ«عماد الدين الطبري» كان حياً سنة ٦٩٨هـ.

يعرّفه سيدنا الأمين بقوله: متكلّم، فقيه، معاصر للمحقّق الطوسي والمحقّق الحلّي، وأقواله منقولة في كتب الفقه، ويعبّرون عنه فيها بالعماد الطبري، وبعماد الدين الطبري، وقد نقل شيخنا الشهيد الثاني رأيه في رسالة الجمعة، وليس رأيه إلاّ أنّ وجوب الجمعة موقوف على حضور السلطان العادل المبسوط اليد. [1]

وقال الأفندي التبريزي: هو عالم، فاضل، متبحّر، جامع، دين، كان من أفاضل علماء طبرستان، ومن المعاصرين لنصير الدين الطوسي.

وقد ألّف في غير واحد من الموضوعات تربو على١٧ كتاباً، ففي الفقه ألّف

---

١. السيد الأمين: أعيان الشيعة:٥/ ٢١٢.

«المنهج» في فقه العبادات، والأدعية والآداب الدينية، وكتاب «العمدة» في أُصول الدين وفروعه الفرضية والنقلية، و«نهج الإيمان إلى هداية الإيمان» وهو أيضاً في الفروع الفقهية.

إلى غير ذلك من التآليف.

ويظهر من كتابه«أسرار الإمامة» انّه كان حياً إلى سنة ٦٩٨هـ فقال: حين البحث عن الإمام المهدي عجّل الله تعالى فرجه الشريف: فإن قيل ألا يمكن أن يعيش أحد من سنة ٢٥٥ إلى سنة ٦٩٨....[1]

حصيلة الجهود الفقهية في القرن السابع

إنّ هذا القرن يؤلِّف جزءاً من الدور الرابع، ولكنّه بالنسبة إلى سائر القرون قرن زاهر بالفقهاء العظام الذين يضنّ بهم الدهر إلاّ في فترات يسيرة، فقد ساهموا مساهمة فعّالة في تنشيط الحركة الفقهية والأخذ بزمامها نحو الأمام، و تمخضت جهودهم المبذولة في هذا القرن بالأُمور التالية:

١. تأليف متون فقهية

فقد أُلّفت في هذا القرن متون فقهية لم تزل تحتفظ بصدارتها إلى عصرنا الحاضر بين مسهب كشرائع الإسلام، ومتوسط كالجامع للشرائع لابن سعيد الحلّي، ومقتضب كالمختصر النافع.

٢. تأليف موسوعات فقهية

شهد هذا القرن تأليف موسوعات فقهية على غرار مبسوط الشيخ الطوسي،

---

١. اقرأ ترجمته الوافية في روضات الجنات برقم ١٩٤، ورياض العلماء.

كالمعتبر للمحقّق الحلّي وإن لم يتم.

وكتاب «بشرى المحقّقين» في ستة أجزاء، وكتاب «الملاذ» في أربعة أجزاء لأحمد بن موسى بن طاووس، و«كشف الرموز» للمحقّق الآبي.

٣. الاهتمام بأُصول الفقه

اهتم المحقّقون في هذا القرن بأُصول الفقه أيضاً، فقد أُلّفت كتب في هذا المضمار، نذكر على سبيل الاختصار:

أ. «المعارج» للمحقّق الحلّي، وهو مطبوع منتشر.

ب. «المدخل في أُصول الفقه» ليحيى بن سعيد الحلّي.

ج. « الفوائد العدة» في أُصول الفقه لأحمد بن طاووس.

٤. إبداع نهج جديد في الفقه الشيعي

يبتني الفقه الشيعي على رفض القياس والأخذ بالسنّة وترك العمل بالاستحسان، ولربّما تشترك مسائل كثيرة في أصل واحد وتتفرع عليه، ويعبّر عنه بالأشباه والنظائر وبالاطلاع على شبيه المسألة ونظيرها يكسب الفقيه خبرة وإحاطة بالفقه، وقد كان هذا اللون من الاستنباط شائعاً بين مشايخنا، فإذا طرحت مسألة استدل عليها بطرح أشباهها ونظائرها بوجه يكشف عن تضلّعه في الفقه، وقد تبع هذا النهج ـ الذي وضع لبناته الأُولى الفقيه البارع يحيى بن سعيد بتأليف كتابه«نزهة الناظر في الجمع بين الأشباه والنظائر» والحسن بن علي بن داود الحلي فألّف كتابه «عقد الجواهر في الأشباه والنظائر»، و الحافظ جلال الدين السيوطي فألّف كتابه الرائج «الأشباه والنظائر».

وممّا يؤسف لـه انّ هذا النوع من التأليف لم يدم طويـلاً، فلا نكاد نعثر على كتب فقهيـة أُلّفت على هذا الغـرار بين فقهائنـا. وقد كان بعـض مشايخنـا العظام ـ قدس الله سرهم ـ يسلك هذا المنهج في دراساته الفقهية العليا.

٥. تهذيب الأخبار

قد كان الحديـث الصحيح عند القدماء هو الخبر الـذي دلّت القرائن على صحّته وصدوره عن المعصوم، وقد كان الوقوف على تلك القرائن متوفراً في القرون الأُولى، وكلّما ابتعد الفقهاء عن عصر النصّ، أخذ الغموض يكتنف تلك القرائن، فمسّت الحاجة إلى إبداع أساليب يعرف بها الصحيح عن غيره، فأوّل من شمّر عن ساعـد الجد لهذا الأمر هـو السيد أحمد بن طـاووس، فأخـذ بتنويع الأحـاديث إلى أربعة أنـواع حسب القواعد الـرجالية التي أبدعهـا، فصار التنويع أمـراً متبعاً إلى يـومنا هـذا، غير انّ الأخبـاريـة التي ظهـرت في أوائل القـرن الحادي عشر شنّت حملات شعواء على هذا التنويع، وسيوافيك تفصيله.

وثمة نكتـة جديـرة بالإشارة وهي انّ الحملـة الشرسة التي قـادها الـوثنيون المغـول في غضـون القـرن السـادس بـدءاً من خـراسـان وانتهـاءً ببغـداد تـركت مضـاعفـات خطيرة على الحوزات الإسـلاميـة، لا سيما الحوزات التي كـانـت في مسيرهم نحـو بغداد، كحـوزة نيسابـور وبيهق. ولمّا انتهى الأمـر إلى سقوط بغـداد والقضاء على الخلافة العباسية حاول المغول تـدمير سائر المدن العراقية، ككربلاء والنجف الأشرف والحلّة الفيحاء، ولكنّه سبحانه صانها عن شرّهم وكيدهم بتدبير من علمائها، وقد ذكر العلاّمة الحلّي بعض تلك التدابير في كتابه «كشف اليقين في فضائل أمير المؤمنين» فمن أراد فليرجع إليه.[1]

---

١. نقلها الخوانساري في روضات الجنات: ٨ / برقم ٧٤٩ عن كتاب «كشف اليقين» للعلاّمة الحلّي.

الدور الرابع:

الجهود الفقهية

في القرن الثامن

قد اطّلعت على الجهود التي بذلت في الارتقاء بالمستوى الفقهي وعلى أسماء نخبة من الفقهاء الشامخين وكتبهم في القرن السابع.

فهلمّ معي نبحث عن تقدّم الركب الفقهي في القرن الثامن، وسيرة الفقهاء الذين برزوا فيه، والجهود التي بذلوها بغية إنعاش هذا العلم.

والجهود العلمية التي انصبّت في هذا القرن ليس إلاّ إكمالاً للجهود التي بذلت في القرن السابع، فالأساليب المتبعة هي نفس الأساليب السابقة دون أن يطرأ عليها أي جديد، ولو كان هناك تطور فإنّما هو في العرض والبيان كما سيوافيك.

١ . الحسن بن علي بن داود الحلّي (٦٤٧ـ٧٠٧هـ)

الشيخ تقي الدين الحسن بن علي بن داود الحلي المعروف بـ«ابن داود» من العلماء البارعين في الفقه والأُصول والرجال والكلام.

يصفه الشهيد الثاني بقوله: صاحب التصانيف الغزيرة، والتحقيقات الكثيرة، التي من جملتها كتاب «رجاله» سلك فيه مسلكاً لم يسلكه فيه أحد من

الأصحاب، وله من التصنيفات في الفقه نظماً ونثراً مختصراً ومطولاً وفي العربية والمنطق والعروض وأُصول الدين نحوٌ من ثلاثين مصنفاً.(١)

وقد قرأ على المحقّق نجم الدين الحلّي و السيد جمال الدين بن طاووس كما مرّ في ترجمة المحقّق وابن طاووس.

وهو ﷺ يعرّف نفسه في رجاله كعادة الرجاليين قائلاً: الحسن بن علي بن داود مصنف هذا الكتاب، مولده خامس جمادى الآخرة من سنة سبع وأربعين وستمائة.

له كتب، منها في الفقه: كتاب «تحصيل المنافع» وكتاب «التحفة السعدية» وكتاب «المقتصر من المختصر» وكتاب «الكافي» وكتاب «النكت» وكتاب«الرائع» وكتاب«خلاف المذاهب الخمسة» و كتاب «تكملة المعتبر» لم يتم، وكتاب «الجوهرة في نظم التبصرة» وكتاب «اللمعة» في فقه الصلاة نظماً، وكتاب «عقد الجواهر في الأشباه والنظائر» نظماً، وكتاب «اللؤلؤة» في خلاف أصحابنا لم يتم نظماً، وكتاب «الرائض في الفرائض» نظماً، وكتاب «عدة الناسك في قضاء المناسك» نظماً، وكتاب «الرجال» وهو هذا الكتاب، وله في الفقه غير ذلك.

ومنها في أُصول الدين وغيره:«الدر الثمين في أُصول الدين» نظماً، وكتاب «الخريدة العذراء في العقيدة الغرّاء» نظماً، وكتاب «الدرّج» و كتاب «إحكام القضية في أحكام القضية» في المنطق، وكتاب «حل الإشكال في عقد الاشكال» في المنطق، وكتاب «البغية» في القضايا، وكتاب «الإكليل التاجي» في العروض، وكتاب «قوة عين الخليل في شرح النظم الجليل» لابن الحاجب في العروض أيضاً، وكتاب «شرح قصيدة صدر الدين الساوي» في العروض أيضاً، وكتاب «مختصر الإيضاح» في النحو، وكتاب «حروف المعجم» في النحو، وكتاب «مختصر أسرار

---

(١) خوانساري: روضات الجنات: ٢/ ٢٨٧، نقلاً عن إجازات الشهيد الثاني.

العربية» في النحو. [١]

ومن جميل ما ألّفه هو كتابه «خلاف المذاهب الخمسة»، وهو فقه مقارن وقد تبع فيه خلاف الشيخ الطوسي إلاّ أنّ الثاني أعمّ منه من حيث بيان المذاهب.

وأمّا سلوكه في الرجال فرتّبه على الحروف، فالأوّل في الأسماء وأسماء الآباء والأجداد، وجمع في كتابه ما وصل إليه من كتب الرجال مع حسن الترتيب وزيادة التهذيب، فنقل فيه ما في رجال النجاشي وفهرست الشيخ ورجاله ورجال الكشي وكتاب ابن الغضائري والبرقي وابن عقدة والفضل بن شاذان وابن عبدون وغيرها. [٢]

وهذه ميزة لا توجد في سائر الكتب الرجالية المؤلّفة إلى عصره.

٢. العلاّمة الحلّي (٦٤٨ـ٧٢٦هـ)

هو الشيخ الأجل، العلاّمة على الإطلاق، أبو منصور جمال الدين الحسن بن يوسف بن علي بن المطهر الحلّي، قدس الله نفسه وروح رمسه.

تتلمذ على عدد كبير من علماء عصره، كما تتلمذ عليه جمع غفير من العلماء. فمشاهير أساتذته: المحقّق الحلّي، نصير الدين محمد بن حسن الطوسي، والده سديد الدين يوسف بن مطهر الحلّي، والشيخ كمال الدين ميثم البحراني، والشيخ نجم الدين علي بن عمر الكاتب القزويني الشافعي، والشيخ شمس الدين محمد ابن محمد بن أحمد الكيشي.

ومن تلامذته: ولده فخر المحقّقين، والسيد عميد الدين، و السيد ضياء الدين، ومحمد بن علي الجرجاني، والشيخ قطب الدين محمد بن محمد الرازي

---

١. ابن داود الحلي: الرجال: برقم ٤٣٤.

٢. الطهراني: الحقائق الراهنة: ٥٣.

البويهي.

هذه نماذج من تلامذته، وإلاّ فقد تخرج على يديه واستجاز منه أُناس كثيرون يطول بنا المقام بذكرهم. كيف وقد كان في عصره في الحلّة أربعمائة وأربعون مجتهداً؟!(١)

ويصفه ولده في شرحه على القواعد بقوله: المؤيد بالنفس القدسية والأخلاق النبوية.(٢)

ويعرفه الحسن بن داود الذي كان معاصراً له في رجاله ويقول: الحسن بن يوسف بن المطهر الحلّي، شيخ الطائفة، وعلاّمة وقته، صاحب التحقيق والتدقيق، كثير التصانيف، انتهت رئاسة الإمامية إليه في المعقول والمنقول.(٣)

وقد حفلت كتب الرجال والتراجم بترجمة العلاّمة ترجمة وافية، وقام بذلك غير واحد من المحقّقين في تقديماتهم على كتبه المنتشرة.

فنحن لا نرى حاجة في التبسط في المقام، والذي يجدر بنا ذكره هو ﵀ انّه قد ألّف ست دورات فقهية لكلّ ميزتها الخاصة، وقد ذكرها في ترجمته في رجاله (الخلاصة)، وقال فيها:

١. «منتهى المطلب في تحقيق المذهب» لم يعمل مثله، ذكرنا فيه جميع مذاهب المسلمين في الفقه، ورجحنا ما نعتقده بعد إبطال حجج من خالفنا فيه يتم إن شاء الله تعالى عملنا منه إلى هذا التاريخ، وهو شهر ربيع الآخر سنة ثلاث وتسعين وستمائة في سبعة مجلدات.

٢. كتاب «تلخيص المرام في معرفة الأحكام».

١. رياض العلماء: ١/ ٣٦١، أعيان الشيعة: ٥/ ٤٠١ في ترجمة العلامة الحلّي.

٢. إيضاح الفوائد في شرح القواعد: ١/ ١٠.

٣. ابن داود الحلّي: الرجال: ١١٩ برقم ٤٦١.

٣. كتاب «غاية الأحكام في تصحيح تلخيص المرام».

٤. كتاب «تحرير الأحكام الشرعية على مذهب الإمامية» حسن جيد، استخرجنا فيه فروعاً لم نسبق إليها مع اختصاره.

٥. كتاب «مختلف الشيعة في أحكام الشريعة» ذكرنا فيه خلاف علمائنا خاصة، وحجّة كلّ منهم والترجيح لما نصير إليه.

٦. كتاب «تبصرة المتعلّمين في أحكام الدين». [١]

ونقل محقّق «غاية المراد» في تقديمه عليه عن إحدى مخطوطات كتاب «الإرشاد» للعلاّمة الحلّي انّه جاء في هامشه ما يلي:

«قدّس الله نفس العلاّمة حيث صنف في كلّ فنون الفقه، كتب في الخلاف مع الجمهور «التذكرة»، وفي الخلاف بين الخاصة«المختلف»، وفي فن التفريع «التحرير»، وفي كليات قواعده«القواعد»، وفي فروع الروايات «الإرشاد»، وفي الاستدلال «المنتهى»، وفي النتائج« النهاية». [٢]

والكتاب الأخير لم يذكره العلاّمة عند تطرّقه لترجمة نفسه، وقد طبع أخيراً، وبهذا يبلغ عدد الدورات الفقهية الناجزة بيراعه إلى سبع.

كما ألّف في الأُصول كتباً متعدّدة، بين موجز كـ«مبادئ الوصول إلى علم الأُصول»، ومتوسط كـ«تهذيب الوصول إلى علم الأُصول»، ومسهب كـ «نهاية العقول إلى علم الأُصول» وقد طبع الأوّلان، والثالث لم ير النور ونحتفظ منه بنسخة.

---

١. رجال العلاّمة الحلّي:٤٥ برقم ٥٢.

٢. غاية المراد: ٥١، مقدمة المحقّق، نقلاً عن مخطوطة المكتبة الرضوية المقدّسة المرقّمة ٢٦٨٩ الورقة ٩٥.

وقد ذكر شيخنا في «ريحانة الأدب» انّ العلاّمة الحلّي ألّف خمسة عشر كتاباً في الفقه، وعشرة كتب في أُصوله، وربما ناهزت أجزاء بعض كتبه في الفقه عشرين جزءاً كما هو واضح لمن طالع تذكرة الفقهاء.

وحصيلة الجهود التي بذلها العلاّمة الحلّي في رفع المستوى الفقهي هو انّه ألّف كتباً مختلفة لغايات مختلفة، فلو ألّف الشيخ الخلاف بين المذاهب فقد ألّف هو مختلف الشيعة في اختلافات فقهاء الشيعة.

كما أنّه ألّف في الفقه المقارن دورتين:

إحداهما: «منتهى المطلب في تحرير المذهب» بدأ بتأليفه وله من العمر اثنان وثلاثون عاماً، أي في عام ٦٨٠هـ وكان المرجو أن يتم تأليفه ولكن الحوادث عاقته عن الإتمام.

والثاني: «تذكرة الفقهاء» فقد فرغ من الجزء الأخير منه عام ٧٢٠هـ ولم يتجاوز عن كتاب النكاح، ومع ذلك فهو أيضاً لم يتم.

فعلى من حاول الوقوف على تخريجاته وتفريعاته الرجوع إلى كتاب «تحرير الأحكام» حيث اشتمل على فروع كثيرة، وفرغ من تأليفه عام ٦٩٧هـ.

ونرجو من الله سبحانه أن يوفّقنا لتحقيق هذا الكتاب ونشره في الأوساط الإسلامية.[١]

٣. فخر المحقّقين (٦٨٢ـ٧٧١هـ)

محمد بن الحسن بن يوسف بن علي بن المطهر الحلّي الشهير بـ«فخر المحقّقين» وصفه الشهيد الأوّل بقوله: الشيخ الإمام، سلطان العلماء، منتهى

---

١. قد حققه ولدنا المحقق الشيخ ابراهيم «بهادري» حفظه الله ونشر في ستة أجزاء سادسها فهارسه الفقيه.

الفضلاء، والنبلاء، خاتمة المجتهدين، فخر الملّة والدين، أبو طالب محمد بن الشيخ الإمام السعيد جمال الدين بن المطهر مدّ الله في عمره مدّاً، وجعل بينه وبين الحادثات سدّاً.

ووصفه والده في أوّل كتابه الموسوم بـ«الألفين»: «أجبت سؤال ولدي العزيز عليّ «محمد» أصلح الله أمر داريه كما هو بار بوالديه، ورزقه أسباب السعادات الدنيوية و الأُخروية كما أطاعني في استعمال قواه العقلية والحسية، وأسعفه ببلوغ آماله كما أرضاني بأقواله وأفعاله، وجمع له بين الرئاستين كما لم يعصني طرفة عين. [1]

وعرّفه شيخنا الحر العاملي في كتابه «أمل الآمل»، بقوله: كان فاضلاً، محقّقاً، فقيهاً، ثقة، جليلاً، يروي عن أبيه العلاّمة وغيره.

له كتب، منها: شرح القواعد سمّاه «إيضاح الفوائد في حلّ مشكلات القواعد» وله شرح خطبة القواعد سمّاه «إيضاح القلوب» و «الفخرية في النية»، و «حاشية الإرشاد»، و « الكافية الوافية» في الكلام، وغير ذلك. ويروي عنه الشهيد وأثنىٰ عليه في بعض إجازاته ثناءً بليغاً جداً.

وذكره السيد مصطفىٰ التفريشي، فقال: من وجوه هذه الطائفة وثقاتها وفقهائها، جليل القدر، عظيم المنزلة، رفيع الشأن، حاله في علو قدره، وسمو رتبته وكثرة علومه أشهر من أن يذكر، روىٰ عن أبيه، وروى عنه شيخنا الشهيد، له كتب جيدة منها«الإيضاح». [2]

ومن تآليفه الفقهية:«إيضاح الفوائد في حل مشكلات القواعد» وهو شرح كتاب القواعد لوالده العلاّمة، وقد طبع في ثلاثة أجزاء.

---

١. روضات الجنات: ٦/ ٣٣١.

٢. أمل الآمل: ٢/ ٢٦٠ برقم ٧٦٨.

ومن آثاره الأُصولية: «شرح مبادئ الأُصول»، المتن للوالد والشرح له، ومثله كتابه الآخر «غاية السؤول في شرح تهذيب الأُصول».

ومن آرائه التي انفرد بها بين الإمامية انّ النهي في العبادات يقتضي الصحّة بدل اقتضائه للفساد، هذا وقد سأله العارف الجليل السيد حيدر الآملي عن مسائل فأجابه، فقال السيد: بعد الحمد والصلاة، هذه مسائل سألتها جناب الشيخ الأعظم سلطان العلماء في العالم مفخر العرب والعجم قدوة المحقّقين، مقتدى الخلائق أجمعين، أفضل المتأخرين و المتقدمين، المخصوص بعناية ربّ العالمين، الإمام العلاّمة في الملّة والحقّ والدين، ابن المطهر، مد الله ظلال إفضاله، وشيّد أركان الدين ببقائه، مشافهة في مجالس متفرقة علىٰ سبيل الفتوى، وكان ذلك في سلخ رجب المرجب سنة ٧٥٩ هجرية نبوية هلالية ببلدة حلة السيفية حماها الله عن الحدثان ، وأنا العبد الفقير حيدر بن علي بن حيدر العلوي الحسيني الآملي، أصلح الله حاله وجعل الجنة مآله.[١]

٤. قطب الدين الرازي (المتوفّى عام ٧٧٦هـ)

الحكيم، الفقيه، المتألّه، تلميذ العلاّمة الحلّي، وقد قرأ قواعده عليه وكتب على ظهر الكتاب العبارة التالية ــ يعلم منها مكانة التلميذ ـ قال: قرأ عليَّ هذا الكتاب الشيخ العالم، الكبير، الفقيه، الفاضل، المحقّق، المدقّق، ملك العلماء والأفاضل قطب الملّة والدين، محمد بن محمد الرازي أدام الله أيّامه، قراءة بحث وتدقيق، وتحرير وتحقيق، وسأل عن مشكلاته، واستوضح معظم مشتبهاته، فبيّنت له ذلك بياناً شافياً، وأجزت له رواية هذا الكتاب بأجمعه ورواية جميع مصنفاتي ورواياتي وما أُجيز لي روايته وجميع كتب أصحابنا السالفين (رضوان الله تعالىٰ

١. المستدرك: ٣/ ٤٥٩، الفائدة الثالثة.

عليهم أجمعين) بالطرق المتصلة مني إليهم، فليرو ذلك لمن شاء وأحبَّ على الشروط المعتبرة في الإجازة، فهو أهل لذلك، أحسن الله عاقبته، وكتب العبد الفقير إلى الله تعالى حسن بن يوسف بن المطهر الحلّي مصنّف الكتاب في ثالث شعبان المبارك من سنة ٧١٣ بناحية ورامين، والحمد لله وحده وصلى الله على محمّد النبي وآله.

وعرّفه الشهيد الأوّل بقوله: اتفق اجتماعي به بدمشق أُخريات شعبان سنة ٧٧٦هـ فإذا هو بحر لا ينزف، وأجازني جميع ما يجوز عني روايته، ثمّ توفي في ١٢ ذي القعدة من السنة المذكورة بدمشق، ودفن في الصالحية، ثمّ نقل إلى موضع آخر، وصلّي عليه برحبة القلعة، وحضر الأكثر من معتبري دمشق للصلاة عليه، رحمه الله وقدّس روحه، وكان إمامي المذهب بغير شك وريبة، صرّح بذلك وسمعته منه وانقطاعه إلى بقية أهل البيت معلوم.

ويقول الشهيد: إنّه كان من ذرية الصدوق ابن بابويه.

وقد وصفه غير واحد من علمائنا بما يعرف عن مكانته في العلوم العقلية والنقلية.

وكفاك انّ كتابيه: شرح الشمسية، وشرح المطالع من الكتب الدراسية في الحوزات العلمية.

وقد نقل الشيخ الأنصاري آراءه الفقهية في متاجره، فمن أراد الوقوف، فليرجع إلى مستدرك الوسائل.[1]

---

١. المستدرك: ٣/ ٤٥١، الفائدة الثالثة. وانظر ترجمته في طبقات أعلام الشيعة: القرن الثامن: ٢٠٠.

٥. محمد بن مكي العاملي (٧٣٤ـ٧٨٦هـ)

هو المحقّق الجليل، المتضلّع في الفقه، المعروف بإمام الفقه، فضله أشهر من أن يذكر، وجماع القول فيه انّه تاج الشيعة، وفخر الشريعة، صاحب النفس الزكية القدسية القوية، ولد بجزين سنة ٧٣٤هـ.

ويعرّفه الشيخ الحر العاملي بقوله: كان عالماً، ماهراً، فقيهاً، محدّثاً، مدقّقاً، ثقة، متبحّراً، كاملاً، جامعاً لفنون العقليات والنقليات، زاهداً، عابداً، ورعاً، شاعراً، أديباً، منشئاً، فريد دهره، عديم النظير في زمانه.

وقد استجاز عن مشايخ الفريقين، وروى مصنّفات أهل السنّة عن نحو أربعين شيخاً، كما روى عنه جماعة كثيرة، ويعد شيخ الإجازات في القرن الثامن، وإليه تنتهي أكثر الإجازات.

وأمّا آثاره الفقهية:

١. كتاب «الذكرىٰ»، خرج منه كتاب الطهارة والصلاة.

٢. كتاب «الدروس الشرعية في فقه الإمامية» خرج منه أكثر الفقه.

٣. «غاية المراد في شرح نكت الإرشاد».

٤. كتاب «جامع البين من فوائد الشرحين» جمع فيه شرحي تهذيب الأُصول للسيد عميد الدين والسيد ضياء الدين.

٥. كتاب «البيان» في الفقه.

٦. رسالة «الباقيات الصالحات».

٧. «اللمعة الدمشقية» دورة فقهية كتب بصورة المتن وعليها شروح كثيرة، أحسنها شرح الشيخ زين الدين الشهيد الثاني المسمّىٰ بـ«الروضة البهية في شرح اللمعة الدمشقية». وقد ألّفه شيخنا الشهيد بطلب من علي بن المؤيد ملك

خراسان وما والاها والذي توفي عام ٧٩٥هـ ألّفه عام ٧٨٢هـ وذلك قبل شهادته بأربع سنوات. وبذلك يعلم أنّ ما هو المشهور من أنّ الشهيد ألّفه في سبعة أيّام في محبسه غير صحيح، وكان الرسول بين الشهيد والمؤيد هو محمد الآبي النقيب شمس الدين.[1]

٨. «الألفية في فقه الصلاة اليومية».

٩. رسالة في قصر من سافر بقصد الإفطار والتقصير.

١٠. «النفلية في مستحبات الصلاة اليومية».

١١. «خلاصة الاعتبار في الحج والاعتمار».

١٢. «القواعد».

١٣. «الدرّة المضيئة».

١٤. رسالة «التكليف».

١٥. وله عدّة إجازات.

ومن ألطف كتبه كتاب «القواعد والفوائد»، فإنّ الشهيد الأوّل يعد أوّل من صنّف في هذا المضمار، وقد احتوى الكتاب على ما يقرب من ٣٣٠ قاعدة، إضافة إلى فوائد تقرب من ١٠٠ فائدة، عدا التنبيهات والفروع؛ وهذه القواعد والفوائد ليست فقهية خالصة، وإنّما فيها بعض القواعد الأُصولية والعربية، لكن الطابع الفقهي هو الغالب عليها، ولم يتبع الشهيد منهجاً معيناً في ترتيب ما أورده من قواعد وفوائد، حيث لم يفصل القواعد الفقهية عن الأُصولية أو العربية، وهذا ممّا حدا بتلميذه المقداد بن عبد الله السيوري بترتيب تلكم القواعد وتهذيبها، وأسماها بـ«نضد القواعد الفقهية».

---

١. الطهراني: طبقات أعلام الشيعة:٣/ ١٧٥، القرن الثامن. وله ترجمة ضافية في مقابس الأنوار:١٣، روضات الجنات: ٧/ ٣ برقم ٥٩٢، وأمل الآمل:١/ ١٨١ برقم ١٨٨.

ومن أعجب ما حظي به الشهيد هو ما كتبه أُستاذه فخر المحقّقين في حقّه وقال: قرأ عليّ مولانا الإمام العلاّمة الأعظم، أفضل علماء العالم، سيد فضلاء بني آدم، مولانا شمس الحق والدين محمد بن مكي بن محمد بن حامد أدام الله أيّامه من هذا الكتاب مشكلاته، وأجزت له رواية جميع كتب والديّ ، وجميع ما صنّفه أصحابنا المتقدّمون ـ رضي الله عنهم ـ عن والدي عنهم الطرق المذكورة. [1]

٦. عميد الدين عبد المطلب بن محمد[2] بن علي الأعرج (٦٨١ـ٧٥٤هـ)

يعرّفه الشهيد الأوّل بقوله: المولى السعيد، الإمام المرتضى علم الهدى، شيخ أهل البيت في زمانه، عميد الحق و الدين، يروي عن خاله العلاّمة الحلّي، له شرح تهذيب الأُصول. [3]

ويعرّفه أيضاً الخوانساري، بقوله: كان من أجلّة العلماء الثقات، ومشايخ الروايات، فاضلاً، محقّقاً، أُصولياً، ماهراً، حسن التصرّف والتصنيف، وكفاه فخراً انّ مثل شيخنا الشهيد الأوّل يعتني بشأنه كثيراً، وينقل عن ابن معين انّه عرّفه بقوله: درّة الفخر، وفريدة الدهر، مولانا الإمام الرباني، وهو ابن أُخت العلاّمة ، وقد شرح كتاب خاله العلاّمة الحلّي باسم «تهذيب الأُصول» وأسماه «منية اللبيب في شرح التهذيب» فرغ منه عام ٧٤٠هـ. [4]

---

١. رياض المسائل: ٧١، قسم المقدمة.

٢. هذا هو المكنّى بأبي الفوارس، صهر والد العلاّمة سديد الدين، وقد أنجبت زوجته أولاداً ذكوراً خمسة، وهم: جلال الدين علي، عميد الدين عبد المطلب، ضياء الدين عبد الله، نظام الدين الفاضل العلاّمة عبد الحميد، غياث الدين عبد الكريم.

٣. أمل الآمل: ٢/ ١٦٥ برقم ٤٨٤، وانظر ترجمته في روضات الجنات: ٤/ ٢٦٥ برقم ٣٩٤.

٤. نحتفظ منه بنسخة في مؤسسة الإمام الصادق ،وحكى شيخنا المدرس في «ريحانة الأدب» انه طبع في بلاد الهند.

وله من الكتب الفقهية: «كنز الفوائد في حل مشكلات القواعد».

وعلى ذلك فالعميدي أوّل من شرح كتاب القواعد للعلاّمة الحلّي، ثمّ أعقبه شرح آخر لأخيه كما يأتي، وثالث لفخر المحقّقين.

٧. عبد الله بن محمد بن علي الأعرج

يعرّفه الحر العاملي في كتابه«أمل الآمل» بقوله: عالم، فاضل، جليل القدر، من مشايخ الشهيد، يروي عن العلاّمة، له كتب، منها «شرح التهذيب» للعلاّمة، وغير ذلك.

وربما يقال: إنّ «منية اللبيب» لهذا الأخ، وأمّا ما ألّفه عميد الدين فليس له اسم خاص. [1]

وقد مضى انّ الشهيد الأوّل جمع بين فوائد شرح الأخوين وزاد عليهما فوائد أُخر، وأسماه«جامع البين من فوائد الشرحين». وميّز ما اختص به شرح الضياء بعلامة (ض) وما اختص به شرح العميدي بعلامة (ع)، وأجرى شيخنا عز الدين الحسين بن عبد الصمد والد الشيخ بهاء الدين العاملي تعميمات مفيدة في آخره. [2]

ويعرّفه صاحب الرياض بقوله: هو الفقيه الجليل، الأعظم، الأكمل، الأعلم، الأفضل، الكامل، المعروف بالسيد ضياء الدين الأعرج الحسيني.

---

١. انظر ترجمته في أمل الآمل:٢/ ١٦٤ برقم ٤٧٩، وطبقات أعلام الشيعة: ١٢٤، القرن الثامن.

٢. الطهراني: الذريعة: ٤/ ٤٣٥، ولاحظ المستدرك:٣/ ٤٥٩، الفائدة الثالثة.

٨. عبد الله بن سعيد بن المتوج البحراني

هو عبد الله بن سعيد بن المتوج البحراني، أحد كبار الفقهاء في القرن الثامن.

يعرّفه الأفندي بقوله: عالم، فاضل، فقيه، جليل، أديب، شاعر، نبيل، وكان من أكابر العلماء والفقهاء المتأخرين، ويعرف بـ«ابن المتوج» وربما يطلق على ابنه الشيخ أحمد فخر الدين.

وله مؤلّفات في الفقه، منها:

١. كتاب «المقاصد».

٢. كتاب «الناسخ والمنسوخ» من الآيات على طريقة الإمامية ومذهبهم.

٣. كتاب «النهاية في تفسير خمسمائة آية» التي عليها مدار الفقه.

وحيث إنّ مصدر الترجمة هو «رياض العلماء» للفاضل الأفندي التبريزي[١] فقد عدّ «المقاصد» من تأليف الوالد لا الولد على خلاف ما جعله شيخنا المجيز الطهراني في «الذريعة»[٢] فجعله تأليفاً للولد وفي الوقت نفسه احتمل أن يكون للوالد.

وستوافيك ترجمة ولده في زمرة فقهاء القرن التاسع.

٩. مهنا بن سنان بن عبد الوهاب المدني (المتوفّى ٧٥٤هـ)

أحد الفقهاء الإمامية القاطنين في المدينة المنوّرة، أذعن بفضله الفريقان،

---

١. رياض العلماء: ٣/ ٢٢٠.

٢. الذريعة: ٢١/ ٣٧٨ برقم ٥٥٤٦؛ و طبقات أعلام الشيعة: ١٢٨، القرن الثامن.

يعرّفه ابن حجر العسقلاني بقوله: مهنا بن سنان بن عبد الوهاب بن نميلة الحسيني الإمامي المدني، قاضي المدينة، اشتغل كثيراً، وكان حسن الفهم، جيد النظم، و لأُمراء المدينة فيه اعتقاد، وكانوا لا يقطعون أمراً دونه، وكان كثير التفقّه، إلى أن قال: مات سنة ٧٥٤هـ. [١]

وقد بعث مسائل إلى العلاّمة الحلّي يستفهمه في مسائل، فأجاب عنها العلاّمة ووصفه في صدر الرسالة بقوله: السيد الكبير، النقيب، الحسيب، النسيب، المعظم المرتضى، عز السادة، زين السيادة، معدن المجد والفخار، والحكم والآثار، الجامع للقصد الأوفى من فضائل الأخلاق، والفائز بالسهم المعلّى من طيب الأعراق، مزين ديوان القضاء بإظهار الحقّ على الحجّة البيضاء عند ترافع الخصم، نجم الحق والملّة والدين مهنا بن سنان الحسيني، القاطن بمدينة جدّه . [٢]

وتعرب المسائل عن توغّله في الفقه، وكونه مرجعاً وملاذاً للعامة في أحكام الدين.

ويكفي في جلالته في الفقه انّ فخر المحقّقين يصفه بقوله: أفضل علماء الآفاق، وأعلم الفقهاء على الإطلاق.

حصيلة الجهود الفقهية في القرن الثامن

كان النظام السائد في المناهج الفقهية في القرن الثامن هو نفس النظام المتبع في القرن السابع استمراراً لما خطّه المحقّق وتلاميذه بيد انّ الجهود المبذولة في هذا القرن انتهت إلى إبداع أُسلوب جديد في عرض الأبحاث الفقهية.

---

١. العسقلاني: الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة.

٢. أجوبة المسائل المهنائية: ٢٠.

فقد كان إطار البحث في المسائل الخلافية هو البحث عن الخلافيات الموجودة بين أئمّة المذاهب الفقهية، ولم يؤلّف كتاب في خلافيات مذهب واحد، وما ذلك إلاّ لقلّة الاختلاف بين فقهاء المذهب الواحد نتيجة إقفال باب الاجتهاد.

وأمّا الشيعة منذ عصر الرسول إلى يومنا هذا فقد اختلفت كلمات فقهائهم في مسائل كثيرة عقب فتح باب الاجتهاد.

١ . فألّف العلاّمة الحلّي لأوّل مرة كتاب «مختلف الشيعة» وذكر خلافيات فقهائهم في المسائل الفقهية من الطهارة إلى الديات.

٢ . ظهور موسوعة فقهية تحمل في طيّاتها فقهاً مقارناً بين المذاهب الإسلامية لم ير مثلها إلى الآن وهو كتاب «التذكرة» للعلاّمة الحلّي، وقد اتّبع المؤلّف النهج الذي اختطه الشيخ المفيد ثمّ المرتضى ثمّ الطوسي.

٣ . ظهور كتب رجالية تحليلية تجمع نصوص الرجاليين المتقدّمين مع شيء من التحليل و التفسير، وهذا النمط قد ابتكر لأوّل مرة في «رجال ابن داود» و«خلاصة العلامة» و«إيضاح الاشتباه» له أيضاً.

فالناظر في هذه الكتب الثلاثة إذا قارنها مع ما أُلّف في القرن الرابع والخامس من الكتب الرجالية يقف على وجود لون من الاجتهاد في علم الرجال، والبحث فيه بحثاً مفصلاً.

٤ . انّ تنويع الحديث إلى الأقسام الأربعة الذي ابتكره السيد ابن طاووس في القرن السابع لم يدخل حيّز التطبيق إلاّ بفضل تلميذيه ابن داود والعلاّمة الحلّي، فإنّ الثاني قد طبق الاصطلاح الموروث عن أُستاذه في كتبه الفقهية، فتجد انّه يفتي بالحديث لكونه صحيحاً، ويردّه لكونه ضعيفاً، ويحتج بهما فتبعه الفقهاء إلى يومنا هذا.

وأمّا الحافز على تنويع الحديث ـ مع أنّ الحديث بين القدماء كان بين صحيح وضعيف ـ فهو انّ الصحيح عند القدماء كان كل حديث يثقون بصدوره عن أئمّة أهل البيت عليهم السلام بالقرائن المتوفرة في ذلك الحين ـ وإن اختفت فيما بعد ـ، وإن كان الراوي غير ثقة في نفسه.

غير انّ مرور الزمان وانتقال الأحاديث من الأُصول الأربعمائة التي كانت لها مكانة من الصحّة إلى الجوامع الأوّلية والثانوية صارت سبباً لاختفاء القرائن التي كانت تورث الثقة بالحديث، فلم يكن بدّ من معالجة تلك الأحاديث بشكل آخر، وهو الذي اقترحه السيد ابن طاووس وثبّت أركانه العلاّمة الحلّي، وقد أوضحنا ذلك بإسهاب في كتابنا الموسوم بـ«كليات في علم الرجال».

٥. الاهتمام بعلم الأُصول وتطويره بتآليف متعاقبة، وقد علمت أنّ العلاّمة الحلّي ألّف كتباً في علم الأُصول، كما ألّف ابنا أُخته شرحين لكتابه «تهذيب الأُصول» وألّف ابنه فخر المحقّقين كتاباً في علم الأُصول.

إضافة إلى أنّ الشهيد الأوّل جمع نكات الشرحين للعلمين الجليلين: عميد الدين وضياء الدين في كتاب واحد.

٦. إبداع نمط جديد في الفقه بتحرير قواعده، وأوّل من شيّد صرحه هو العلاّمة الحلّي في كتابه «القواعد» و هو إن كان لا يشمل القواعد الفقهية برمّتها ولكنه خط هذا الطريق وتبعه الشهيد الأوّل بتأليفه كتاب «الفوائد والقواعد».

٧. كان للحلّة يومذاك الحظ الأوفر لظهور الفقهاء الأفذاذ، كما كان في البحرين حوزة علمية فقهية عامرة في القرن السابع والثامن تخرّج منها: المحقّق

ميثم البحراني صاحب «شرح نهج البلاغة» وأُستاذ العلاّمة المتوفّى عام ٦٩٩هـ وابنا المتوج، وغيرهم.

نعم ازدهرت في هذا القرن وما يتلوه مدرسة جبل عامل الذي شيد أركانها الشهيد الأوّل، وقد تخرّج منها نخبة من الفقهاء سنذكر أسماء بعض منهم في القرن التاسع.

الدور الرابع:

الجمود الفقهية

في القرن التاسع

وقبل استعـراض السير الفقهي في هذا القـرن لابدّ من استعـراض الظروف التاريخية والسياسية التي كانـت سائدة في الأمصار الإسلامية لما لها من تأثير مهم علىٰ سير التحولات الفقهية على سبيل الإيجاز.

الأوضاع السياسية في القرن التاسع

بسط المغـول نفوذهـم من الشرق الإسلامـي إلى حاضرة البـلاد الإسلاميـة (بغـداد) بعد حـروبٍ طـاحنة شهـدت قتل عـدد هائل مـن المسلمين، فسقطت الدولـة العباسيـة على يد هولاكـو عام ٦٥٦هـ واستقر حكم الـوثنيّين علىٰ بلاد الإسلام والمسلمين إلى أن اعتنق بعضهم الإسـلام، ويعدُّ محمود غازان خـان الذي جلس للحكم من عام (٦٩٤ـ ٧٠٤هـ) أوّل مـن اعتنق الإسلام، ثمّ أعقبه محمد خدا بنـده أولجايتو فتسلم زمام الأُمـور عام (٧٠٤ـ ٧١٦هـ) وقـد انتحل التشيع بفضل رجـل العلم والفضيلـة العـلاّمـة الحلّي لمنـاظرات جـرت بينـه وبين علماء المذاهب الأربعة في مسـائل فقهية في محضر السلطان وحاشيتـه ووزرائه، فبان قوة منطقه على كلّ من حضر، فطلب السلطان منه أن يلازمه في السفر والحضر، وهكذا أخذ العـلاّمة يصاحبـه مع تلاميـذه وكتبه، فأسّس مـدرسة سيّارة تقـام كلّما حط

السلطان بمكان، حتّى انّ العلاّمة الحلّي قد فرغ من تأليف بعض كتبه في مدينة «سلطانية» من اعمال زنجان. كما كتب اجازته لقطب الدين في ناحية ورامين كما مرّ.

ولمّا استتب الأمر للمغول واعتنقوا الإسلام والتشيّع وانصهروا في الكيان الإسلامي أخذوا يروّجون العلم لا سيّما العلوم الطبيعية كالفلك والنجوم والحساب، وفي ظل استتباب الأمن والاستقرار، نرى أنّ الركب الحضاري بدأ يتقدّم بعد نكسته التي أُصيب بها من جرّاء استيلاء المغول، ولم تمض مدة حتى بدأ المسلمون الذين غلبوا في عقر دارهم بأخذ زمام المبادرة من يد المغول من خلال رسم الخطوط العريضة لهم في السياسة والثقافة والاقتصاد بل في كافة جوانب الحياة، وهذا إن دلّ على شيء فإنّما يدلّ على قوة منطق الإسلام وصلابته، إذ جعل من الأعداء أنصاراً للحق.

كان الأمن سائداً ومستتباً في البقاع الإسلامية إلى عصر السلطان أبي سعيد بهادر خان (٧١٦ ـ ٧٣٦هـ).

وقد تدهور وضع الدولة الإيلخانية المغولية بعد وفاته، وتسلّم أزمة الأُمور أشخاص كانت تعوزهم الكفاءة والحزم، فعادت الفوضى إلى البلاد حتى تجد تولّي عدة سلاطين لمنصة الحكم في سنة واحدة فقد مات أبو سعيد بهادر خان وأعقبه السلطان ارباكاون سنة ٧٣٦هـ وبقي عدّة شهور على منصة الحكم، ثمّ أعقبه السلطان موسى خان ولم يدم طويلاً بل أمضى هو الآخر عدّة شهور أيضاً، ثمّ حلّ محلّه السلطان محمد خان (٧٣٦ـ ٧٣٨هـ).

واستمر الوضع على هذا المنوال حتى انقراض الدولة الإيلخانية في عهد آخر سلاطينهم المسمّى بـ«أنوشيروان العادل» (٧٤٤ـ ٧٥٦هـ) وكأنّه قدّر لهم

الحكم قرابة قرن واحد.

ثمّ عادت الفوضى أكثر من ذي قبل، وتمزّقت البلاد أشلاءً، واستبدّ بكل جزء منها أمير من الأُمراء تعوزهم الكفاءة، منهم:

١. سلسلة أُمراء آل جلاير (٧٤٠ـ ٨١٣هـ).

٢. سلسلة أُمراء جوباني (٧٤٤ـ ٧٥٩هـ).

٣. سلسلة أُمراء آل مظفر (٧٤٠ـ ٧٩٥هـ).

٤. سلسلة أُمراء اينجو (٧٤٢ـ ٧٥٨هـ).

٥. السربدارية (٧٣٨ـ ٧٨٨هـ).

التيمورية على منصة الحكم

وفي تلك الأوضاع المضطربة و المتدهورة ظهر تيمور لنك وبسط نفوذه على أصقاع شاسعة بعد أن أراق دماءً كثيرة حتى استتب له الأمر أواخر القرن الثامن، ودام حكمهم ١٢٧ سنة شهدت فيها البلاد المزيد من الدمار والهلاك والسفك والقتل حتى انقراضهم في عهد سلطانهم المدعو سلطان حسين بايقرا عام ٩١١هـ.

وقد خلفت التيمورية خلال مدة حكمها مضاعفات خطيرة على الصعيد العلمي والثقافي، فقد كان تيمور لنك وأولاده لا يهمّهم سوى الركوب على رقاب الناس والإغارة على ثرواتهم مهما بلغ من ثمن، فانعكست آثارها السيئة وتبلورت في قلّة الانتاجات العلمية والموسوعات الفقهية.

ولا شكّ انّ الحضارة تزدهر والعلم ينمو في ربوع يسودها العدل والأمن والاستقرار.

هذه لمحة خاطفة عن الأوضاع السياسية السائدة في القرن التاسع، ذكرناها على وجه موجز، ليقف القارئ على الأوضاع المزرية التي أُصيب بها المسلمون، وتركت من جراء ذلك آثاراً سيئة على الحركة الفقهية ممّا أعقب ذلك فتور النشاط الفقهي وقلّة الانتاج فيه.

وإليك أسماء نخبة من فقهاء هذا القرن:

١. الحسن بن سليمان بن خالد الحلّي (كان حياً عام ٨٠٢هـ)

هو الحسن بن سليمان بن خالد الحلّي يعرّفه الحر العاملي بقوله: فاضل، عالم، فقيه، له «مختصر بصائر الدرجات» لسعد بن عبد الله، يروي عنه الشهيد.

ويعرّفه الخوانساري بقوله: فقيه، فاضل، من تلامذة شيخنا الشهيد الأوّل، صاحب المصنّفات الكثيرة الفقهية.

وله أيضاً كتاب لطيف يسمّى «الرجعة».

وقد نقل الخوانساري صورة إجازته للشيخ العالم الموفّق عز الدين حسين بن محمد بن الحسن الحمویاني وفي آخرها كتب عبد الله حسن بن سليمان بن محمد في الثالث والعشرين من شهر محرم الحرام سنة ٨٠٢هـ.[1]

٢. فخر الدين أحمد بن عبد الله بن المتوج

هو الشيخ فخر الدين أحمد بن عبد الله بن سعيد بن المتوج، المشهور بـ«ابن المتوج» البحراني، المعروف بالعلم و الفضل والتقوى في أسانيد أصحابنا، يوصف

---

١. الأفندي التبريزي: رياض العلماء:١/ ١٩٣، الخوانساري:روضات الجنات:٢/ ٢٩٣ برقم ٢٠٢، طبقات أعلام الشيعة: القرن التاسع.

بـ:خاتمة المجتهـدين، شيـخ مشايخ الإسـلام، وقدوة أهـل النقض والإبـرام ومن تلامذة الشهيد وفخر المحقّقين، ومرّت ترجمة والده في فقهاء القرن الثامن.

وفي الروضات: وهو شيخ أبي العباس بن فهد الحلّي [1] والشيخ فخر الدين أحمد بن محمد بـن عبد الله السبعي الفقيه المشهـور المتوطّن بلاد الهنـد، ومن أجلّ تلامذة الشهيد و فخر المحقّقين.

آثاره الفقهية

١. الوسيلة.

٢. رسالة «الناسخ والمنسوخ».

٣. كتاب «ما يجب على المكلّفين».

٤. كتاب «غرائب المسائل».

٥. «النهاية» في تفسير ٥٠٠ آية، وهي آيات الاحكام في القرآن، وينقل فيه عن كنز العرفان معبراً عنه: قال المعاصر. [2]

٣. جمال الدين المقداد بن عبد الله السيوري الحلّي (المتوفّى ٨٢٦هـ)

هو الفقيـه الفاضـل المحقّق أبـو عبد الله المقـداد بن عبـد الله بن محمـد بن

---

١. يعرّفه صاحب الرياض بقوله: الشيخ شهـاب الدين أحمد بن فهد بن إدريـس المقري الأحسائي، المعروف بابن فهد، وهو غير ابن فهد المعروف صاحب «المهذب البارع» و«عدة الداعي».

ويدل على ذلك ما ذكره ابن أبي جمهور في أوّل كتاب «غوالي اللآلي»، يقول: أروي عن أحمد بن فهد المذكور(شهاب الـدين) عن شيخه خاتمة المجتهدين، المشهورة فتـاواه في جميع العالمين، فخر الدين أحمد بن متوج بن عبد الله.

٢. لاحظ رياض العلماء:١/ ٤٤، روضات الجنات:١/ ٦٨، طبقات أعلام الشيعة:٤، القرن التاسع.

حسن بن محمد السيوري الحلّي الأسدي الغروي، المعروف بـ«الفاضل السيوري» و«الفاضل المقداد» عند الفقهاء المتأخرين، كان من أجلّاء الأصحاب، وعظماء مشايخ الرجال، جامعاً بين المعقول والمنقول، عالماً، فاضلاً، متكلّماً، محقّقاً، مدقّقاً، من أعاظم الفقهاء، قد أثنىٰ عليه كلّ من عنونه بالثناء الجميل والذكر النبيل، أفاض الله علىٰ تربته سجال لطفه.

يعرّفه الأفندي التبريزي بعد وصفه بالعلم والفضل والتحقيق والتدقيق: له كتب، منها: شرح نهج المسترشدين في أُصول الدين، وكنز العرفان في فقه القرآن، والتنقيح الرائع في شرح مختصر الشرائع، وشرح الباب الحادي عشر، وشرح مبادئ الأُصول، يروي عن الشهيد محمد بن مكي العاملي. [1]

ويروي عنه: شرف الدين المكي، والحسين بن علاء الدين مظفر بن فخر الدين بن نصر الله القمي، وتاج الدين الحسن بن راشد الحلي صاحب «الجمانة البهية في نظم الألفية»، ومحمد بن شجاع القطان الحلّي، وأحمد بن فهد الحلي المتوفّى عام ٨٤١هـ وقاسم الدين. [2]

وله في الفقه الكتب التالية:

١. «التنقيح الرائع لمختصر شرح الشرائع» وهي دورة فقهية استدلالية من الطهارة إلى الديات، ابتدأ في أوّله بتعريف الفقه وتحصيله، والأدلّة العقلية، والعمل بخبر الواحد وأقسامه، وتفسير الأشهر والأظهر والأشبه، وغير ذلك من المصطلحات. [3]

---

١. رياض العلماء: ٥/ ٢١٦؛ أمل الآمل: ٢/ ٣٢٥برقم ١٠٠٢.

٢. طبقات الشيعة: ١٣٩، القرن التاسع.

٣. لاحظ التنقيح الرائع: ١/ ٣٦ ـ ٣٧، وطبع الكتاب في أجزاء أربعة ضخام.

٢. «كنز العرفـان في فقه القرآن»: وهو بين الكتب المؤلّفة حـول فقه القرآن، كتفسير «مجمع البيان» في تفسير القرآن، في جودة نسقه وتـرتيبه، وقد ذكره الذهبي المصري في كتاب «التفسير والمفسّرون» حيث قال:

يتعـرّض هذا التفسير لآيـات الأحكـام فقـط، وهو لا يفسر الآيـات سـورة فسورة على حسب ترتيب المصحف، ذاكراً مـا في كلّ سورة من آيات الأحكام كما فعل الجصـاص وابن العربي مثلاً، بـل طريقته في تفسيره انّـه يعقد أبواباً كـأبواب الفقه، ويـدرج في كلّ باب منهـا الآيات التي تدخـل تحت موضوع واحـد، فمثلاً يقول: باب الطهارة ثمّ يذكر ما ورد في الطهارة من الآيات القرآنية، شارحاً كلّ آية منها على حدة، مبيناً ما فيها من الأحكام، على حسب ما يذهب إليه الإمامية الاثنا عشرية في فروعهم مع تعرّضه للمذاهـب الأُخرى، وردّه على من يخالف ما يذهب إليه الإمامية الاثنا عشرية. [1]

٣. «آداب الحج».

٤. «نضد القـواعد الفقهيـة على مذهـب الإماميـة» وهو تـرتيب للقـواعد الفقهية للشهيد الأوّل.

وأمّا تآليفه في الكلام والعقائد فحدّث عنها ولا حرج.

فقد أصبـح شرحه على الباب الحادي عشر من الكتـب الدراسية إلى يـومنا هذا.

---

١. انظر التفسير والمفسّرون: ٢/ ٤٦٥.

٤. ابن فهد الحلي (٧٥٧ـ ٨٤١هـ)

جمال الدين أبو العباس أحمد بن فهد الأسدي الحلّي.

يعرّفه الشيخ الحر العاملي بقوله: فاضل، عالم، ثقة، صالح، زاهد، عابد، ورع، جليل القدر، له كتب. [١]

ويعرّفه العلاّمة المامقاني بقوله: له من الاشتهار بالفضل والعرفان والزهد والتقوى والأخلاق والخوف والإشفاق ما يغنينا عن البيان، وقد جمع بين المعقول والمنقول والفروع والأُصول واللفظ والمعنى والحديث والفقه والظاهر والباطن والعمل بأحسن ما كان يجمع. [٢]

وقد أطبق المتأخّرون علىٰ علمه ودقّته وفقهه.

وأمّا تآليفه الفقهية، فهي:

١. «المهذّب البارع إلى شرح النافع» وهو شرح للمختصر النافع للمحقّق من أوّله إلى آخره، أورد في كلّ مسألة أقوال الأصحاب وأدلّة كلّ قول، وبيّن الخلاف في كلّ مسألة خلافية، وعيّن المخالف وإن كان نادراً متروكاً، وأشار إلى وجه التردّد من المصنّف لدليل انقدح في خاطره، وقال: وسمّيته بـ«المهذب البارع في شرح المختصر النافع» وإن شئت فسمّه جامع الدقائق وكاشف الحقائق. [٣]

لأنّه لا يمر بمسألة مشكلة، إلاّ جلاّها غاية الجلاء، ولا لمعضلة إلاّ وشفى من بحثها غاية الشفاء، ورتب في أوّل كلّ كتاب، مقدّمة أو مقدّمات، ذكر فيها

---

١. أمل الآمل: ٢/ ٢١.
٢. تنقيح المقال: ١/ ٩٢ برقم ٥١٠، باب أحمد.
٣. المهذب البارع: ١/ ٦٣ـ٦٥، ثمّ قدّم مقدّمات أربع.

تعريفه وسند مشروعيته من الكتاب و السنّة والإجماع، وما يليق به من التمهيد، فكان كالدستور يَرجع إليه في المشكلات، ويعتمد عليه في المعضلات ويتفكه منه بالتفريعات.[١]

٢. «شرح الإرشاد» للعلاّمة الحلي.

٣. «فقه الصلاة».

٤. «شرح الألفية».

٥. «كفاية المحتاج في مسائل الحاج».

إلى غير ذلك من التآليف الفقهية وقد بلغ الشيخ الفقيه من الكمال ما بلغ بفضل جمعه بين العلم و العمل ومحافظته على الظواهر الشرعية ومراقبته للنفس.

وفي كتبه التالية دلالات واضحة على ذلك، منها:

١. «عدة الداعي ونجاح الساعي».

٢. «أسرار الصلاة».

٣. «التحصين وصفات العارفين».

توفّي بكربلاء عن عمر ناهز ٨٤ سنة، وله هناك قبر يزار.

ويعد من شيوخ الإجازة كشيخه الشهيد الأوّل، يروي عن الشيخ ظهير الدين علي بن يوسف بن عبد الجليل النيلي، والشيخ نظام الدين علي بن عبد الحميد النيلي الحائري، والشيخ فخر الدين ولد العلاّمة، ويروي عنه جماعة، منهم: الشيخ رضي الدين حسين الشهير بـ «ابن راشد القطيفي»، كما يظهر من أوّل غوالي اللآلي.[٢]

---

١. المهذب البارع: ١/ ٧٠ ـ ٧١.

٢. رياض العلماء: ١/ ٦٥.

٥. ناصر الدين بن جمال الدين أحمد بن متوج (المتوفى٨٥٦هـ)

هو ناصر الدين بن جمال الدين أحمد بن عبد الله بن محمد بن علي بن الحسن بن متوج البحراني.

يعرّفه الشيخ الحر العاملي بقوله: الشيخ ناصر بن أحمد بن عبد الله بن المتوج البحراني، صاحب الذهن الوقّاد، فاضل، محقّق، فقيه، حافظ، نقل أنّه ما نظر شيئاً ونسيه. [1]

٦. الشيخ شهاب الدين أحمد بن فهد بن إدريس المقري الأحسائي

هو الشيخ شهاب الدين أحمد بن إدريس المقري الأحسائي من أجلّة علماء الإمامية وفقهائهم، يروي عن: الشيخ فخر الدين أحمد بن عبد الله المشهور بـ«ابن المتوّج البحراني» عن الشيخ فخر الدين ولد العلاّمة.

ويروي عنه الشيخ جمال الدين حسن الشهير بـ«المطوع الجرواني الأحسائي» كما ذكره ابن أبي جمهور في أوّل غوالي اللآلي.

ثمّ إنّ ابن فهد هذا غير ابن فهد الأسدي الحلّي فهما معاصران، ومن العجب انّ لكلّ واحد منهما شرحاً على إرشاد العلاّمة، وكلاهما في طبقة واحدة حيث يرويان عن فخر المحقّقين بواسطة واحدة. [2]

---

١. أمل الآمل:٢/ ٣٣٣ برقم ١٠٢٦. وانظر ترجمته في طبقات أعلام الشيعة:١٤٢، القرن التاسع؛ رياض العلماء:٥/ ٢٣٦.

٢. رياض العلماء:١/ ٥٥، والترجمة منقولة عن كشكول البحراني، وحيث إنّ محقّق الكتاب لم يعثر على الجزء الأوّل من الرياض، جمع ما يرجع إليه من هنا وهناك، فالترجمة أولى بالانتساب إلى محقّق الكتاب، أعني: السيد أحمد الحسيني الاشكوري ـ دام مجده ـ.

٧. محمد الأنصاري بن شجاع الحلّي

محمد الأنصاري بن شجاع الحلّي القطان، عالم، فقيه، فاضل، يروي عن الفاضل المقداد، وله من الكتب:

١. «معالم الدين في فقه آل ياسين».

ويروي فيه أيضاً عن أبي الحسن علي بن الحسن الاسترابادي الراوي عن حسن بن سليمان تلميذ الشهيد.

يقول شيخنا المجيز الطهراني في وصف الكتاب الأوّل: وقد رتّبه على أربعة أقسام، وهي دورة فقهية كاملة، فرغ منه في عاشر شعبان سنة ٨٣٢هـ. [١]

وقد حُقِّق الكتاب في مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام وطبع مع تقديم منّا.

٢. «أحكام الإيمان» الموسوم بنهج العرفان، فرغ من تصنيفه في التاسع عشر من شعبان عام ٨١٩هـ يروي فيه عن الفاضل المقداد ويدعو له بقوله: متعنا الله بطول بقائه.

٨. مفلح الصيمري (كان حياً عام ٨٧٨هـ)

هو الشيخ مفلح بن حسن بن رشيد بن صالح الصيمري، من تلاميذ أحمد ابن فهد الحلّي (المتوفّى ٨٤١هـ).

وله من المؤلّفات الفقهية ما يلي:

١. «غاية المرام في شرح شرائع الإسلام» في مجلد واحد، وقد طبع أخيراً في بيروت في عدّة أجزاء، وقد اختار فيه الفرق بين الرطلين في الزكاتين، كما اختاره ابن فهد في «المهذب البارع» أو العلاّمة الحلّي في «التحرير».

---

١. لاحظ ترجمته في رياض العلماء: ٤/ ١٠٨؛ طبقات أعلام الشيعة: القرن التاسع: ١١٨؛ الذريعة: ٢٤/ ٤٢٢، وج٢١/ ١٩٩.

٢. «جواهر الكلمات في صيغ العقود والإيقاعات» فرغ من تصنيفه عام ٨٧٠هـ وهي رسالة عملية تدل على غزارة علم مؤلفها؛ مليح، كثير المباحث، غزير العلم.

٣. «التنبيهات في الإرث والتوريثات» ذكره شيخنا الطهراني في «الذريعة».[1] رسالة في الفرائض مرتبة على ثلاثة أبواب وخاتمة.

٤. «تلخيص الخلاف» هو تلخيص كتاب «الخلاف» لشيخ الطائفة، وقد طبع التلخيص في ثلاثة أجزاء عام ١٤٠٨هـ.

٥. «التنبيه على غرائب من لا يحضره الفقيه» جمع فيه المؤلّف فتاوى الشيخ الصدوق المخالفة للإجماع والمسائل المرفوضة عند فقهائنا المتقدمين.

٦. «كشف الالتباس» وهو شرح استدلالي لتمام رسالة الموجز الحاوي، ينتهي إلى آخر كتاب الزكاة؛ والموجز من تآليف أحمد بن فهد الحلّي، وقد طبع الكتاب عام ١٤١٧هـ.

وسيأتي ترجمة ولده حسين بن مفلح عند استعراض علماء القرن العاشر.[2]

٩. الحسن بن محمد بن الحسن الاسترابادي

هو الشيخ كمال الدين (تاج الدين) حسن بن شمس الدين محمد بن حسن الاسترابادي مولداً، والنجفي موطناً.

يعرّفه الأفندي التبريزي بقوله: كان من أكابر علماء متأخّري أصحابنا، وله

---

١. الذريعة: ٣/ ٣٣٥؛ كشف الالتباس، مقدمة المحقّق، وقدكتب له ترجمة ضافية.

٢. طبقات أعلام الشيعة: القرن التاسع، ص ١٣٧؛ وانظر مخطوط كتاب مشايخ الشيعة.

تآليف قيّمة، منها:

١. «معارج السؤول ومدارج المأمول» في مجلدين، وهو كتاب جامع في معناه حسن كاسمه، كثير الفوائد، كبير، فرغ من تأليفه ٨٩١هـ وقد ألّفه على غرار كتاب «كنز العرفان» للشيخ مقداد السيوري، وزاد عليه بفوائد نفيسة جليلة كثيرة.

٢. «عيون التفاسير» وقد صرّح به في أوّل المعارج.

يقول شيخنا المجيز: عيون التفاسير للشيخ كمال الدين الحسن بن محمد بن حسن الاسترابادي النجفي.

٣. «شرح الفصول النصيرية».

أقول: صرّح في أوّل «معارج الأُصول» بأنّ الله منَّ عليه بتأليف عيون التفاسير واستخرج منه المعارج على نهج ما ألّفه شيخه المقداد.

وبما أنّه فرغ من تأليف«عيون التفاسير» سنة ٨٩١هـ، وفي الوقت نفسه يروي عن الفاضل المقداد المتوفى عام ٨٢٨هـ فهو من المعمّرين.[١]

١٠. الحسن بن راشد الحلّي

هو تاج الدين الحسن بن راشد الحلّي، تلميذ الفاضل المقداد صاحب «الجمانة البهية في نظم الألفية الشهيدية».

يعرّفه الشيخ الحرّ العاملي بقوله: فاضل، فقيه، شاعر، أديب، له شعر كثير

---

١. انظر ترجمته في رياض العلماء: ١/ ٣١٩؛ الذريعة: ١٥، برقم ٢٣٧٥؛ طبقات أعلام الشيعة: ٩١، القرن التاسع.

في مدح المهدي وسائر الأئمّة عليهم السلام، ومرثية الحسين عليه السلام، وأُرجوزة في تاريخ الملوك والخلفاء، وأُرجوزة في تاريخ القاهرة، وأُرجوزة في نظم ألفية الشهيد.

ووصفه الشيخ إبراهيم الكفعمي المتوفّى عام ٩٠٥هـ بقوله: الشيخ الإمام، الفاضل، نادرة الزمان، وذكر انّه يروي الألفية عن شيخه المقداد، وهو يرويها عن مؤلّفها الشهيد.

وأوّل الأُرجوزة:

قال الفقير الحسن بن راشد مبتدأ باسم الإله الماجدِ[1]

١١. ابن أبي جمهور الأحسائي

هو المحقّق الفاضل محمد بن الشيخ زين الدين أبي الحسن علي بن حسام الدين بن إبراهيم بن حسين بن إبراهيم بن أبي جمهور الهجري الأحسائي، يعرّفه الشيخ الحر العاملي بقوله: كان عالماً، فاضلاً، راوية، له كتب، ثمّ ذكر أسماء كتبه.

ويعرّفه المحدّث البحراني بقوله: كان فاضلاً، مجتهداً، متكلماً، له كتاب غوالي اللآلي.

ويذكره العلاّمة المجلسي ويقول: ومؤلّفه بالفضل معروف.

وأمّا آثاره الفقهية، فقد ألّف:

١. «الأقطاب الفقهية والوظائف الدينية علىٰ مذهب الإمامية»، وهو على

---

١. أمل الآمل: ٢/ ٦٥ برقم ١٧٨. وانظر الذريعة:٥/ ١٣١ برقم ٥٤٢، تاريخ طبقات أعلام الشيعة:١ ٤١، القرن التاسع.

غرار قواعد الشهيد.

٢. «الأنوار المشهدية في شرح الرسالة البرمكية» في فقه الصلاة اليومية، والظاهر انّ الرسالة البرمكية قد كتبها بنفسه.

٣. «التحفة الحسينية في شرح الألفية» كتبه شرحاً لألفية الشهيد الأوّل.

وأمّا تآليفه في الأحاديث والأخبار، فمن أشهر كتبه «غوالي اللآلي العزيزية في الأحاديث الدينية»، وقد فرغ منه سنة ٨٩٩هـ كما ذكره شيخنا النوري في «المستدرك»، وقد طبع الكتاب في أربعة أجزاء.

وحيث إنّه قضىٰ أكثر عمره في القرن التاسع، وقد توفي في مستهل القرن العاشر (بعد سنة ٩٠١) ذكرناه في فقهاء هذا القرن.[1]

هذه نخبة من أسماء الأعلام من فقهاء القرن التاسع تلوناها عليكم كنماذج من الفقهاء الأفذاذ الذين برزوا في تلك الحقبة من الزمان، والذين أنعشوا الحركة الاجتهادية بتآليفهم، ومن أراد الوقوف علىٰ مزيد ممّا ذكرنا فليرجع إلى طبقات الفقهاء وسائر الكتب .

حصيلة الجهود العلمية في القرن التاسع

قد مرّ عليك في صدر البحث انّه لم تكن توجد سلطة مركزية تحكم البلاد الإسلامية ، بل كانت ثمة دويلات صغيرة تحكم في إطار المناطق التي تخضع لنفوذها.

---

١. المستدرك:٣/ ٣٦١ ــ ٣٦٥، الفائدة الثالثة؛ ريحانة الأدب:٧/ ٣٣٩؛ أمل الآمل:٢/ ٢٥٣ برقم ٧٤٩؛ روضات الجنات: ٧/ ٢٦ برقم ٥٩٤.

ومن الواضح انّ في مثل تلك الظروف القلقة تنعدم الطمأنينة والثبات المطلوب لعرض الأفكار ومناقشتها خصوصاً في مجال الفقه.

وقد احتفل التاريخ في هذا القرن بأسماء جمع غفير من الفقهاء مع قلّة الانتاجات العلمية.

فبعد الإيعاز إلى هذه المقدّمة نستعرض حصيلة الجهود التي أُنجزت في هذا القرن:

ألف. ظهور ثلة من الفقهاء العظام الذين أخذوا على عاتقهم إنعاش الفقه وتطويره على ضوء ما ورثوه من أساتذتهم، وفي طليعتهم:

١. المقداد السيوري(المتوفّى٨٢٨هـ).

٢. الشيخ ابن فهد الحلّي (٧٧٥ـ٨٤١هـ).

٣. مفلح الصيمري (كان حيّاً عام ٨٧٨هـ).

٤. شهاب الدين أحمد بن فهد الأحسائي.

ب. العناية الوافرة بتفسير آيات الأحكام التي هي أُسس التشريع الإسلامي، فقد ألّف الفاضل المقداد كتاب «كنز العرفان» ويعد مصدر إشعاع وإلهام إلى يومنا هذا.

كما ألّف الحسن بن محمد بن الحسن الاسترابادي كتابه «معارج السؤول ومدارج المأمول» في مجلدين سار فيه على ضوء كتاب كنز العرفان لأُستاذه.

ج. العناية الوافرة بالقواعد الفقهية على غرار ما أُلّف في القرن الثامن لكن بنظم ومنهجيه أكثر، وقد وقفت على أنّ الفاضل المقداد ألّف «نضد القواعد» تنظيماً لما ألّفه الشهيد الأوّل.

الدور الرابع:

الجهود الفقهية

في القرن العاشر وأوائل الحادي عشر

عند إطلالة القرن العاشر سادت الربوع الإسلامية دولتان عظيمتان هما: الدولة الصفوية والعثمانية؛ حيث حكمت الأولى أصقاعاً من الشرق الإسلامي من عام (٩٠٥ـ١١٣٥هـ) وحكمت الثانية أصقاعاً من الغرب الإسلامي وأكثر البلاد العربية، وقد استأثر الفقهاء باهتمام كلا الدولتين بغية إضفاء الشرعية علىٰ حكمهما خصوصاً الدولة الصفوية التي قامت على دعامة التشيّع وولاية الأئمّة الاثني عشر التي فوضت الأُمور بعد غيبة الإمام الثاني عشر إلى الفقهاء العظام الجامعين لشرائط الإفتاء، فازدهرت العلوم الإسلامية لا سيما الفقه في عهد الصفوية إلى حد بعيد، فلنذكر نخبة من العلماء الذين أنجبتهم هذه الحقبة.

١. الشيخ حسين الصيمري (المتوفّى عام ٩٣٣هـ)

هو الشيخ حسين بن مفلح بن حسن الصيمري

يعرّفه الحر العاملي بقوله: فاضل، عالم، محدّث، عابد، كثير التلاوة والصوم والصلاة والحج، حسن الخلق، واسع العلم، توفي سنة ٩٣٣هـ وعمره يزيد على الثمانين.

وأمّا تآليفه، فقد فصّلها شيخنا المجيز وعدّ منها:

١. «محاسن الكلمات في معرفة النيات».

٢. «مناسك الحج».

٣. «جواز الحكومة الشرعية».

ورسائل أُخرى لم تذكر بعنوانها، وقد مرَّ انّ والده مفلحاً تلميذ ابن فهد له «جواهر الكلمات في صيغ العقود والإيقاعات»، و«غاية المرام في شرح شرائع الإسلام». [١]

٢. الحسن الأعرج الحسيني (المتوفّى عام٩٣٣هـ)

هو بدر الدين بن جعفر بن فخر الدين بن الحسن بن نجم الدين الأعرج الحسيني.

يصفه الحر العاملي بأنّه كان فاضلاً، جليل القدر، ومن جملة مشايخ شيخنا الشهيد الثاني، قرأ عليه في الكرك، وتوفي سنة ٩٣٣هـ.

يقول في إجازته للشيخ حسين بن عبد الصمد العاملي: وأرويها عن شيخنا الأجل الأعلم، الأكمل ذي النفس الطاهرة الزكية أفضل المتأخّرين في قوتيه العلمية والعملية.

مؤلّفاته

١. كتاب «المحجة البيضاء والحجّة الغراء»جمع فيه بين فروع الشريعة والحديث والتفسير في الآيات الفقهية.

---

١. أمل الآمل:٢/ ١٠٣ برقم ٢٨٥؛ وطبقات أعلام الشيعة: ٦٦، القرن العاشر؛ وله ترجمة في أعيان الشيعة.

٢. «العمدة الجلية في الأُصول الفقهية».

٣. «شرح الطيبة الجزرية في القراءات العشر».

٤. «مقنع الطلاب فيما يتعلّق بكلام الاعراب». [١]

٣. علي بن عبد العالي العاملي الكركي (المتوفّى عام ٩٤٠هـ)

هو الشيخ علي الكركي المعروف بـ«المحقّق الثاني» نور الدين علي بن الحسين بن علي بن محمد بن عبد العالي العاملي الكركي، المتوفى عام ٩٤٠هـ في النجف يوم الغدير.

يعرّفه الشيخ الحر العاملي بقوله: الشيخ الجليل علي بن عبد العالي العاملي الكركي، أمره في الثقة والعلم والفضل وجلالة القدر وعظم الشأن وكثرة التحقيق أشهر من أن يذكر، ومصنّفاته كثيرة مشهورة، ثمّ ذكر فهرس كتبه.

وذكره السيد التفرشي في «نقد الرجال» وقال: شيخ الطائفة، وعلاّمة وقته، صاحب التحقيق والتدقيق، كثير العلم، نقي الكلام، جيد التصانيف من أجلاّء هذه الطائفة، يروي عن الشيخ شمس الدين محمد بن داود عن ابن الشهيد عن أبيه، وكفىٰ في فضله انّ الشهيد الثاني يثني عليه بقوله: الشيخ الإمام المحقّق المنقح نادرة الزمان و يتيمة الأوان.

ومن تآليفه

١. «جامع المقاصد في شرح القواعد» في خمسة مجلدات كبار إلى بحث التفويض من النكاح، وهو كتاب مشحون بالتحقيق والاستدلال ينقح مباني

---

١. أمل الآمل: ١/ ٥٧ برقم ٤٤؛ وانظر ترجمته في روضات الجنات: ٢/ ٢٩٤ برقم ٢٠٣؛ طبقات أعلام الشيعة: القرن العاشر، ص ٤٩.

الأحكام، وهو من الكتب الممتعة ومن حسنات الدهر.

ويحكى عن الشيخ محمد حسن النجفي صاحب «جواهر الكلام» أنّه قال: إنّ الفقيه إذا كان بين يديه «جامع المقاصد» و«وسائل الشيعة» و«الجواهر» استغنىٰ عن أي مصدر آخر، وكان بإمكانه استنباط الحكم الفقهي اعتماداً علىٰ هذه المصادر الثلاثة.[1]

ونقل عن صاحب العروة أنّه يكفي للمجتهد في استنباطه للأحكام أن يكون عنده كتاب «جامع المقاصد» و«الوسائل» و «مستند الشيعة».

وأمّا سائر آثاره الفقهية فتنتهي إلى ٣٢ كتاباً ورسالة نذكر بعضها، ومن أراد التفصيل فليرجع إلى مقدّمة «جامع المقاصد».[2]

نعم انّ الشيخ أوّل من أورد المسائل الحكومية إلى الساحة الفقهية، لما تمتع به من منصب في الدولة الصفوية، وسيأتي الحديث عنه عند البحث عن حصيلة الجهود التي بذلت في القرن العاشر.

٢. الرسالة الخراجية المسمّاة بـ«قاطعة اللجاج في تحقيق حلّ الخراج».

٣. رسالة الجمعة.

٤. الرسالة الرضاعية.

وغيرها من التأليفات التي نافت على ٣٢ تأليفاً.

٤. إبراهيم القطيفي (المتوفّى عام ٩٤٥هـ)

هو كما يعرّفه صاحب الرياض :الإمام، الفقيه، الفاضل، العالم، الكامل،

---

١. جواهر الكلام:١/ ١٤؛ لاحظ المستدرك:٣/ ٤٣١، الفائدة الثالثة.

٢. مقدّمة جامع المقاصد:١ ٤١ـ٤٣.

المحقّق، المدقّق، المعاصر للشيخ علي الكركي العاملي، المعروف بـ«المحقّق الثاني»، وكان هو والشيخ عز الدين الآملي والشيخ علي الكركي شركاء الدرس عند الشيخ علي بن هلال الجزائري، وكان زاهداً، عابداً، ورعاً، مشهوراً، تاركاً للدنيا برمّتها.

وقد دارت بينه وبين زميله الشيخ علي الكركي مساجلات ومناظرات في مسائل فقهية أهمها مسألة الخراج كما سيوافيك.

و ذكر صاحب الروضات أسماء تآليفه الفقهية بالنحو التالي:

١. «الهادي إلى سبيل الرشاد في شرح الإرشاد».

٢. «نفحات الفوائد ومفردات الزوائد».

٣. رسالة في أحكام الرضاع.

٤. رسالة في محرّمات الذبيحة.

٥. رسالة في الصوم ينقل عنه الأردبيلي في «مجمع الفائدة».

٦. رسالة في أحكام الشكوك.

٧. شرحه على ألفية الشهيد.

٨. تعليقات كثيرة على الشرائع.[1]

ومن المسائل التي خالف فيها المحقّق الكركي هو مسألة حل الخراج، ففي الواقع كان المحقّق الكركي يؤيد الحكومة الصفوية لا سيما الشاه طهماسب، وكان القطيفي على خلافه.

فألّف المحقّق كتابه «قاطعة اللجاج في تحقيق الخراج» عام ٩١٦هـ رتّبه

---

١. رياض العلماء: ١/ ١٥، روضات الجنات: ١/ ٢٥ـ٢٧ برقم ٣.

علىٰ مقدّمة في أقسام الأرضين وخمس مقالات، وقد طبعت مع الرسائل الرضاعيات.

ونقضها الشيخ إبراهيم القطيفي بكتاب أسماه «السراج الوهّاج لدفع عجاج قاطعة اللجاج».

وصارت المسألة موضع نقاش حاد بين العلماء، فألّف المحقّق الأردبيلي رسالة دافع فيها عن القطيفي، كما ألّف ماجد الشيباني رسالة دافع فيها عن الكركي، والكتابان الأوّلان مطبوعان.

ومن فتاواه حرمة صلاة الجمعة في عصر الغيبة مطلقاً ردّاً على المحقّق الكركي القائل بوجوبها مع وجود المجتهد الجامع لشرائط الفتوى.

إنّ الخلاف بين المحقّق الكركي والقطيفي لم يكن سياسياً كما زعمه بعض، بل انّ منشأه انّ الخراج إنّما يؤخذ من الأراضي التي فتحت عنوة بإذن الإمام وكانت معمورة عند الفتح ولم يثبت وقفيتها أو لم يدّع أحد انّ بيده ملكيّتها، ففي مثل تلك الأراضي يؤخذ الخراج و يصرف في مصالح المسلمين.

فالقطيفي ومن أيّده كالأردبيلي يدعون عدم ثبوت هذه الشروط في الأراضي التي يؤخذ منها الخراج. [١]

٥. زين الدين الجبعي العاملي (٩١١ـ٩٦٦هـ)

هو الشيخ الأجل زين الدين بن علي بن أحمد بن محمد بن جمال الدين بن تقي الدين بن صالح (تلميذ العلاّمة) العاملي، الجبعي، المعروف بـ «الشهيد الثاني».

---

١. لاحظ الرسالتين الخراجيتين للأردبيلي، المطبوعتين مع سائر رسائله.

يعرّفه الحر العاملي بقوله: أمره في الثقة والعلم والفضل والزهد والعبادة والورع والتحقيق والتبحّر وجلالة القدر وعظم الشأن وجمع الفضائل والكمالات أشهر من أن يذكر، ومحاسنه وأوصافه الحميدة أكثر من أن تحصى وتحصر، ومصنّفاته كثيرة مشهورة.

كان ﷺ فقيهاً، محدثاً، نحوياً، قارئاً، متكلماً، حكيماً، جامعاً لفنون العلم، وقد ألّف تلميذه محمد العودي العاملي رسالة في ترجمة الشهيد منذ ولادته إلى شهادته بالقسطنطينية سنة ٩٦٦هـ.

وأمّا تصانيفه المفعمة بالتحقيق فكثيرة، نذكر منها على سبيل المثال:

١. «مسالك الافهام في شرح شرائع الإسلام» وقد طبع قديماً في جزءين كبيرين، وأُعيد طبعه بصف جديد في خمسة عشر جزءً فرغ المؤلف عنه عام ٩٦٤، وهو أحسن كتاب جمع بين التلخيص في التعبير والتحقيق في المادة والمعنى، وليس له نظير بين المتقدّمين والمتأخرين.

٢. «الروضة البهية في شرح اللمعة الدمشقية» وهي دورة فقهية تضم جميع أبواب الفقه، وبما أنّه جمع بين حسن التعبير و الاختصار في الاستدلال على الحدّ اللازم صار كتاباً دراسياً منذ قرون ومازال يدرّس في الجامعات الإسلامية الشيعية إلى يومنا هذا، وعليها تعليقات كثيرة.

وأمّا سائر تآليفه الفقهية فحدث عنها ولا حرج، وقد سرد أسماءها الحر العاملي في كتابه القيم «أمل الآمل». [١]

يروي عنه: السيد علي بن الصائغ الفقيه المشهور صاحب شرح الشرائع، والسيد نور الدين عبد الحميد الكركي العاملي، والمولى محمود بن محمد بن علي

١. أمل الآمل: ١/ ٨٥، وروضات الجنات: ٣/ ٣٥٢ برقم ٣٠٦، رياض العلماء: ٢/ ٣٦٥.

الجيلاني، والشيخ محيي الدين بن أحمد بن تاج الدين الميسي العاملي، والشيخ تاج الدين بن هلال الجزائري، والشيخ بهاء الدين بن العودي وهو من خواص تلامذته، والشيخ حسين بن عبد الصمد الحارثي والدُ الشيخ بهاء الدين العاملي، والسيد علي بن أبي الحسن الموسوي العاملي الجبعي وهو صهره الذي كان والد سبطه السيد محمد صاحب المدارك. [١]

وقد يتصوّر المرء في بدو الأمر انّ الشهادة كتبت على أبطال رفعوا السلاح في ميادين الجهاد وساحات الوغى، ولكن عندما يتصفّح صفحات التاريخ ويقف على سيرة علمائنا الأبرار يجد انّهم جمعوا بين اللسان والحسام، وخدموا الشريعة بيراعهم وأقلامهم وبدمائهم وأرواحهم، وشيخنا هذا من أبرز مصاديق تلك الزمرة. فقد استعرض التاريخ لنا كيفية شهادته المفجعة. [٢]

٦. الشيخ حسين بن عبد الصمد العاملي (٩١٨ـ٩٨٤هـ)

الشيخ عز الدين حسين بن عبد الصمد الجبعي العاملي، والد شيخنا بهاء الدين العاملي، يصفه أُستاذه زين الدين الشهيد الثاني، بقوله: الشيخ الإمام العالم الأوحد، المرقي عن حضيض التقليد إلى أوج اليقين، عضد الإسلام والمسلمين في الدنيا والدين، حسين بن الشيخ الصالح العالم العامل المتقي، خلاصة الأخيار، الشيخ عبد الصمد بن الشيخ الإمام شمس الدين محمد الشهير بالجبعي الحارثي الهمداني. [٣]

ولعلّ هذه الكلمة من أُستاذه تعرب عن مكانة الرجل في العلم والفقه

---

١. رياض العلماء: ٢/ ٣٦٦.

٢. أمل الآمل: ١/ ٨٨ـ ٩٩.

٣. طبقات أعلام الشيعة: ٦٢، القرن العاشر.

والأمانة، وآثاره تدل على تضلّعه في الفقه، وقد ترك آثاراً فقهية نذكر منها ما يلي:

١. رسالة في تعارض اليد والشياع وتقديمه على اليد.

٢. رسالة في المسح على الرجلين.

٣. رسالة في تحقيق تسع مسائل مهمة في الصلاة، المعبّر عنه بـ«الرسالة التساعية».

٤. مسائل الصلاة، أو الرسالة الطهماسية، في بعض المسائل الفقهية.

ولمّا توفي ، رثاه ولده الأكبر شيخنا بهاء الدين العاملي بقصيدة مطلعها:

قف بالطلول وسلها أين سلماها ورقٌ من جرع الأجفان جرعاها [1]

٧. علي بن الحسين الصائغ العاملي (المتوفّى عام ٩٨٠هـ)

هو علي بن الحسين بن محمد الشهير بـ «الصائغ» الحسيني العاملي الجزيني.

عرّفه الحر العاملي بقوله: كان فاضلاً، عابداً، فقيهاً، محدّثاً، محقّقاً، ومن تلامذة الشهيد الثاني، له كتاب «شرح الشرائع» رأيته بخطه وكتاب «شرح الإرشاد» وغير ذلك.

قرأ عنده الشيخ حسن (صاحب المعالم) ابن الشهيد الثاني، والسيد محمد بن علي بن أبي الحسن الموسوي العاملي (صاحب المدارك) ورويا عنه.

ولمّا توفي رثاه الشيخ حسن المذكور بقصيدة تتألّف من ٢٤ بيتاً مطلعها:

---

١. ولشيخنا المترجم ترجمة وافية في الغدير، ذكر فيه مشايخه وتلاميذه، فمن أراد فليرجع إلى الجزء١١/ ٢١٧ـ٢٣١.

داعي الغوايـــــة بين العالمــين دعـــا من شاب نجم الهدى من بعد ما سطعا [١]

يقول الأفندي: يروى عنه المحقّـق الأردبيلي، وانّ شرحه على الإرشاد موسوم بـ«مجمع البيـان في شرح إرشـاد الأذهـان» وقـد رأيـت منـه نسخـة بقصبـة «ده خارقان»، وقد قُرئت تلك النسخة عليه، وكان تاريخ تأليفه سنة ٩٧٩هـ.

وكفى في جلالته انّـه من مشايخ الأردبيلي، الذي تربّـى في أحضانه العلمان الجليلان صاحبا المعالم والمدارك.

٨. عبد العالي الكركي (٩٢٦ـ٩٩٣هـ)

هو الشيخ عبد العالي بن نور الدين علي بن عبد العالي العاملي الكركي.

يعرّفه الحر العاملي بقوله: كان فـاضلاً، فقيهاً، محقّقاً، محدّثاً، متكلماً، عابداً، من المشايخ الأجلاّء، يروي عن أبيه وغيره من المعاصرين.

وذكره التفرشي في «رجالـه» وقال: جليل القدر، عظيم المنزلـة، رفيع الشأن، نقـيّ الكلام، كثير الحفـظ، كان مـن تـلامذة أبيـه، تشرّفـت بخدمتـه، وقد تـوفي باصبهان عام ٩٩٣هـ. [٢]

وأمّا آثاره العلمية

١. «اللمعة في عدم عينية الجمعة».

٢. رسالة في القبلة عموماً، وقبلة خراسان خصوصاً.

إلى غير ذلك من التآليف.

---

١. أمل الآمل: ١/ ١١٩ برقم ١٢٣.

٢. أمـل الآمل: ١/ ١١٠ بـرقم ١٠٠. وانظـر تـرجمته في نقـد الـرجال: ١٨٨ـ ١٨٩؛ طبقات أعـلام الشيعة: ١٢٢، القرن العاشر؛ روضات الجنات: ٤/ ١٩٩.

٩. المحقّق أحمد الأردبيلي (المتوفّى عام٩٩٣هـ)

المولى أحمد بن محمد الأردبيلي، أمره في الجلالة والثقة والأمانة أشهر من أن يذكر، وفوق ما تحوم حوله عبارة، كان متكلّماً، فقيهاً عظيم الشأن، جليل القدر، رفيع المنزلة، أورع أهل زمانه، وأعبدهم وأتقاهم. [١]

يعرّفه المحدّث البحراني بقوله: لم يسمع بمثله في الزهد والورع، له مقامات وكرامات لا مجال لذكرها.

وكانت السلطة الصفوية آنذاك بيد الشاه عباس الصفوي، وكان يبالغ في تعظيمه وتمجيده، ويرسل إليه بكلّ جميل، و يستدعي من جنابه القدوم إلى إيران، وهو يتحاشى عن قبول ذلك.

وقد خلّف أثرين عظيمين في الفقه قلّما يوجد لهما مثيل هما:

١. «مجمع الفائدة والبرهان في شرح إرشاد الأذهان» وقد طبع في اثني عشر جزءاً، وهو مفعم بالتحقيق ومشحون بالدّقة، وهو دورة فقهية كاملة، وموسوعة كبيرة تشمل جميع أبواب الفقه، إلاّ كتاب النكاح، وقد اعترف بدقته وفضله كلُّ من تأخّر عنه، وهو المجدّد في أكثر المسائل الفقهية ومع أنّه كان يرجع إلى كلمات الفقهاء، ولكن لا يصدر عنها تقليداً، فرغ من الجزء الأوّل عام ٩٧٨هـ قال في آخر هذا الجزء: وقع اختتامه في عاشر ربيع الأوّل المنتظم في شهور سنة ٩٧٨هـ في مشهد أمير المؤمنين، أمير الأُمراء عليه وعلى حبيبه سيد الأنبياء، وأولاده سادات الأتقياء أفضل التحية والثناء، في زمن الاختفاء من الأعداء. [٢]

---

١. الأفندي التبريزي: الرياض:١/ ٥٦؛ طبقات أعلام الشيعة:٨، القرن العاشر.

٢. لاحظ مجمع الفائدة:٣/ ٤٤٥.

إنّ للمحقّق الأردبيلي في هذا الكتاب آراءً خاصّة، خالف فيها الرأي المشهور بين العلماء، وقد نشرت مجموعة من هذه الآراء في الجزء الثاني من المقالات التي طبعت بمناسبة انعقاد مؤتمر احياء الذكرىٰ المئوية على وفاة المحقّق الأردبيلي.

وتعرب آراؤه عن دقّته وحريته في الرأي، وعمق تفكيره، ونظرته الفاحصة نحو المسائل الفقهية.

٢. «فقه القرآن»: المسمّىٰ بـ«زبدة البيان في أحكام القرآن» فسّر فيه آيات الأحكام الواردة في القرآن المجيد، وهو ـ بعد كنز العرفان ـ أبسط كتاب حول الموضوع، وقد فرغ من تأليفه سنة ٩٨٩هـ و وقع موضع العناية من قبل العلماء، فشرحه بعضهم، وعلّق عليه آخرون.

وهو ككتابه السابق مشحون بالتحقيق، وأمّا منهج المؤلّف في هذا الكتاب، يشرح اللّغات المشكلة، ثمّ يبيّن النكات الأدبيّة، ويفسّر الآيات على ضوئها، ثمّ يتطرّق إلى الأحكام التي تدل عليها الآية، وهو في تأليفه هذا متأثر بكتاب «مجمع البيان» للشيخ الطبرسي.

وقد شهد القرن العاشر محقّقين كبيرين على صعيد الفقه، أحدهما المحقّق الكبير الشيخ أحمد الأردبيلي، والثاني الشيخ علي الكركي المعروف بـ«المحقّق الكركي» صاحب جامع المقاصد كما مرّ ذكره.

كما يكفيه من الفضل انّه ربّى فقيهين جليلين، هما: الشيخ حسن صاحب المعالم، والسيد محمد صاحب المدارك، وكلاهما من أعلام الفقه وحملة الأقلام. [1]

---

١. طبقات أعلام الشيعة:٨، القرن العاشر.

١٠. الحسين المجتهد الكركي (المتوفّى عام١٠٠١هـ)

هو السيد الحسين المجتهد الكركي ابن السيد ضياء الدين أبي تراب الحسن ابن أبي جعفر محمد الموسوي الكركي.

يعرّفه الأفندي التبريزي بقوله: الفقيه، الفاضل، الجليل، الكامل، المعروف بالأمير السيد حسين المجتهد، وقد يعرف بالأمير السيد حسين المفتي، والد الميرزا حبيب الله المشهور، الذي تسلم مناصب رفيعة في عهد الصفوية، وهو ابن أُخت الشيخ عبد العالي بن الشيخ علي الكركي المشهور، وكان والده من جملة مشايخ الشهيد الثاني، ومن أكابر العلماء، ومن مشايخ الشيخ حسين بن عبد الصمد، والد شيخنا بهاء الدين العاملي، وقد تخرّج عليه الشيخ شمس الدين محمد بن الشيخ ظهير الدين إبراهيم البحراني.

وأمّا آثاره العلمية الفقهية، فهي:

١. «رفع البدعة في حل المتعة» وصفه الأفندي بقوله: وهي رسالة طويلة الذيل، حسنة الفوائد، وعندنا منها نسخة، وقد ألّفها لكمال الدين شيخ أويس.

٢. رسالة «اللمعة في أمر صلاة الجمعة» فرغ من تأليفها سنة ٩٦٦هـ وقد ألّفها للسلطان شاه طهماسب، ويذهب فيها إلى وجوب صلاة الجمعة تخييراً لكن شريطة أن يكون إمام الجمعة فقيهاً مجتهداً جامعاً لشرائط الفتوى، وردَّ فيها على ما ذكره الشهيد الثاني من الأدلّة على وجوبها عيناً.

٣. «النفحات القدسية في أجوبة المسائل الطبرسية».

٤. «الاقتصاد».

٥. «شرح الشرائع» خرج منه كتاب الطهارة.

إلى غير ذلك من الرسائل والمصنّفات في الفقه والعقائد وغيرها. [١]

يقول شيخنا المجيز: توفي بأردبيل بالطاعون، وحمل إلى العتبات المقدسة سنة ١٠٠١هـ، ثمّ اعتذر عن ذكره في عداد فقهاء القرن العاشر بقوله: وذكرنا المترجم له هاهنا مع أنّه توفي عام ١٠٠١هـ لشدّة احتكاك ترجمته مع أهل المائة العاشرة.

١١. الشيخ جمال الدين الحسن صاحب المعالم (٩٥٩ـ١٠١١هـ)

هو الشيخ جمال الدين أبو منصور الحسن بن الشيخ زين الدين الشهيد الثاني العاملي الجبعي.

يعرّفه الشيخ الحر العاملي بقوله: كان عالماً، فاضلاً، عاملاً، كاملاً، متبحراً، محقّقاً، ثقة، فقيهاً، وجيهاً، نبيهاً، محدثاً، جامعاً للفنون، أديباً، شاعراً، زاهداً، عابداً، ورعاً، جليل القدر، عظيم الشأن، كثير المحاسن، وحيد دهره، أعرف أهل زمانه بالفقه والحديث والرجال. [٢]

ولا أجد عبارة أجمع في الإشادة بفضله كتلك التي ذكرها الحرّ العاملي. انتقل الشيخ حسن وابن أخته السيد محمد صاحب المدارك إلى النجف، وتتلمذا على يد المحقّق الأردبيلي، وكان يخصّهما بالتدريس وراء ما يلقيه على سائر الطلاب، وكان يتنبأ لهما بمستقبل زاهر و زاخر بالعطاء العلمي.

---

١. لاحظ، طبقات أعلام الشيعة: ٧١، القرن العاشر، فقد ذكر فهرس تأليفه على وجه التفصيل، الأفندي التبريزي: الرياض: ٢/ ٦٢ـ ٦٩؛ وأمل الآمل: ١/ ٦٩ برقم ٦٣.

١. الحر العاملي: أمل الآمل: ١/ ٥٧، روضات الجنات: ٢/ ٢٩٦، رياض العلماء: ١/ ٢٢٥.

وقد انتج قلم شيخنا كتباً، منها:

١. «منتقى الجمان في الأحاديث الصحاح والحسان» خرج منه كتب العبادات إلى الحج، وهو كتاب قليل النظير، وفيه نكات و إفادات لا توجد في غيره.

٢. «معالم الدين وملاذ المجتهدين» خرج منه مقدمة في الأُصول وقسم من كتاب الطهارة، ولم تزل مقدمته في الأُصول كتاباً دراسياً منذ تأليفه إلى يومنا هذا.

٣. «مناسك الحج».

٤. الرسالة الاثنا عشرية في الصلاة.

٥. «حاشية على مختلف الشيعة» مجلد واحد.

٦. «التحرير الطاووسي» في الرجال.

٧. كتاب «مشكاة القول السديد في تحقيق معنى الاجتهاد والتقليد».

٨. رسالة في المنع من تقليد الميّت.

وفي ظنّي انّ شيخنا أبا منصور صاحب المعالم ألّف الكتابين الأخيرين ردّاً لما ظهر في الأوساط العلمية من بوادر الحركة الأخبارية، التي كانت تحرّم الاجتهاد ولا تجوّز التقليد، وتجوّز أخذ الحكم من الحيّ والميّت.

وهذا إن دلّ على شيء فإنّما يدل على ظهور الحركة الرجعية في مستهلّ القرن الحادي عشر، قبل أن ينادي بها محمد أمين الاسترابادي من مكة المكرمة عن طريق تأليف كتابه «الفوائد المدنية» وسيوافيك تفصيل ذلك عند البحث عن الحركة الاخبارية.

١٢ . السيد محمد صاحب المدارك (٩٤٦ـ١٠٠٩هـ)

هو السيد محمد بن علي بن الحسين بن أبي الحسن الموسوي العاملي الجبعي.[1]

يعرّفه الحرّ العاملي بقوله: كان عالماً، فاضلاً، متبحراً، ماهراً، محقّقاً، مدقّقاً، زاهداً، عابداً، ورعاً، فقيهاً، محدّثاً، كاملاً، جامعاً للفنون والعلوم، جليل القدر، عظيم المنزلة، قرأ على: أبيه، وعلى مولانا أحمد الأردبيلي، وتلامذة جدّه لأُمّه الشهيد الثاني، كان شريك خاله الشيخ حسن في الدرس، وكان كل يقتدي بالآخر في الصلاة ويحضر درسه، وقد رأيت جماعة من تلامذتهما.

وهذا التعبير يعرب عن مكانة الرجل وورعه، غير انّ سيدنا المترجم له قليل التأليف، ولكنّه كثير التحقيق والتدقيق، ردّ أكثر الأشياء المشهورة بين المتأخرين في الأُصول والفقه، كما فعله خاله الشيخ حسن.

ومن تآليفه:

١ . «مدارك الاحكام في شرح شرائع الإسلام» ، طُبعت في ثمانية أجزاء، وفرغ منه سنة ٩٩٨هـ.

٢ . «شرح المختصر النافع».

٣. وله حواشٍ على الاستبصار، والتهذيب، وألفية الشهيد.

وكان يقول بوجوب صلاة الجمعة.

---

١ . له ترجمة في أعيان الشيعة:٤٦/ ١٠٣، أمل الآمل:١/ ١٦٧، الذريعة ٤٤، ريحانة الأدب:٢/ ٣٨٨، لؤلؤة البحرين: ٤٤، نقد الرجال: ٣٢١، هدية الأحباب:١٨٩، روضات الجنات:٧/ ٤٥، وله ترجمة وافية في مقدّمة مدارك الأحكام.

ومن مميّزات كتاب المدارك متانة الاستدلال، والاعتماد على الروايات المسلّمة، فينتقي منها ما كانت واضحة الدلالة، ومن الأدلّة العقلية ما كانت متسالمة، وهو في الوقت نفسه ينقل الرواية بكاملها مع الدقة في نقلها، ويضعف ما يرويه غير الإمامي الاثني عشري.

١٣. القاضي نور الله التستري المرعشي (٩٥٦ـ١٠١٩هـ)

هو السيد نور الله بن السيد شرف الدين الحسيني المرعشي التستري [١]، متكلم كبير، فقيه متبحّر، أُصولي بارع، كان يقضي في بلاد الهند بالمذاهب الخمسة، يصفه الشيخ الحرّ العاملي بقوله: فاضل، عالم، محقّق، علاّمة، محدِّث، له كتب، منها: «إحقاق الحقّ في جواب من ردّ نهج الحقّ» للعلاّمة، وكتاب «الصوارم المهرقة في جواب الصواعق المحرقة»، وكتاب «مصائب النواصب»، و«رسالة في نجاسة الماء القليل بالملاقاة» وله «حاشية على شرح المختصر للعضدي»، و«حاشية على تفسير البيضاوي».

كما أنّ له كتاب «مجالس المؤمنين» في القضايا و التراجم.

ألّف العلاّمة الحلّي كتاب «نهج الحق وكشف الصدق» للسلطان محمد خدابنده، مرتّباً على مسائل في التوحيد والعدل والنبوّة والإمامة، ومسائل أُصول الفقه، والمسائل الفرعية.

وقد قام الفضل بن روزبهان بنقض هذا الكتاب وفرغ من النقض عام ٩٠٩هـ وسمّاه «إبطال الباطل و إهمال كشف العاطل» أورد فيه جميع نهج الحق بألفاظه غير خطبته، ثمّ قام القاضي نور الله، بنقض كتاب روزبهان بكتاب

١. له ترجمة ضافية في روضات الجنات: ٨/ ١٥٩ برقم ٧٢٧؛ أمل الآمل: ٢/ ٣٣٦ برقم ١٠٣٧؛ وترجمه السيد المرعشي في مقدمته على كتاب إحقاق الحقّ.

أسماه «إحقاق الحقّ» فلمّا علمت بـه السلطات الجائرة في الهند أُلقي القبـض عليه وزُجَّ في السجن وعذِّب حتى استشهد علىٰ أثرها عام ١٠١٩ هـ.

وقد طبع «إحقاق الحقّ» بعدّة طبعـات، وطبع أخيراً بتعليقات وافرة للسيد العلامة المرعشي رحمه الله.

١٤. عناية الله القهبائي (كان حيّاً عام ١٠١٦ هـ)

هو الشيخ عناية الله القهبائي من تلامذة المحقّق الأردبيلي والشيخ عبد الله التستري الاصفهاني وبهاء الدين العاملي، صاحب «مجمع الرجال في علم الرجال» جمع فيه تمام مـا في الأُصول الخمسـة الرجاليـة، أعني: رجـال النجاشي، والكشي، ورجال شيـخ الطائفة، و فهـرسته، ورجال ابن الغضـائري؛ وهو في الوقـت نفسه إعادة لتـأليف «حل الإشكال في معـرفة الرجـال» للسيد ابن طاووس، وقـد طبع الكتاب في سبعـة أجزاء في ثلاثـة مجلدات [1] ويعد كتـابه هـذا من أدقّ الكتـب الرجالية وأعمقها.

١٥. الشيخ عبد النبي بن الشيخ سعد الجزائري [2] (المتوفّى ١٠٢١ هـ)

يصفه الحرّ العـاملي بقوله: كـان عـالماً، محقّقـاً، جليلاً، له كتـب منها: شرح التهذيب.

ويعرّفه الخوانسـاري: كان فاضلاً، محقّقاً، جليلاً، قـرأ في الأُصولين، والفقه،

---

١. روضات الجنات: ٤/ ١٠ ٤؛ طبقات أعلام الشيعة، القرن الحادي عشر: ٤٢٠.

٢. الجزائر عبارة عن ناحية كبيرة، وقـرى متّصلة واقعة على شفير نهر تستر، بينها وبين البصرة، حسنة الربـاع والاقطاع، خـرج منه جمع كثيرٍ مـن علماء الشيعة. كما في الـروضات لاحـظ أيضاً مقدمـة حاوي الأقوال: ٨.

والحديث و الرجال، وكتابه «حاوي الأقوال في معرفة الرجال» جليل معروف معتمد عليه بين الطائفة.

قرأ على شيخنا بهاء الدين العاملي، وصاحب المعالم، والمدارك، وما في أمل الآمل من أنّه قرأ على المحقّق الكركي بعيد عن الصحة، لأنّ الثاني توفي عام ٩٤٠هـ والمترجم له توفي عام ١٠٢١هـ.[1]

١٦. عبد الله بن الحسين التستري شيخ الرجاليين (المتوفّى ١٠٢١هـ)

يعرّفه تلميذه في «نقد الرجال» بقوله: عبدالله بن الحسين التستري ـ مدّظلّه ـ شيخنا وأُستاذنا، الإمام، العلاّمة، المحقّق، المدقّق، جليل القدر، عظيم المنزلة، دقيق الفطنة، كثير الحفظ، وحيد عصره، فريد دهره، أورع أهل زمانه، ما رأيت أحداً أوثق منه، لا تحصى مناقبه وفضائله، قائم الليل، صائم النهار، وأكثر فوائد هذا الكتاب (نقد الرجال) من تحقيقاته، جزاه الله عنّي أفضل جزاء المحسنين، ثمّ ذكر كتبه.[2]

ويروي عنه محمد تقي المجلسي الأوّل وغيره.

وهو الذي وقف على كتاب «حل الإشكال في معرفة الرجال» للسيد أحمد ابن طاووس الحلّي الذي جمع فيه عبارات الكتب الرجالية الخمسة: رجال الطوسي، فهرسته، اختيار الكشي، وفهرست النجاشي، وكتاب الضعفاء المنسوب إلى ابن الغضائري؛ ثمّ جرّد ما نقله السيد في ذلك الكتاب عن ابن الغضائري

---

١. له ترجمة في أمل الآمل: ٢/ ١٦٥ برقم ٤٨٨، روضات الجنات:٤/ ٢٦٨ برقم ٣٩٥، رياض العلماء:٣/ ٢٧٢.

٢. التفرشي: نقد الرجال: ١٩٧ برقم ٩٢؛ لاحظ كليات في علم الرجال:٨٣.

وجعله في رسالة، والطريق الوحيد إلى كلّ ما ينقل عن ابن الغضائري هي تلك الرسالة المجردة من كتاب «حل الإشكال في معرفة الرجال».

١٧. ميرزا محمد الاسترابادي (المتوفّى١٠٢٨هـ)

هو الشيخ محمد الاسترابادي بن علي بن إبراهيم الحسيني (المتوفّى ١٠٢٨هـ) وقد ألّف في الرجال كتباً ثلاثة تقدّمت أسماؤها.

وهو أُستاذ محمد الأمين الاسترابادي الأخباري وأبوعقيلته، وله وراء كتبه الثلاثة، شرح آيات الأحكام، وحاشية التهذيب للشيخ الطوسي، ورسائل أُخرى متعددة؛ توفي بمكة في ١٣ ذي الحجة، أو ثالث ذي القعدة سنة ١٠٢٨هـ.

يروي عن: إبراهيم بن علي بن عبد العالي الميسي، وأبي محمد محسن بن غياث الدين منصور.

ويروي عنه: محمد أمين الاسترابادي(المتوفّى ١٠٣٦هـ). [١]ترجمه غير واحد من الرجاليين، كالأردبيلي في «جامع الرواة» والتفرشي في «نقد الرجال» هؤلاء هم الأقطاب الثلاثة لعلم الرجال في أوائل القرن الحادي عشر.

١٨. الشيخ محمد بهاء الدين (٩٥٣ـ١٠٣٠هـ)

هو الشيخ الجليل بهاء الدّين محمد بن الحسين بن عبد الصمد الحارثي العاملي الجبعي، منسوب إلى الحارث الهمداني، الذي كان من خواص أمير المؤمنين عليه السلام.

يعرّفه الحرّ العاملي بقوله: حاله في الفقه والعلم، والفضل والتحقيق،

---

١. الطهراني: طبقات أعلام الشيعة: القرن الحادي عشر:٤٩٧.

والتدقيق، وجلالة القدر، وعظم الشأن، وحسن التصنيف، ورشاقة العبارة، وجمع المحاسن، أظهر من أن يذكر، وفضائله أكثر من أن تحصىٰ، وكان ماهراً، متبحراً، جامعاً، كاملاً، شاعراً، أديباً، مُنْشِئاً، ثقة، عدم النظير في زمانه في الفقه والحديث والمعاني و البيان والرياضي وغيرها. [١]

يقول شيخنا المجيز بعد مدحه و إطرائه ما هذه خلاصته: ورد المترجم له بلاد إيران مع والده في عصر طهماسب، واشتغل على العلماء، كوالده، وعبد الله بن شهاب الدين اليزدي، ومحمد باقر اليزدي وغيرهم، حتى برع في فنون عصره، بشهادة تصانيفه في التفسير والفقه والأُصول والأدب والرجال والتاريخ والعلوم، فانتسب إلى مقام شيخ الإسلام، ثمّ استعفىٰ، وساح في البلاد ثلاثين سنة، وحصلت عنده خزانة كتب كبيرة. [٢]

أساتذته

١. والده الشيخ حسين بن عبد الصمد (المتوفّى عام٩٨٥هـ).

٢. الشيخ عبد العالي الكركي ابن المحقّق الكركي(المتوفّى عام٩٩٣هـ).

٣. الشيخ محمد بن محمد بن أبي اللطيف المقدّس الشافعي، وله منه إجازة توجد ضمن إجازات البحار مؤرخة بسنة ٩٩٢هـ.

٤. الشيخ المولى عبد الله اليزدي (المتوفّى عام٩٨١هـ).

٥. المولى علي المذهب المدرس، تتلمذ عنده في العلوم الرياضية.

٦. النطاسي المحنّك، عماد الدين محمد، قرأ عليه في الطب.

---

١. أمل الآمل: ١/ ١٥٥ برقم ١٥٨.

٢. طبقات أعلام الشيعة: ٨٦، القرن الحادي عشر. نقل بتصرف يسير.

وأمّا انتاجاته الفقهيّة

١. «الجامع العباسي» وهو رسالة عمليّة كتبها باللّغة الفارسية، ولعلّها أوّل رسالة عملية ظهرت بين فقهاء الشيعة، وقد عملت للمقلّدين، ولم يوفّق لإتمامها فأكملها غيره.

٢. حاشية على الفقيه.

٣. حاشية على القواعد.

٤. «الحبل المتين» وقد طبع.

٥. رسالتان كريتان.

٦. رسالة في الصلاة.

٧. رسالة في المواريث، وقد طبعت.

٨. رسالة في القبلة.

٩. رسالة في الحج.

١٠. شرح الفرائض النصيرية للمحقّق الطوسي.

١١. رسالة في ذبائح أهل الكتاب، وقد طبعت.

يقول في مقدّمتها: إنّ الباعث على تأليف هذه الرسالة أنّ رسول ملك الروم، لمّا ورد بالرسالة من تلك المملكة إلىٰ هذه البلاد، ذكر في بعض الأيام أنّ من أعظم ما يشنّع به علماء الروم على علمائكم، بعد مسألة الإمامة، حكمهم بتحريم ذبائح أهل الكتاب، مع أنّ القرآن المجيد نطق بتحليلها في آية لا مجال لتأويلها، وهي قوله تعالىٰ: ﴿وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتابَ حِلٌّ لَكُمْ﴾. [1]

---

١. المائدة:٥.

فأمرني السلطان... أن أكتب رسالة قامعة للجاجهم، قاطعة لاحتجاجهم بحيث يرتفع تشنيعهم علينا، فكتبت على سبيل الاستعجال ما منح به قلم الارتجال، مع توزّع البال، وأمر بإرسال هذه الرسالة إلىٰ بلاد الروم مع رسوله ليرتفع حجاب الاحتجاب في هذا الباب، ويتضح عذرنا عند أُولي الألباب. [١]

إلى غير ذلك من الرسائل، وأمّا تأليفه في سائر العلوم، وحتى الأُصول، فليس هناك موضوع إلاّ وقد ولجه، وقد ألّف في الأُصول كتابه «زبدة الأُصول»، وهو مطبوع. [٢]

١٩. الشيخ جواد بن سعيد بن جواد الكاظمي (كان حيّاً عام ١٠٢٩هـ)

هو الشيخ محمد جواد الكاظمي، ثمّ الإصفهاني، قرأ المقدّمات في الكاظمية، ثمّ ارتحل إلى بلدة إصفهان، فتخرّج على شيخنا البهائي، إلى أن صار من أخصّ خواصه، وأعزّ ندمائه، فصنّف بأمره كتابه المسمى بـ«غاية المأمول في شرح زبدة الأُصول».

كما شرح كتابه الآخر باسم «خلاصة الحساب» وأمّا كتابه الثالث فهو «مسالك الأفهام في شرح آيات الأحكام» طبع في جزءين عام ١٣٨٧هـ.

وله في الفقه كتاب آخر وهو «شرح كتاب الدروس» للشهيد الأوّل، خرج منه إلى كتاب الحجّ، وفرغ منه عام ١٠٢٩هـ في المشهد الكاظمي، والمطبوع

---

١. رسالة ذبائح أهل الكتاب: ٥٨، المقدّمة.

٢. وقد ترجمه شيخنا الأميني في «الغدير»: ١١/ ٢٤٩ـ٢٨٤، وقد ذكر عدداً من مشايخه وتلامذته وجلّ تآليفه، ومقتطفات من شعره، وأسماء المعاجم التي له فيها ترجمة؛ روضات الجنات: ٧/ ٥٦ برقم ٥٩٩، أمل الآمل: ١/ ١٥٥؛ ريحانة الأدب: ٣/ ٣٠١؛ الذريعة: ٢/ ٢٩.

من كتبه هو شرحه على آيات الأحكام، الذي يصفه الشيخ حسن بن عباس البلاغي النجفي في كتابه «تنقيح المقال» بأنّه كتاب كبير من أكبر ما كتب في شأنه.[١]

٢٠. محمد باقر بن محمد مؤمن السبزواري(١٠١٧ـ١٠٩٠)

هو الشيخ محمد باقر بن محمد مؤمن الخراساني السبزواري ثمّ الاصفهاني أحد أعيان الإمامية، وصفه الحرّ العاملي بقوله: عالم فاضل، محقّق، متكلّم، حكيم، فقيه، محدّث، جليل القدر.

تلمذ على جماعة منهم السيد أبو القاسم الفندرسكي (المتوفّى ١٠٥٠) والقاضي معز الدين الاصفهاني، قرأ عليهما في المعقول وحيدر علي الاصفهاني، وحسن علي بن عبد الله التستري قرأ عليهما في المنقول، ومهر في غالب العلوم وحقق وصنّف وارتفع شأنه عند السلطان عباس الثاني الصفوي، فاسند إليه منصب شيخوخة الإسلام ـ يعني قاضي القضاة ـ وقلّده إمامة الجمعة والجماعة و فوض إليه الوزير الكبير السيد الحسين بن رفيع الدين محمد المرعشي التدريس في مدرسة عبد الله التستري باصفهان واشتهر وصار من كبار مجتهدي عصره.

تلمذ عليه جماعة منهم عبد الله الأفندي التبريزي ومحمد شفيع بن فرج الجيلاني والمحقّق حسين الخوانساري، ومحمد بن عبد الفتاح التنكابني وعبد الله الأردبيلي وغيرهم.

صنّف كتباً، منها: «ذخيرة المعاد في شرح الإرشاد» و«الكفاية في الفقه» إلى غير ذلك.

١. انظر ترجمته في رياض العلماء:١/ ١١٨، روضات الجنات:٢/ ٢١٦ برقم ١٧٩، والكنى والألقاب:٣/ ٩، وقد كتب السيّد المرعشي ﷺ مقدّمة على كتاب «مسالك الأفهام» أدّى فيه حق المقال.

توفي باصفهان سنة تسعين وألف ونقل نعشه إلى المشهد الرضوي.[١]

هذه أسماء ثلّة من الفقهاء الذين أنجبتهم هذه الحقبة من الزمان، ولو أردنا الإطناب بسرد أسماء الفقهاء في هذا القرن لطال بنا الكلام، فإنّ السابر في تاريخ الفقه الشيعي خاصة في هذا القرن يجد أمامه أسماء طائفة كبيرة من الفقهاء خصوصاً في منطقة جبل عامل والشام.

حصيلة الجهود الفقهية في القرن العاشر

يتمتع هذا القرن بغزارة الانتاج الفقهي، وكثرة الفقهاء، وذلك لأنّه قد تأسست في مستهلّ القرن العاشر (٩٠٥هـ) دولة شيعية على يد السلطان إسماعيل الصفوي، واستطاع أن يقضي على الدويلات الصغيرة، ويبسط نفوذه على المراقد المقدسة في العراق، وبذلك اتسعت رقعة دولته، حتى شملت «هراة» من الشرق إلى غربي العراق، وعلى صعيد آخر فقد تزامن ظهور الدولة الصفوية مع الدولة العثمانية، واتسعت رقعتها على يد السلطان سليم العثماني، فلم يكن لسلاطين الصفوية بدٌّ من إضفاء الشرعية على حكمهم عن طريق التقرّب إلى الفقهاء، امتثالاً لواجبهم الديني ورغبة في الحيلولة دون وصول النفوذ العثماني إلى المناطق الخاضعة لنفوذهم، و ممّن لبّىٰ دعوتهم الشيخ المحقّق علي بن عبد العالي الكركي، فقد التقىٰ بالسلطان إسماعيل في هراة ودارت بينهما مناظرات ظهرت فيها كفاءته، ولمّا توفي السلطان إسماعيل، قام مقامه السلطان طهماسب فكان للشيخ المحقّق منزلة عظيمة عنده، ونصبه حاكماً في الأُمور الشرعية لكافة بلاد إيران، وأعطاه بذلك حكماً ذكره شيخنا النوري في المستدرك. وقد حرّر الحكم عام ٩٣٩هـ.[٢]

---

١. موسوعة طبقات الفقهاء: ١١/ ٣١٨ برقم ٣٥٣١.

٢. المستدرك: ٣/ ٤٣٣ـ ٤٣٤.

لا شكّ أنّ الفقيه الجامع للشرائط هو الذي يتكفّل بالنصب والعزل، لا السلطان، وأمّا المرونة التي أظهرها الشيخ بقبول أوامر السلطان فلم تكن إلاّ لمصالح اقتضت قبوله لصالح الشيعة.

وقد تمتع علماء الشيعة في الشام في عصر المماليك بحرّية نسبية أتاحت لهم فرصة ممارسة النشاط العلمي الفقهي في الشام وجبل عامل وسائر النقاط المكتظة بالشيعة.

وسرعان ما أخذ هذا النشاط الفقهي بالفتور إثر تسلم الدولة العثمانية زمام الأُمور في الشام خصوصاً جبل عامل، وعاد الاضطهاد على الشيعة مرّة أُخرىٰ، ممّا حدا بفقهاء جبل عامل إلى الهجرة نحو إيران، لمّا وجدوا فيها ضالّتهم المنشودة، فقد رحّبت بهم الدولة الصفوية ترحيباً حاراً، فأخذت الأبحاث الفقهية تزدهر في إيران والعراق خصوصاً فيما يرجع إلى الفقه الحكومي، وصار من حصيلة هذا القرن أنّه كثرت التآليف في هذا المضمار، ومرّ فيما سبق أنّ المحقّق الكركي كتب رسالة في حل الخراج، ونازعه الشيخ إبراهيم القطيفي برسالة أُخرى، وكان الأردبيلي يدعم موقف القطيفي في المسألة، والشيباني يدعم موقف المحقّق الكركي.

وهكذا نجد رسائل كثيرة أُلّفت حول وجوب صلاة الجمعة زمن الغيبة وحرمتها، ووجوبها تخييراً، وما ذلك إلاّ لأنّ صلاة الجمعة لها أهميتها لا سيما جانبها السياسي، ففي زمان الحضور لا يقيمها إلاّ الإمام، أو من نصبه، وأمّا في زمان الغيبة فقد اختلفت كلمة الفقهاء، واحتدم الجدل والنقاش حولها منذ ظهور الصفوية علىٰ مسرح الصراع، وقد أفتى بوجوبها في عصر الغيبة فقيه جامع للشرائط كالمحقّق الكركي، وأخذ ينصب أئمّة لإقامة الجمعة ، حتّى صار ذلك

سبباً لطرح المسألة من رأس، فهل للمجتهد الجامع للشرائط كما للإمام المعصوم من النصب أو العزل أو لا، وهذا الذي نعبّر عنه في زماننا بولاية الفقيه؟

فبعد الإيعاز إلى هذه المقدّمة نستعرض حصيلة الجهود التي أُنجزت في هذا القرن:

١. ظهور مؤلّفات في الفقه الحكومي حول الخراج وصلاة الجمعة وغيرها.

٢. اكتظت الساحة الفقهية بندوات تدور أكثرها حول المسائل الحكوميّة أو المساجلات التحريرية، وما ذلك إلّا لظهور أبحاث كان الفقهاء بأمس الحاجة إلى وضع الحلول المناسبة لها خاصة بعد قيام الدولة الصفوية الشيعية.

٣. ظهور موسوعات فقهية كبيرة لم ير الدهر لها من نظير، كـ «جامع المقاصد» لشيخنا المحقّق الكركي، و «مجمع الفائدة والبرهان» للمحقّق الأردبيلي.

٤. العناية بعلم الرجال، وتصحيح الأسانيد، والإفتاء على ضوء الروايات الصحيحة، وتطبيق التنويع الموروث عن ابن طاووس على الفقه، كما هو المشاهد من فقه المحقّق الأردبيلي، وتلميذيه صاحب المعالم و المدارك.

٥. العناية بفقه القرآن عناية وافرة، فقد أُلّف في ذلك القرن عدّة كتب حول آيات الأحكام، من جملتها:

١. «معارج السؤول في مدارج المأمول» في تفسير آيات الأحكام في مجلدين، للمولى كمال الدين الحسن بن شمس الدين محمد بن الحسن الاسترابادي النجفي، فرغ من مجلده الأوّل عام ٨٩١هـ وقال في مقدمته: لمّا منّ الله عليه بتأليف كتاب «عيون التفاسير» سأله من طاعته فرض أن يستخرج منه تفسير

آيات الأحكام علىٰ نهج ما ألّفه شيخه الفاضل المقداد.

ويعرّفه الشيخ النوري بأنّه أحسن ما أُلّف في تفسير آيات الأحكام وأبسطها.[١]

٢. «زبدة البيان في فقه القرآن» ألّفه المحقّق الأردبيلي كما مرّ.

٣. «مسالك الافهام» للشيخ جواد الكاظمي و قد مرّ.

٤. «التفسير الشاهي» ألّفه أبو الفتح بن الأمير المخدوم، ابن الأمير شمس الدين محمد الحسيني، المتوفّى عام ٩٨٦هـ، وقد ألّفه للسلطان طهماسب الأوّل باللّغة الفارسية، وطبع بإشراف الشيخ ولي الله الاشراقي السرابي ﷿.

***

ميزات الدور الرابع

ابتدأ هذا الدور منذ أوائل القرن السابع، واستمر إلىٰ أواخر القرن العاشر وشيء من أوائل الحادي عشر، وقد ذكرنا في مختتم كل قرن حصيلة الجهود التي انتهت إلى تطوّر الفقه علىٰ كافة الأصعدة، فلو قمنا بجمعها لوقفنا على حصيلة المميزات التي يتميز بها هذا الدور عمّا سبقه من الأدوار الثلاثة.

وخوفاً من إطالة الكلام نذكر موجزاً لما تقدّم.

١. تأليف المتون الفقهية علىٰ أصعدة ثلاثة: مقتضب ومتوسط ومسهب.

٢. تأليف موسوعات فقهية ودورات كبيرة، خاصّة في القرن السابع والعاشر.

٣. الاهتمام بأُصول الفقه من قبل فقهاء الشيعة، فقد شهدت الكتب الأُصولية تطوراً ملحوظاً كمّاً وكيفاً.

٤. ظهور لون جديد من التأليف في فقه الشيعة، وهو جمع الخلافيات بين فقهاء الشيعة، ويعد العلاّمة الحلّي أوّل من فتح الباب على مصراعيه في هذا المضمار.

٥. ظهور موسوعات فقهية في الفقه المقارن، أشهرها وأجمعها كتاب «التذكرة».

٦. ظهور كتب رجاليّة كـ«حل الإشكال في معرفة الرجال» للسيد جمال الدين الطاووسي، وصنّف على غراره تلميذاه: العلاّمة الحلّي، وابن داود، وظهور موسوعات رجالية للقُهبائي والاسترابادي على ما مرّت.

٧. تنويع الحديث بابتكار ابن طاووس، وإدخالها حيّز التطبيق في الفقه.

٨. ظهور لون خاصّ من الفقه باسم القواعد، وأوّل من ألّف فيه هو الشهيد الأوّل.

٩. العناية بفقه القرآن، فقد ألّف شيخنا الفاضل المقداد كتاب «كنز العرفان» وأعقبه الحسن بن محمد بن الحسن الاسترابادي بتأليف كتابه «معارج السؤول في مدارج المأمول» في مجلدين، وأعقبه الأردبيلي بتأليف كتابه «زبدة البيان» وشيخنا الفاضل الجواد بكتابه «مسالك الأفهام إلى آيات الأحكام».

١٠. العناية بالأحكام السلطانية والفقه الحكومي، وظهور مساجلات تحريرية بين العلماء في مسائل صارت موضعاً للابتلاء بعد ظهور الدولة الصفوية.

وبذلك انتهى هذا الدور باختتام القرن العاشر.

المراكز العلمية التي نشطت في هذا الدور

قد احتفل هذا الدور بنشاط مراكز علمية مختلفة، غير انّ القسط الأوفر

كان لمدرستين عظيمتين، هما: مدرسة الحلّة، ومدرسة جبل عامل، اللّتان أنجبتا عباقرة من الفقهاء.

١. مدرسة الحلّة

فقد بدأت مدرسة الحلّة نشاطها في مختتم القرن السادس يوم قام ابن إدريس بنفض غبار التقليد عن كاهل الفقه ورفع راية الاجتهاد، فالتف حوله نخبة من الفضلاء الأفذاذ حتى أضحت مدرسته النواة الأُولى لمدرسة الحلّة فيما بعد.

ثمّ أعقبه آخرون ساروا على نهج الاجتهاد الحر (أي غير الملتزم برأي من قبله)، كـ:ابن نما الحلي، وابن طاووس، والمحقّق الحلّي، وابن سعيد الحلّي.

وقد استمر نشاطها في القرون المتتابعة حتى أواخر القرن التاسع.

ومع أنّ الحملة المغولية محت كثيراً من الآثار العلمية في حاضرة العراق ودمّرتها، إلاّ أنّ الحوزة العلمية في الحلّة بقيت مصونة عن شرهم واستمر نشاطها إلى مختتم القرن التاسع، وكان أحمد بن فهد الحلّي (المتوفّى ٨٤١هـ) من أعلام ذلك القرن.

٢. مدرسة جبل عامل

راج التشيع في بلاد الشام منذ إقصاء أبي ذر الغفاري ذلك الصحابي الجليل إلى الشام، ثمّ انتعش في أيام الفاطميين حتى أُصيب بنكسة في زمن الأيوبيّين، ولمّا استولى المغول وأعقبتهم دولة المماليك تنفست الشيعة الصعداء في تلك المنطقة.

وفي تلك الظروف بادر الشهيد الأوّل إلىٰ إنشاء مدرسة علمية في جزّين، فأثمرت واتسعت وتلتها حوزات علمية أُخرى، كحوزة بعلبك والكرك وجبع.

واستمر الوضع علىٰ هذا المنوال حتى سقوط دولة المماليك علىٰ يد السلطان سليم العثماني الذي امتد نفوذه إلى بلاد الشام في العقد الثالث من القرن العاشر(٩٣٠هـ)، وهناك عاد الضغط على الشيعة مرّة أُخرىٰ، وبلغ القمة حين استشهاد الشهيد الثاني من جراء نشوب الاضطرابات والفتن عام ٩٦٥ هـ، فأخذ النشاط الفقهي في جبل عامل بالتقلّص شيئاً فشيئاً، ممّا حدا بكثير من الفقهاء إلى الهجرة صوب إيران والعراق

أدوار الفقه الإمامي

٥

الدور الخامس:

ظهور الحركة الأخبارية[1]

(١٠٣٠-١١٨٥هـ)

كان مطلع القرن الحادي عشر مسرحاً للتيارات الفكرية المختلفة، فمن مكبّ على العلوم الطبيعية كالنجوم والرياضيات والطب التي معيارها التجربة، إلى آخر متوغّل في الحكمة والعرفان والمعارف العقلية التي لا تدرك إلاّ بقسطاس العقل، إلى ثالث مقبل على علم الشريعة كالفقه والأُصول ومبادئهما.

وفي تلك الأجواء المشحونة ظهرت المدرسة الأخبارية التي شطبت على العلوم العقلية بقلم عريض ولم تر للعقل أيّ وزن واعتبار لا في العلوم العقلية ولا في العلوم النقلية، ونادت ببطلان الاجتهاد والتقليد، وخطّأت طريقتهما.

وقد رفع رايتها الشيخ محمد أمين بن محمد شريف الاسترابادي الأخباري في

---

١. إنّ الحركة الأخبارية ابتدأت منذ أوائل القرن الحادي عشر ودامت حتى مقتل آخر زعيمهم، أعني: الشيخ الشريف محمد بن عبد النبي بن عبد الصانع المحدّث النيسابوري المعروف بـ «ميرزا محمد الأخباري» في الكاظمية عام ١٢٣٢هـ، والواقع أنّ ظهور أفكار الوحيد البهبهاني(١١١٨-١٢٠٦هـ) استطاعت أن تقضي على تلك الحركة وتضعضع أركانها، فلم يعد هناك من يتحمّس لتلك الفكرة ويدافع عنها، فتجد انّ الوحيد البهبهاني قد صلّى على جنازة الشيخ يوسف البحراني أكبر شخصية أخبارية لمّا توفي عام ١١٨٦هـ وهذا يعرب عن اضمحلال الفكرة الأخبارية وإعادة النشاط الاجتهادي إلى الساحة الفكرية مرة أُخرى.

كتابه الموسوم بـ «الفوائد المدنية» الذي ألّفه في المدينة المنورة أيام إقامته بها وتتلخص فكرته في الأُمور التالية:

١. عدم حجّية ظواهر الكتاب إلاّ بعد ورود التفسير عن أئمّة أهل البيت عليهم السلام ، لما ورد من الأحاديث الناهية عن تفسير القرآن بالرأي أوّلاً، وطروء مخصّصات ومقيّدات على عمومه وخصوصه ثانياً.

٢. نفي حجّية حكم العقل في المسائل الأُصولية وعدم الملازمة بين حكم العقل والنقل.

٣. نفي حجّية الإجماع من دون فرق بين المحصل و المنقول.

٤. ادّعاء قطعية صدور كلّ ما ورد في الكتب الحديثية الأربعة من الروايات لاهتمام أصحابها بتلك الروايات، فلا يحتاج الفقيه إلى دراسة أسنادها أو تنويعها إلى الأقسام الأربعة المشهورة، كما قام بها ابن طاووس وتبعه العلاّمة.

٥. التوقّف عن الحكم إذا لم يدل دليل من السنّة على حكم الموضوع، والاحتياط في مقام العمل، فالتدخين الذي كان موضوعاً جديداً آنذاك تُوقف عن الحكم فيه وروعي الاحتياط في مقام العمل بتركه.

هذه هي الأُسس التي قامت عليها المدرسة الأخبارية.

نعم نقل الخوانساري في «الروضات» عن المحدّث الصالح الشيخ عبد الله ابن الحاج صالح السماهيجي البحراني الذي هو أحد الأخباريين في القرن الثاني عشر انّه ألّف رسالة في المسائل الضرورية وأنهى ما بين الأخباريين والمجتهدين من الفروق إلى أربعين فرقاً.[1] ثمّ نقلها صاحب الروضات برمّتها في ترجمة محمد

---

١. روضات الجنات: ٤/ ٢٥٠.

أمين الأخباري. [١]

والحقّ أنّ جوهر الفروق هي التي استعرضناها، وأمّا الفروق الأُخر الباقية، فإمّا تعود إلى تلك الفروق الخمسة، أو إلىٰ أُمور جزئية لا صلة لها بالمنهج كجواز تقليد الميت وعدمه.

الجذور المزعومة للحركة الأخبارية

إنّ المهم هو بيان السبب الذي أدّى إلى نشوء تلك الفكرة، وهناك عدّة فروض مطروحة علىٰ مائدة النقاش لا يسندها الدليل سنذكرها على وجه موجز.

الأوّل: انّ السبب في ظهور تلك الفكرة هو الشيخ الرجالي الكبير المعروف بميرزا محمد الاسترابادي مؤلّف كتب الرجال الثلاثة:

١. نهج المقال، المطبوع وهو أضخمها.

٢. الوسيط، وقد طبع أيضاً.

٣. الوجيز، الذي لم يطبع غير انّ نسخته موجودة في المكتبة الرضوية.

وقد زوّج كريمته لمحمد أمين الاسترابادي، وتوفي ١٠٢٨هـ في مكة المكرمة، ودفن بالمعلّى.

يقول محمد أمين الاسترابادي في كتابه الموسوم «دانشنامه شاهي»: [٢]

إلى أن وصل المطاف إلى أعلم علماء المتأخرين في علم الحديث والرجال وأورعهم، أُستاذ الكل في الكل ميرزا محمد استرابادي ـ نور الله مرقده الشريف ـ

---

١. روضات الجنات:١/ ١٢٧.

٢. دانشنامه شاهى مخطوط تتوفر نسخة منه في مكتبة المرعشي في قم، يظهر منها انّه ألّفه بالفارسية في مكة المكرمة يضم أربعين فائدة، وذكر في أوّلها انّه بمنزلة الأربعين للفخر الرازي، ونقل الخوانساري نص لفظه بالفارسية، لاحظ روضات الجنات:١/ ١٢١.

وبعد ان قرأت عنده علـم الحديث أشار إليّ قائلاً: جدّد طريقـة الأخباريين وارفع الشبهـات المعارضـة لها، ثمّ أشـار الأُستاذ بقـوله: بـأنّ هذا المعنـى كان يـدور في خاطري ولكن الله قدّر أن يكون علىٰ يدك».

«وبعد أن أخذت العلوم المتعارفة من أعظم علمائها، وكنت بالمدينة المنورة أعوامـاً على هذه الحال، وبعـد تورّعـي لوجـه الله وتوسّلي بـأرواح أهل العصمـة، فجدّدت النظـر في الأحاديث وكتـب العامة والخاصـة بنظرة دقيقة متعمّقـة حتى وفّقني الله ببركات سيد المرسلين والأئمّة الطاهرين، فـأجبته مؤتمراً طائعاً، فألّفت «الفـوائد المدنية» ولمّا عـرضتـه عليه أجـابني مستحسنـاً لما جـاء فيه، وأثنـى عليّ بالجميل رحمه الله». [١]

ولنـا هنـا وقفـة قصيرة فعلى فـرض صحّـة نسبـة هـذا الكتـاب إلى الأمين الاسترابادي أنّه كيـف يمكن أن يكون المشير والآمر هـو الميرزا الاسترابادي الذي أفنى عمـره في تأليف كتبـه الرجاليـة الثلاثة، والغـاية من تـدوين علم الـرجال: الوقـوف على أحوال الـراوي والعمل بقـول الثقة وتـرك غيره، بينما يرى الأخبـاري قطعية الروايات المروية في الكتب الأربعة، و انّه لا حاجة إلى دراسة أحوال الراوي وتنويع الحديث إلى الأقسام الأربعة ويعدّها من بدع العلاّمة الحلّي.

وأقصى مـا يمكن أن يقال إنّـه أشار إلى نوع دراسـة الأخبار، وأين هـي من الأخبارية المنهجية التي شيّدت أركانها على الأُسس الخمسة أو أكثر؟!

وعلى أية حال فالنفس لا تقنع بما نُقِلَ.

الثاني: ما ذكره أحد الكتاب المعاصريـن انّ الجذور السياسية لنشأة الحركة الأخباريـة يعود إلى الصراع الشـديد الـذي كان يجري في العصر الصفـوي بصورة مكتومة بين المؤسسة السياسية والمؤسسة الفقهيـة، فقد أخذ الصفويون يتضايقون

---

١. مقدّمة كتاب الفوائد المدنية: ١٢ـ١٣ بقلم محققه.

من سعة دائرة نفوذ المؤسسة الفقهية، والتحوّل التدريجي الذي جرى داخل المؤسسة الفقهية من سلطة روحية إلىٰ سلطة زمنية تتدخل في شؤون الناس وتزاحم السلطة الرسمية في شؤونها واهتماماتها.

ورغم حاجة المؤسسة السياسية الصفوية إلىٰ دعم واسناد المؤسسة الفقهية وإلى وقوفها إلى جانبها في صراعها مع العثمانيين، إلاّ أنّهم كانوا يتضايقون من توسع دائرة نفوذ الفقهاء، وفي هذه الفترة بالذات ظهرت الحركة الأخبارية ابتداءً من سنة ٩٨٥هـ ثـمّ اتسعت هذه الحركة وتمكّنت من شق المدرسة الفقهية عند الشيعة الإمامية إلى شطرين متصارعين، وإضعاف مؤسسة الاجتهاد إلىٰ حد بعيد.[١]

أقول: إنّ ما زعم سبباً لظهور الفكرة الأخبارية لا يمت إلى الموضوع بصلة، بل أقصى ما يثبت انّ السلطات كانت ترجّح الأخبارية على الأُصولية.

ولكن الكلام في بيان ما هو السبب لظهور تلك الفكرة، ونظير ذلك ما ذكره «علي نقي المنزوي» في تعليقته على كتاب والده «الذريعة»: إنّه وصل كتاب معزالدين الأردستاني المقيم بحيدر آباد الهند إلى إيران في عصر أدبرت الحكومة الصفوية عن التصوّف والعرفان، وكانت تنتخب شيوخ الإسلام في البلاد من بين رجال أكثرهم أخباريون غير إيرانيين بعيدين عن العرفان الصوفي الشيعي.[٢]

الثالث: ما ذكره الكاتب أيضاً في تقديمه على كتاب «طبقات أعلام الشيعة في القرن الحادي عشر» انّ التيار الأخباري جاء به المهاجرون من البلاد العثمانية إلىٰ إيران، فانتشر في شيراز لأوّل مرّة وفي البحرين، وبقيت الأخبارية بإيران إلى القرن

١. جودت القزويني: التاريخ السياسي للفقه الإمامي.

٢. طبقات أعلام الشيعة، القرن الحادي عشر: ٥٧١، ترجمه معز الدين الاردستاني.

الثالث عشر.[١]

أقول: إنّ ما ذكره هذا الكاتب لا يدعمه دليل فمَنْ هؤلاء المهاجرون الذين قدموا إلى إيران فنشروا تلك الفكرة، ولماذا لم يحدثنا التاريخ عنهم؟!

الرابع: ما نقله العلاّمة المطهري عن سيد المحقّقين السيد حسين البروجردي(رضوان الله عليه) انّه قد بدأت في القرن الحادي عشر فكرة الإعراض عن العقل والانكباب على الحس في الشرق والغرب، ورفع رايته في الشرق الأمين الاسترابادي، وفي الغرب علماء تجربيون أمثال فرنسيس بيكون وديكارت.

وما ذكره و إن كان صحيحاً، لكنّه لا يحكي إلاّ عن التقارن بينهما ولا يبين السبب.

الخامس: ما ذكره بعض الأساتذة من أنّ الحجاز كان معقل الحديث كما كان العراق معقل الرأي والفكر، ولا شكّ انّ تلك البيئة المشحونة بالأفكار الحديثية قد تركت انطباعها و آثارها على الاسترابادي الذي كان قاطناً في المدينة المنورة سنين طوالاً وألّف كتابه «الفوائد المدنية» فيها.

أقول: إنّه حدس بلا دليل ورجم بالغيب، إذ انّ الانطباعات التي تتركها البيئة على أفكار الأمين الاسترابادي تجعله يصنف كتاباً كالوسائل والكافي لا أن يؤسس منهجاً فكرياً يضاد كلّ ما كان عليه علماء الشيعة قرابة ثمانية قرون.

السادس: ما ذكره السيد المدرسي الطباطبائي في كتابه«المدخل إلى الفقه الشيعي» وحاصل ما قاله: إنّ الأرضية لظهور تلك الفكرة كانت موجودة في القرن العاشر أيام حياة الشهيد الثاني وتلميذه الشيخ حسين بن عبد الصمد العاملي، فألّف الأوّل رسالة في التنديد بالتقليد عن الميت، كما انّ الشهيد الثاني ألّف كتاباً نقد فيه السيرة السائدة بين فقهاء الشيعة من الاعتناء بأقوال السالفين، وأعقبه

---

١. مقدّمة طبقات أعلام الشيعة، القرن الحادي عشر، والمقدمة غير مرقمة.

الشيخ عبد النبي بن سعد الجزائري فنقد الأُسلوب الأُصولي في الفقه في كتابه «الاقتصاد في شرح الإرشاد» الذي ألّفه عام ١١١٥هـ وادّعى ميرزا حبيب الله الصدر بأنّه لم يبق أيّ مجتهد في إيران والعراق، وكأنّ الكل مقلّدة السلف، ثمّ ذكر بعده سيرة المحقّق الأردبيلي وصاحب المدارك ومنتقى الجمان في الاستنباط مشيراً إلى حرية الفكر الذي تمتعوا به و ما كانوا يعتقدون بآراء السلف.

أقول: إنّ أقصىٰ ما يثبت انّه يجب على المستنبط إعمال الدقة ورفض التقليد وعدم الاعتناء بالإجماعات المنقولة بل المحصلة عن السلف.

وهذا شيء يدرك بوضوح لمن وقف علىٰ فقه شيخنا الشهيد الثاني، خصوصاً فقه المحقّق الأردبيلي وتلميذيه صاحبي المدارك والمعالم.

وأين هذا من الفكرة الأخبارية الهادفة إلىٰ تحريم العمل بالكتاب إلاّ بعد ورود التفسير، والعمل بكلّ ما جاء في الكتب الأربعة، ولزوم الاحتياط فيما لم يرد فيه نصّ إفتاءً وعملاً؟!

السابع: ما أوعزنا إليه فيما سبق من وجود تيارين فكريين بين أصحاب الأئمّة، فهم بين مكبٍّ على الأخبار، مدبر عن العقل وبين آخذ بالنقل والعقل أمثال زرارة بن أعين وعبد الله بن يونس و الفضل بن شاذان وتبعهم القديمان ومن تلاهم إلى عصر الشيخ المفيد وتلميذيه المرتضى والشيخ الطوسي، فجعلوا الجميع على نهج واحد، وهو الجمع بين النقل والعقل، وانّه عند التعارض يقدّم العقل القطعي على النقل الظنّي.

نعم يكمن هناك فرق جوهري بين الأخبارية التي نادىٰ بها الأمين الاسترابادي، وبين الأخبارية في عصر الأئمّة، وهو انّ الأخبارية في عصر الأئمّة كانت تعني ممارسة الأخبار وتدوينها ونقلها، دون اعمال الدقة بين صحيحها وسقيمها.

وأمّا الأخبارية التي ابتدعها الأمين الاسترابادي، فهي أخبارية منهجية، لها أُسسها ودعائمها، وقد ألقى الفكرة بصورة البرهان والنقد على الأُسس التي اعتمد عليها الأُصوليون، فلذلك لا يمكن عدّ الأخبارية الحديثة امتداداً جوهرياً للأخبارية في عصر الأئمّة.

نعم كانت الأخبارية البدائية ملهمة للشيخ الأمين على أن يصبغها بصبغة علمية.

***

والسبر في كتابه «الفوائد المدنية» يوقفنا على أنّه أخذ علم الأُصول عن تقي الدين محمد النسابة، وعلم الحديث عن السيد محمد صاحب المدارك، يقول: قد قرأت شرح العضدي للمختصر الحاجبي في أوائل سنّي في دار العلم شيراز على أعظم العلماء المحقّقين، وحيد عصره، وفريد دهره، الشاه تقي الدين محمد النسابة. في مدّة أربع سنين قراءة بحث وتحقيق وتدقيق.[١]

ويقول في موضع آخر: أوّل مشايخي في علم الحديث والرجال ومن تشرّفت بالاستفادة وأخذ الإجازة منه في عنفوان شبابي في المشهد المقدس الغروي، هو السيد السند، والعلاّمة الأوحد، صاحب مدارك الأحكام في شرح شرائع الإسلام.[٢]

وقرأ أيضاً علىٰ يد الرجالي المعروف ميرزا محمد الاسترابادي كما تقدّم، وبذلك يعلم أنّه أظهر الفكرة الأخبارية بعدما درس الأُصول والرجال والحديث كما يظهر من نفس الكتاب انّه قرأ الرياضيات والفلكيات والحكمة.

---

١. الخوانساري: روضات الجنات: ١/ ١٢١ـ١٢٢.

٢. لاحظ الفوائد المدنية، المقدّمة.

وقد عرفت الأُسس التي بنىٰ عليها منهجه ولسنا بصدد النقد.

إنّما الكلام في أنّ منهجه الذي اختطه لم يكن سوى منهج إبداعي لم تتأصل جذوره في التاريخ و إن زعم بتأصّلها بين علماء السلف من الإمامية.

نعم زعم صاحب المسلك انّ الأخبارية التي ابتدعها قد ظهرت بوادرها في القرون السالفة بين الشيعة الإمامية، غير انّها مرّت بمراحل نشاط وفتور وانتعاش وخمول، واستدل عليه بأمرين نقلناهما عند تقديمنا على طبقات الفقهاء.[١]

كانت الحركة الاخباريّة حركة رجعية عرقلت خطا الحركة الاجتهادية عن التقدّم و التطوّر، وأقفلت باب البحث في الأسانيد والمتون، كما أقفلت باب البحث حول كثير من المسائل الأُصولية حتى تجد انّ المحدّث البحراني الذي كان أخبارياً معتدلاً جداً، ويعد كتابه «الحدائق» من الكتب الفقهية القيمة، خصوصاً في جمع الأخبار وتفسيرها، يعترف بذلك ويقول في ترجمة الأمين الاسترابادي: كان فاضلاً، محقّقاً، مدقّقاً، ماهراً في الأُصولين والحديث، أخبارياً صلباً، وهو أوّل من فتح باب الطعن على المجتهدين، وتقسيم الفرقة الناجية إلىٰ أخباري ومجتهد، وأكثر في كتابه «الفوائد المدنية» من التشنيع على المجتهدين، بل ربما نسبهم إلى تخريب الدين، وما أحسن وما أجاد، ولا وافق الصواب والسداد، لما قد ترتب على ذلك من عظيم الفساد، وقد أوضحنا ذلك بما لا مزيد عليه في كتابنا: «الدرر النجفية» وفي كتابنا «الحدائق الناضرة في أحكام العترة الطاهرة» إلاّ أنّ الأوّل منهما استوفى البحث في ذلك بما لم يشتمل عليه الثاني.[٢]

ومهما يكن من أمر فيظهر من خلال الرجوع إلى تاريخ الفقه في تلك البرهة

---

١. مصادر الفقه الإسلامي ومنابعه: ٤٣٦.

٢. لؤلؤة البحرين: ١١٨، شرح المواقف.

انّ الفكـرة الأخباريـة شاعـت في المراكز العلميـة الفقهية، وراجـت خصوصـاً في النجف الأشرف وكربلاء.

يقول محمد تقي المجلسي (المتوفّى١٠٧٠هـ) في شرحـه على «الفقيه» باللغة الفارسية: ألّف مـولانا محمد أمين الاسترابادي كتاباً باسـم «الفوائد المدنية» ألّفها بعد الاشتغال بمطالعته الأخبار المروية عن الأئمّة المعصومين، ثمّ أرسل كتابه هذا إلىٰ معظم البلاد، وقد تلقّاه أكثر علماء النجف وكربلاء بالتحسين والقبول ومضوا على نهجه، والحقّ انّ أكثر ما أفاده مولانا محمد أمين حقّ لا مرية فيه.

و هـذا الاعتراف مـن أوّل المجلسيّين دليـل و اضــح على انتشـار الفكـرة الأخبارية بين الأوساط العلمية وامتدادها إلى أكثر الأصقاع الإسلامية.

الأخبارية بين التطرّف والاعتدال

تأثرت الأوسـاط العلمية بالتيار الأخبـاري، وذاع صيته وكثر أتباعـه، وهم بين متطرّف كالأمين الاسترابادي الذي يطعن العلماء ويتّهمهم بأُمور شنيعة، وبين معتدل يتبنّى نفس الفكرة، مع التبجيل والتكريم للمخالف.

ولأجل عرض نماذج من كلام المتطرّف منهم نذكر عبارة الأمين الاسترابادي في حقّ علمائنـا الذين تبعوا أُسلـوب الأُصوليين و تركوا ــ حسب زعمه ـ طـريقة أئمّة أهل البيت وتلاميذهـم حيث قال:

وأوّل من غفـل عن طـريقة أصحاب الأئمـة واعتمد على فـن الكلام وعلى أُصول الفقه المبنيين على الأفكار العقلية، المتداولين بين العـامة فيما أعلم محمد بن أحمد بن الجنيد العامل بالقياس، وحسن بن علي بن أبي عقيل العماني المتكلم؛ ولما أظهر الشيخ المفيد حسن الظن بتصانيفهما بين يدي أصحابه، ومنهم السيد الأجل

المرتضى ورئيس الطائفة، شاعت طريقتهما بين متأخري أصحابنا قرناً فقرناً، حتى وصلت النوبة إلى العلاّمة الحلّي فالتزم في تصانيفه أكثر القواعد الأُصولية للعامة، ثمّ تبعه الشهيدان والفاضل الشيخ علي رحمهم الله تعالى.

وأوّل من زعم فيما أعلم أنّ أكثر أحاديث أصحابنا المأخوذة من الأُصول ـ التي ألّفوها بأمر أصحاب العصمة عليهم السلام وكانت متداولة بينهم وكانوا مأمورين بحفظها ونشرها بين أصحابنا لتعمل بها الطائفة لا سيما في زمن الغيبة الكبرى ـ أخبار آحاد خالية من القرائن الموجبة للقطع بورودها عن أصحاب العصمة عليهم السلام محمد بن إدريس الحلّي تجاوز الله عن تقصيراتي وتقصيراته، و لأجل ذلك تكلم على أكثر فتاوى رئيس الطائفة المأخوذة من تلك الأُصول. [١]

ولنذكر جملة ممّن تأثّروا بهذا المنهج على وجه الإيجاز ـ و التفصيل يطلب من كتب التراجم وطبقات الفقهاء ـ من غير تعرّض للمتطرّف منهم، بل نذكر الجميع على حدّ سواء حسب وفياتهم.

١. زين الدين علي بن سليمان (المتوفّى ١٠٦٤هـ)

هو الشيخ علي بن سليمان بن حسن بن سليمان البحراني القدمي الملقب بـ «زين الدين».

يقول الشيخ البحراني: هو أوّل من نشر علم الحديث في بلاد البحرين، وقد كان قبله لا أثر له ولا عين، وروّجه وهذّبه وكتب الحواشي والقيود على كتابي التهذيب والاستبصار، ولشدة ملازمته للحديث وممارسته له اشتهر في ديار العجم

١. الفوائد المدنية: ٣٠.

بـأمّ الحديث، وكـان رئيساً في بـلاد البحريـن مشاراً إليـه، توفي في السنـة الرابعـة والستين بعد الألف، ومن مصنفـاته: رسالة في الصلاة، ورسالـة في جواز التقليد، وحاشية على كتاب المختصر النافع صغيرة مختصرة.

روىٰ عن: بهاء الدين العاملي، والشيخ محمد بن حسن بن رجب. [1]

٢. المجلسي الأوّل (١٠٠٣ـ١٠٧٠هـ)

مولانا الأجـل محمد تقي المجلسي، وهو في غنـى عن الوصف والتعـريف، يعرّفه الحر العاملي: كان فاضلاً، عالماً، محقّقاً، متبحراً، زاهداً، عابداً، ثقة، متكلماً، فقيهاً.

له كتب منها: شرح الصحيفة، وحديقة المتقين، وشرح من لا يحضره الفقيه فارسي، وشرح آخر عربي، ورسالة في الرضاع، وغير ذلك.

أقول: يعد شرحه على الفقيه باسم «روضة المتقين» من أفضل الشروح الذي يعرب عـن تضلّع الشارح بـالأدب والرجال والفقـه والحديث، وقد طبـع في اثني عشر جزءاً.

وقد عرفت كلامه في حقّ الأمين. [2]

ويقول المحـدّث النوري: البحـر الخِضَمّ، المولى محمـد تقي المستغنـي عن الإطراء والمدح.

قال النقّاد الخبير محمـد الأردبيلي في «جامع الرواة»: محمد تقـي بن المقصود

---

١. لؤلؤة البحرين: ١٤ برقم ٤.

٢. أمل الآمل: ٢/ ٢٥٢ برقم ٧٤٢.

علي الملقّب بالمجلسي، وحيـد عصره، وفريد دهره، أمره في الجلالة والثقـة والأمانة وعلو القدر وعظم الشأن وسمو الرتبة والتبحّر في العلوم أشهر من أن يذكر، وفوق ما تحوم حوله العبارة، أورع أهل زمانه وأزهدهـم وأتقاهـم وأعبدهـم، بلغ فيضه ديناً ودنيا.[1]

٣. خليل بن غازي القزويني (١٠٠١ـ١٠٨٩هـ)

هـو العالم المتبحّـر الجليل خليـل بـن غازي القـزويني، شرح تمام الكـافي بالفارسية المسمّى بالصافي، وإلى أواسط كتاب الطهارة بالعربية.

يعرّفه صـاحب رياض العلماء بقولـه: كان دقيق النظر، قـوي الفكر، حسن التقريـر، جيد التحبير، مـن أجلّ مشـاهير علماء عصرنا، وأكمـل نحاريـر فضلاء دهرنا، قرأ في أوائل أمره على شيخنا البهائي والسيد الداماد، وكان شريك الدرس مـع الوزيـر خليفة سلطـان حين القراءة على المولى الشيـخ حسين اليزدي شـارح خلاصة الحساب والمولى محمود الرّناني.

وكان يتظاهر بالأخبارية، وله كتـاب في تحريـم الجمعة، وقد ردّ الشيخ طاهر القمي شيخ الإسلام على رسالته في تحريم الجمعة، ومع ذلك له تأليف في الأُصول والفلسفة.

قال شيخنا المجيـز: وتحريمه الجمعة التي أدّت إلىٰ عـزله، وكذلك تـأليفاته الأُصولية والفلسفية يجعلنا نشك على أنّ تظاهره بـالأخبارية كان تقية منه، وتماشياً مع الحكومة التي كانت تعارض الفلاسفة وحرية الاجتهاد.[2]

---

١. خاتمة المستدرك: الفائدة الثالثة: ٤١٦؛ ونقل عبارات المترجمين له في كتابه، فمن أراد فليرجع إليه.

٢. خاتمة المستـدرك: الفائدة الثـالثة: ٤١٣؛ روضـات الجنات:٣/ ٢٦٩ بـرقم ٢٨٧؛ طبقـات اعلام الشيعة، القرن الحادي عشر: ٢٠٣.

٤ . الفيض الكاشاني (١٠٠٧ـ١٠٩١هـ)

هو محمد بن الشاه مرتضى بن الشاه محمود، الملقب بالفيض الكاشاني، العارف، الحكيم، الشاعر، المتوفى عن عمر ناهز ٨٤ عاماً.

أخذ الحديث عن السيد ماجد بن هاشم الصادقي البحراني، ويروي عنه وعن الشيخ بهاء الدين العاملي، وأخذ الحكمة والفلسفة عن أُستاذه صدر المتألّهين الشيرازي وهو صهر له .

يقول السيد الخوانساري: أمره في الفضل والفهم والنبالة في الفروع والأُصول والإحاطة بالمعقول والمنقول وكثرة التأليف والتصنيف مع جودة التعبير والترصيف أشهر من أن يخفى، كان بيته بيتاً جليلاً رفيعاً من كبار بيوتات العلم والعمل، ومن أحسن كتبه كتاب «الوافي» فقد جمع فيه أحاديث الكتب الأربعة القديمة، وفرغ منه سنة ١٠٦٨هـ .

كما انّ من أحسن تصانيفه في الفقه «مفاتيح الشرائع» الذي شرحه المحقّق البهبهاني.

كما انّ له «المحجة البيضاء في إحياء كتاب الإحياء» وهو تهذيب وتنوير لإحياء علوم الدين، إلى غير ذلك من الكتب.

والحقّ انّ الفيض يعد من الشخصيات التي حام حولها غموض كثير، فمن جانب نجد انّه يميل إلى التصوّف والعرفان، ومن جانب آخر انّه يكب على الحديث وجمعه.

٥ . عبد علي العروسي (كان حياً عام ١٠٧٣هـ)

هو عبد علي العروسي ابن جمعة الحويزي.

يعرّفه الحر العاملي بقوله: كان عالماً، فاضلاً، فقيهاً، محدثاً، ثقة، ورعاً، شاعراً، أديباً، جامعاً للعلوم والفنون، معاصراً، له كتاب «نور الثقلين في تفسير القرآن» في أربعة مجلدات، أحسن فيه وأجاد، نقل فيه أحاديث النبي والأئمّة في تفسير الآيات، من أكثر كتب الحديث، ولم ينقل فيه عن غيرهم. [١]

وحيث إنّ «أمل الآمل» ألّف عام ١٠٩٧هـ فيظهر منه انّه توفي قبل تأليفه، وصرّح في الرياض بأنّه كان معاصراً لسميه ابن ناصر الذي كان حياً في ١٠٦٣هـ وهذا المفسّر كان حياً في ١٠٧٣هـ.

٦. محمد بن الحسن الحر العاملي (١٠٣٣ـ١١٠٤هـ)

هو العالم المتبحّر الشيخ محمد بن الحسن بن علي بن محمد بن الحسين الحر العاملي المشغري، صاحب التصانيف الرائعة التي منها كتاب «الوسائل» الذي هو كالبحر الذي ليس له ساحل، وقد ألّفه في المشهد الرضوي، و منح له منصب قاضي القضاة و شيخوخة الإسلام. [٢]

وقد ترجم لنفسه في «أمل الآمل»، قائلاً: قرأ في قرية مشغرى على: أبيه، وعمه الشيخ محمد الحر، وجدّه لأمه الشيخ عبد السلام بن محمد الحر، وخال أبيه الشيخ علي بن محمود، وغيرهم، وقرأ في قرية جبع على عمه أيضاً، وعلى الشيخ زين الدين بن محمد بن الحسن بن زين الدين، وعلى الشيخ حسين الظهيري وغيرهم.

وأقام في البلاد أربعين سنة، وحجّ فيها مرتين، ثمّ سافر إلى العراق فزار الأئمّة عليهم السلام ثمّ زار الرضا عليه السلام بطوس. [٣]

---

١. أمل الآمل: ٢/ ١٥٤ برقم ٤٤٩.
٢. خاتمة المستدرك: الفائدة الثالثة: ٣٩١.
٣. أمل الآمل: ١/ ١٤١ـ١٤٢ برقم ١٠٤٩. له ترجمة في روضات الجنات: ٧/ ٩٦ برقم ٦٠٥.

وله ترجمة ضافية في مقدمة وسائل الشيعة، ولذلك اقتصرنا على هذا المقدار، و من أراد المزيد فليرجع إليها.

٧. السيد هاشم بن سليمان البحراني التوبلي (المتوفّى١١٠٧هـ)

هو السيد هاشم بن السيد سليمان بن السيد إسماعيل بن السيد عبد الجواد الكتكاني.

يعرّفه المحدّث البحراني بقوله: وكان فاضلاً، محدثاً، جامعاً، متتبعاً للأخبار بما لم يسبق إليه سابق سوى شيخنا المجلسي، إلى أن قال: و انتهت إليه رئاسة البلد، فقام بالقضاء في البلاد و تولّى الأُمور الحسبية أحسن قيام، ونشر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وكان من الأتقياء المتورّعين، ومن مصنفاته «البرهان في تفسير القرآن» في ستة مجلدات، ثمّ ذكر سائر تآليفه و من أحسنها كتاب «ترتيب التهذيب» و قد رتبت فيها الأخبار كلاً في الباب المناسب، وله كتاب آخر باسم «تنبيهات الأديب في رجال التهذيب» و قد نبّه فيه على أغلاط عديدة ممّا وقع للشيخ رحمه الله في أسانيد أخبار الكتاب المذكور. [1]

ويعرّفه المحدّث النوري بنفس ما ذكره الشيخ البحراني.

أقول: إنّه خدم الحديث على وجه الإطلاق خدمات جليلة، فكتابه «معالم الزلفىٰ في النشأة الأُخرى» خير شاهد على تبحّره و تضلّعه في الحديث، وكتابه الآخر المسمىٰ «غاية المرام» في فضائل أمير المؤمنين والأئمّة عليهم السلام، يذكر فيه أحاديث الفريقين الواردة في هذا المجال، و يعرب عن تضلّعه بالحديث، وإحاطته بما في الصحاح والسنن و المسانيد من الروايات في فضائل أئمّة أهل البيت عليهم السلام.

---

١ .لؤلؤة البحرين:٦٣ برقم ١٩، أمل الآمل:٢/ ٣٤١ برقم ١٤٩.

ولو أُتيحت له الفرصة مثلما أُتيحت لشيخنا المجلسي الثاني لصنَّف موسوعة كبيرة على غرار البحار، أو أحسن منها.

٨. المجلسي الثاني (١٠٣٧ ـ ١١١٠هـ)

محيي السنّة، وناشر آثار أهل البيت، الشيخ محمد باقر بن العالم الجليل محمد تقي بن الورع البصير المولىٰ مقصود علي، المتخلّص في أشعاره بالمجلسي.

هو أجلّ من أن يعرّف، وقد ألّف شيخنا المحدّث النوري رسالة في ترجمته أسماها «الفيض القدسي في ترجمة المجلسي» ذكر فيها جملاً من مناقبه و فضائله ومشايخه وتلامذته و ذريته و ذرية والده.

وكفاه فخراً انّه ألّف دائرة معارف للشيعة يوم لم يكن أيّ أثر لهذا اللون من التأليف بين الأوساط الإسلامية، و يتلوه في المكانة كتابه الآخر المسمّى «مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول» وهو شرح للكافي، شرح فيه أحاديثه طبعت في ستة و عشرين جزءاً و له كتاب ثالث وإن لم يكن بمنزلة السابقين وهو كتاب «ملاذ الأخيار في شرح تهذيب الأخبار» و قد طبع في اثني عشر جزءاً.

وأمّا موسوعته الكبرى، أعني: «بحار الأنوار» فقد طبعت في ١١٠ أجزاء.

وفي الجملة فهو أُستاذ فن الحديث، وسناده، و عماده، وهو في غنىٰ عن تعريفه و إطرائه و إفاضة القول فيه.

وشيخنا هذا أوّل من ألّف بالفارسية في القرون الأخيرة، ولم يكن التأليف بها أمراً معهوداً بين العلماء إلاّ القليل.[1]

---

١. روضات الجنات: ٢/ ٨، لؤلؤة البحرين: ٥٥.

٩. السيد نعمة الله بن عبد الله الموسوي الجزائري (المتوفّى ١١١٣هـ)

يعرّفه الشيخ الحر العاملي، بقوله: عالم، فاضل، محقّق، علاّمة، جليل القدر، مدرّس، من المعاصرين. له كتب، منها: «شرح التهذيب»، و «حواشي الاستبصار» إلى آخر ما ذكر.

وشرحه على التهذيب في نحو ١٢ مجلداً، وهو من الكتب الممتعة. [١]

وقد أخذ عنه جماعة كثيرون منهم:

١. السيد محمود الميمندي.

٢. علي بن الحسين بن محيي الدين بن عبد اللطيف الهمداني العاملي.

٣. الشيخ الورع الفقيه محمد بن يوسف بن علي بن كنبار.

١٠. سليمان بن عبد الله البحراني (١٠٧٥ـ١١٢١هـ)

هو الشيخ أبو الحسن سليمان بن الشيخ عبد الله بن علي بن حسن بن أحمد ابن يوسف بن عمّار البحراني.

يعرّفه شيخنا النوري في كتابه: علاّمة الزمان، ونادرة الأوان، الشيخ سليمان ابن الشيخ عبد الله الماحوزي البحراني، المحقّق، المدقّق، صاحب المؤلّفات الأنيقة التي منها: كتاب «الأربعين في الإمامة» و هو صاحب «المعراج» شرح فيه فهرست الشيخ إلى آخر باب التاء، وقد أكثر النقل عنه المحقّق البهبهاني في التعليقة، توفي وعمره يقرب من خمسين سنة، في السابع عشر من شهر رجب سنة ١١٢١هـ.

---

١. مستدرك الوسائل: ٣/ ٤٠٤، روضات الجنات: ٨/ ١٥٠ برقم ٧٢٦، أمل الآمل: ٢/ ٣٣٦ برقم ١٠٣٥.

ويعرّفه تلميذه الشيخ عبد الله بن صالح البحراني، بقوله: وكان هذا الشيخ أُعجوبة في الحفظ والدقة، وسرعة الانتقال في الجواب، و المناظرات وطلاقة اللسان، لم أر مثله قط، و كان ثقة في النقل، ضابطاً، إماماً في عصره، وحيداً في دهره، إلى أن قال: و كان أعظم علومه، الحديث والرجال و التواريخ. [١]

١١. عبد الله بن صالح البحراني السماهيجي (١٠٨٦ـ١١٣٥هـ)

هو الشيخ عبد الله بن الحاج صالح بن جمعة بن علي السماهيجي، ترجمه السيد عبد الله حفيد السيد نصر الله الجزائري، في إجازته الكبيرة لبعض علماء الحويزة، قال: كان عالماً، فاضلاً، محدّثاً، متبحراً في الأخبار، عارفاً بأساليبها ووجوهها، بصيراً في أغوارها، خبيراً بالجمع بين متنافياتها و تطبيق بعضها على بعض، له سليقة حسنة في فهم الروايات، و أُنس تام بمعانيها، كثير الاحتياط على طريقة الأخباريين، شديد الإنكار على أهل الاجتهاد، و من إفراطه وغلوّه في هذا الباب منعه من العمل بظواهر الكتاب، ودعواه أنّ القرآن كلّه متشابه على الرعية، و هذه المقالة نقلها العلاّمة في «النهاية الأُصولية» عن بعض الحشوية، و اقتفىٰ أثرهم طائفة من الأخباريين من المتأخرين.

ومن تأليفاته:

١. «جواهر البحرين في أحكام الثقلين».

٢. كتاب «منية الممارسين في جوابات مسائل الشيخ ياسين».

إلى غير ذلك من التآليف، و يروي عن جماعة من فضلاء البحرين أعظمهم شأناً الشيخ سليمان بن عبد الله المتقدم ذكره. [٢]

---

١. انظر ترجمته في لؤلؤة البحرين:٨، روضات الجنات: ٤/ ١٦٠ برقم ٣١٩، مستدرك الوسائل: ٣/ ٣٨٨.

٢. الإجازة الكبيرة: ٢٠٠، روضات الجنات:٤/ ٢٤٧ برقم ٣٩٠، لؤلؤة البحرين:٩٦ برقم ٣٨.

١٢. الشيخ يوسف البحراني (١١٠٧ـ١١٨٦هـ)

هو المحدّث الكبير، والفقيه المتبحّر، الجامع بين التوغّل في الحديث والإحاطة بالفروع.

يصفه تلميذه أبو علي الحائري مؤلّف «منتهى المقال»، بقوله: عالم، فاضل، متبحر، ماهر، متتبّع، محدّث، ورع، عابد، صدوق، ديّن، من أجلّة مشايخنا وأفاضل علمائنا المتبحّرين.

وقال تلميذه الأمير عبد الباقي سبط العلاّمة المجلسي في «منتخب لؤلؤة البحرين»: كان فاضلاً، عالماً، محقّقاً، نحريراً، مستجمعاً للعلوم العقلية والنقلية، إلى غير ذلك من جمل الثناء وحلل الإطراء ممّا ذكره المحقق السيد عبد العزيز الطباطبائي رحمه الله في مقدّمته على كتاب «الحدائق الناضرة».

وشيخنا هذا انتهت إليه سلسلة الإجازات وحلقات الروايات، يروي عنه لفيف من العلماء أشهرهم: المولى محمد مهدي النراقي صاحب «المستند»، والسيد مهدي بحر العلوم و يوجد نص الإجازة في ذيل فوائده الرجالية.

وقد ألّف كتباً كثيرة أشهرها: «الحدائق الناضرة في أحكام العترة الطاهرة» وقد طبع في ٢٥ جزءاً.

يقول المؤلف في حقّ هذا الكتاب: لم يعمل مثله في كتب الأصحاب، ولم يسبق إليه سابق في هذا الباب، لاشتماله على جميع النصوص المتعلّقة بكل مسألة وجميع الأقوال، و جملة الفروع التي ترتبط بكلّ مسألة إلاّ ما زاغ عنه البصر وحاد عنه النظر.

إلى أن قال: وبالجملة، فإنّ قصدنا فيه إلى أنّ الناظر فيه لا يحتاج إلى مراجعة غيره من الأخبار، ولا كتب الاستدلال، ولهذا صار كتاباً كبيراً واسعاً كالبحر الزاخر

باللؤلؤ الفاخر.

وقال الخوانساري: كان هو أخبارياً صرفاً، ثمّ رجع إلى الطريقة الوسطىٰ، وكان يقول: إنّها طريقة العلاّمة المجلسي.

توفيّ سنة ١١٨٦هـ و تولّى غسله الشيخ محمد علي الشهير بابن سلطان وهو من أجلّ تلاميذه، وصلّىٰ عليه المحقّق البهبهاني.

وقد ذكر المحدّث النوري أسماء من روى عنهم كالشيخ حسين بن الشيخ محمدجعفر الماحوزي البحراني.[1]

١٣. محمد بن عبد النبي بن عبد الصانع النيسابوري (١١٧٨ـ١٢٣٥هـ)

هو أبو أحمد الشريف محمد بن عبد النبي بن عبد الصانع المحدّث النيسابوري المعروف بميرزا محمد الأخباري.

يذكره في «الروضات» و يقول: لا شبهة في غاية فضله ووفور علمه وجامعيته لفنون المعقول والمنقول، إلاّ أنّه لما تجاهر بتحقير علمائنا الأعلام، صرف الله عنه قلوب أهل القلوب، وهو من المتطرّفين في الأخبارية. وله آثار كثيرة تدل على توقّده وذكائه.

وقد ذكر النيسابوري سلسلة مشايخ الأخبارية بقوله: مولانا محمد أمين الاسترابادي الأخباري هو أوّل من تكلّم على المتأخّرين لمخالفتهم طريقة قدماء الأصحاب وأحسن وأتقن، ثمّ تكلّم المحدّث القاساني في «سفينة النجاة» بقليل لا يشفي العليل، ثمّ المحدّث العاملي في «الفوائد الطوسية» أتى بما يروي الغليل،

---

١. الحدائق الناضرة:١، المقدمة، بقلم السيدعبد العزيز الطباطبائي؛ مستدرك الوسائل: ٣/ ٣٨٧؛ روضات الجنات :٨/ ٢٠٣، وقد ترجم لنفسه في لؤلؤة البحرين: ٤٤٢.

ثمّ الشيخ حسين بن شهاب الدين العاملي في «هداية الأبرار» أشبع التفصيل، ثمّ الشيخ أبو الحسن الغروي أراد التكميل، وسادسهم مولانا رضي الدين القزويني في «لسان الخواص» أقام الدليل، والسابع هذا العبد الذليل، انتهى.[1]

ومن تأليفه «قبسة العجول في الأخبار والأُصول» وقد رد عليه المحقّق القمّي في كتاب أسماه «عين العين»، فلمّا وصل إلى يد الشيخ الأخباري رد عليه بكتاب آخر أسماه «إنسان العين في ردّ كتاب عين العين»، و قد ألّف دورة فقهية من الطهارة إلى الديات أسماه «التحفة».

ومهما يكن في أمره غمة فقد تجاهر في الطعن بالعلماء والتشنيع بهم، ممّا حدا العوام إلى الهجوم عليه انتهت بقتله في الكاظمية عام ١٢٣٥هـ.

***

هذه لمحة خاطفة عن سيرة أقطاب الحركة الأخبارية منذ أن رفع رايتها الأمين الاسترابادي إلى محمد بن عبد النبي الأخباري بعد أن دامت ما يقرب القرنين؛ وانتهت بظهور الوحيد البهبهاني الذي هدّم أركانها بمعوله، وقضى عليها بفكره الوقّاد، و حججه الباهرة القاهرة وبراهينه الساطعة القانعة، وجهاده المتواصل، فدحض حججها واستطاع أن يوقفها عند حدها، ومنذ ذلك الوقت بدأ النشاط الأخباري بالفتور، و لم يبق من معالمه شيء إلاّ أنّه ترك مخلّفات وآثاراً غير محمودة عند المتأخرين من العلماء.

ثمّ قام تلميذ منهجه الشيخ مرتضى الأنصاري ﭬ في مواصلة منهج أُستاده بإزالة ما بقي من تلك الرواسب في الأذهان بكتبه القيّمة، وأفكاره

---

١. روضات الجنات: ٧/ ١٣٨ـ ١٣٩.

الناضجة، وبحوثه الرائعة التي ألقاها في النجف الأشرف، فاستتب الأمر للأُصوليين، ولم يبق من أتباع المذهب المبتدع إلاّ كصبابة الإناء تظهر بين فترة وأُخرى.

ونحن على يقين بأنّ بث هذه الفكرة في هذه الأيام في الحوزات مؤامرة حيكت لإفراغ التشيّع من طابعه العلمي الذي هو سلاحه في مواجهة الأعداء عبر القرون، و من الواضح بمكان انّ كلّ أُمّة إذا تخلّت عن العقل والبرهان السليم أصبحت فريسة سائغة للاستعمار .

روّاد الاجتهاد في العصر الأخباري

ثمّة علماء مفكّرون لم ينخرطوا في تيار الأخبارية الجارف بل صمدوا أمامه وأخذوا يدافعون عن منهج الاجتهاد بالأدلّة القاطعة على الرغم من قلّة عددهم، ونشير هنا إلى أسماء أكابرهم:

١. سلطان العلماء (المتوفّى ١٠٦٤هـ)

هو السيد حسين بن رفيع الدين محمد بن الأمير شجاع الدين محمود الآملي الاصفهاني الملقب بـ«سلطان العلماء».

يعرّفه الخوانساري بقوله: كان من أعاظم الفقهاء الأعيان، محقّقاً، مدقّقاً، بديع التصرّف في العلوم، تقلّد الوزارة للسلطان شاه عباس الصفوي، وتزوج بابنته، فرُزق منها أولاداً، كلّهم فضلاء أذكياء، علماء أصفياء، قرأ على والده، وشارك المولى خليلاً القزويني في التتلمذ على شيخنا البهائي، ومن أشهر تآليفه: تعليقته على أُصول المعالم، وعلى شرح مختصر العضدي، وعلى زبدة الشيخ البهائي.

وتوفي عند عودته من فتح قندهار، ثمّ نقل جثمانه إلى النجف الأشرف، وقبره بها معروف يزار. (١)

٢. الفاضل التوني (المتوفّى١٠٧١هـ)

هو الشيخ عبد الله بن محمد التوني البشروي الرضوي.

يعرّفه الحر العاملي بقوله: عالم، فاضل، فقيه، زاهد، عابد، معاصر، له كتاب شرح الإرشاد في الفقه، ورسالة في الأُصول، ورسالة في الجمعة، ومن أشهر تآليفه«الوافية» التي فرغ منها سنة ١٠٥٩هـ وهو كما يصفه الخوانساري نقلاً عن خط أخي صاحب الترجمة: جمعت بدائع التحقيق وودائع التدقيق، وطبع عام ١٤١٢هـ وهو كتاب في أُصول الفقه.

وتظهر قوة عارضته من المنهجية الجديدة التي مشىٰ عليها في كتاب «الوافية» حيث وضع للمباحث الأُصولية تبويباً غير معهود عند المتقدّمين عليه، وانفرد بعدة آراء لم يسبقه إليها أحد.

وقد اهتم الشيخ الأنصاري بأفكاره وتحقيقاته، فيذكر نصه ثمّ يناقش في غير واحد من فرائد الأُصول. (٢)

٣. حسام الدين محمد صالح المازندراني (المتوفّى١٠٨٠هـ)

هو مولانا حسام الدين محمد صالح بن أحمد المازندراني، أحد الأُصوليين في

---

١. روضات الجنات: ٢/ ٣٤٦ برقم ٢١٨، وقد ترجمه المدني في سلافة العصر:٤٩٩، أمل الآمل:٢/ ٩٢ برقم ٢٤٩.

٢. له ترجمة ضافية في روضات الجنات:٤/ ٢٤٤ برقم ٣٨٩؛ أمل الآمل:٢/ ١٦٣ برقم ٤٧٧؛ رياض العلماء:٣/ ٢٣٧، وقد استوفى ترجمته محقّق كتاب «الوافية» السيد محمد حسين الرضوي الكشميري في المقدّمة.

العهد الأخباري يصفه الحر العاملي بقوله: فاضل، عالم، محقّق، له كتب، منها: شرح الكافي، كبير حسن، وشرح الفقيه، و شرح المعالم، وحاشية شرح اللمعة.

وتعرب تعليقته على أُصول الكافي عن تضلّعه في المعقول والحكمة الإلهية، كما يكشف شرحه على مقدمة «المعالم» عن توغله في الأُصول وتمتعه بذهنية وقّادة، وفكر ثاقب.

قرأ على المولى عبد الله التستري الرجالي المعروف والمولى محمد تقي المجلسي.

يقول الخوانساري في روضاته: ومن لاحظ شرح معالم الأُصول علم مهارته في قواعد الاجتهاد وله شرح مزجي على زبدة الأُصول لشيخنا بهاء الدين العاملي.[1]

٤. فخر الدين الطريحي (المتوفّى١٠٨٥هـ)

هو الشيخ فخر الدين بن محمد بن علي بن أحمد بن طريح.

يعرّفه الحر العاملي بقوله: فاضل، زاهد، ورع، فقيه، شاعر، جليل القدر، له كتب، منها:«مجمع البحرين» وهو عند الشيعة كالنهاية عند السنة، فقد استعرض فيه اللغات الواردة في الكتاب والسنّة؛ و«الفخرية» في الفقه؛ و«المنتخب» في المقتل.

وله كتاب آخر في بيان لغات القرآن سماه «نزهة الخاطر وسرور الناظر».

وله في أُصول الفقه شرح المبادئ الأُصولية للعلاّمة، ومنها فوائد الأُصول.[2]

---

١. أمل الآمل: ٢/ ٢٧٦ برقم ٨١٦؛ وله ترجمة ضافية في روضات الجنات:٤/ ١١٨ برقم ٣٥٥؛ مستدرك الوسائل: ٣/ ٤١٢.

٢. لاحظ ترجمته في أمل الآمل:٢/ ٢١٥ برقم ٦٤٨، روضات الجنات: ٥/ ٣٤٩ برقم ٥٤١، رياض العلماء:٤/ ٣٣٢.

٥. أبو القاسم الجرفادقاني (المتوفّى حدود ١٠٩٢هـ)

هو أبو القاسم بن محمد الجرفادقـاني الاصفهاني العالم الإمامي، من خريجي مدرسـة لطف الله العاملي في إصفهان تقـدم في الفقه والحديث وتبحـر في الحكمة والكلام وارتحل إلى الهنـد في عصر شاه جهـان وناظـر هناك جمعـاً من العلماء مثـل الحكيم السيالكوتي (المتوفّى ١٠٦٧هـ) ثمّ عاد إلى بلاده.

وقال في روضـات الجنات انّ للمترجـم مصنفات كثيرة في الحكمـة والكلام والفقـه والأصــول وحـواشي وتعليقــات لطيفـة على كثير مــن كتـب المعقــول والمنقول.[1]

٦. محمدِ باقر السبزواري وقد مرّت ترجمته في ص ٢٤٠.

٧. حسين الخوانساري (١٠١٦ـ١٠٩٨هـ)

هو الحسين بن جمال الدين محمد الخوانساري.

يعرّفه الحر العاملي بقـوله: فاضل، عالم، حكيم، متكلم، محقّـق، مدقّق، ثقة ثقة، جليل القـدر، عظيم الشأن، علاّمـة العلماء، فريد العصر، له مـؤلفات، منها: «شرح الدروس» حسن لم يتم. وله كتب في الكلام والحكمة.

وقد ترجمه السيد علي المدني في «سلافة العصر في محاسن أعيان العصر».

وله رسـالة في مقـدّمة الـواجب تعـرض فيها للـرد على الفاضـل القزوينـي والفاضل النائيني، وقد ذكر أسماء تآليفه ولده جمال الدين محمد.[2]

---

١. رياض العلماء: ٥/ ٤٩٦؛ روضات الجنات: ٣/ ٣٥١.

٢. لاحظ ترجمته في أمل الآمل: ٢/ ١٠١ برقم ٢٧٦، رياض العلماء: ٢/ ٥٧، روضات الجنات: ٢/ ٣٤٩ برقم ٢١٩.

٨. جمال الدين الخوانساري (المتوفّى١١٢٥هـ)

هو جمال الديـن محمّد بن الفاضل المحقّق حسين الخوانسـاري الذي تقدّم ذكره.

يعرفـه مؤلّف «جـامع الرواة» المعـاصر له، بقـوله: جمال الديـن الحسين بن جمال الدين الخوانساري جليل القدر، عظيم المنزلة، رفيع الشأن، ثقة، ثبت عين، صـدوق، عارف بـالأخبار والفقـه والأُصول و الحكمـة، له تـأليفات، منهـا«شرح مفتاح الفلاح» وحاشية على «شرح مختصر الأُصول».

ويعرّفـه الأفندي بقولـه: عالم، فاضـل، حكيم، محقّـق، مدقّق، معـاصر، له مؤلفات، توفّي عام ١١٢٥هـ. [١] و له تعليقة على الروضة البهية المطبوعة معها.

٩. محمد بن الحسن الشيرواني (المتوفّى١٠٩٩هـ)

هو المولى الشيـخ محمد حسـن الشيرواني مولـداً، و الاصفهاني مسكنـاً، له حاشية على أُصول المعالم ماهر في الأُصولين والفقه والحديث، وله مصنّفات، منها: شرحه على شرائع المحقّق، وغير ذلك. [٢]

١٠. بهاء الدين محمد بن الحسن المعروف بالفاضل الهندي(١٠٦٢ـ١١٣٧هـ)

هـو الشيخ محمـد بـن تاج الـديـن حسن بـن محمـد الإصفهاني المشهـور بالفاضل الهندي ، تـاج المحقّقين والفقهاء، فخر المدقّقين والعلماء، وحيد عصره، وأُعجوبة دهره، مروج الأحكام صاحب «كشف اللثام عن قواعد الأحكام» الذي

---

١. انظر ترجمته في روضات الجنات:٢/ ٢١٤ برقم ١٧٧؛ رياض العلماء:١/ ١١٤.

٢. انظر ترجمته في روضات الجنات:٧/ ٩٣ برقم ٦٠٤؛ تنقيح المقال:٣/ ١٠٣؛ جامع الرواة:٢/ ٩٢.

حكي عن صاحب الجواهر انّه كان لـه اعتماد عجيب فيه، وفي فقه مـؤلفه و انّه كان لا يكتب شيئاً من الجواهر لو لم يحضره ذلك الكتاب.

وكتابه هذا شرح على قواعد العـلاّمة الحلّي، وأنهى الشرح إلىٰ ختام القواعد شرحاً مبسطاً أقرب إلى الاختصار، وطبع في جزءين كبيرين ثمّ أُعيد طبعه محقّقاً في أجزاء بالصف الجديد.

ثمّ ابتـدأ من أوّل القواعـد مستوفياً مستقصياً لـلأدلّة و الأقوال، خـرج منه كتـاب الطهارة والصـلاة والحج، فرغ مـن الكتـاب عام ١١٠٥هـ، و توفي عـام ١١٣٧هـ.[1]

ميزات الدور الخامس

لقد ترك التيـار الأخباري مضاعفات خطيرة على الصعيـد الفقهي أدّت إلى فتور النشـاط الاجتهادي، وتصاعد النشـاط الأخباري الحديثي، ولا يخفـىٰ انّه إلىٰ جانب تلك الآثار السلبية، وجدت آثار إيجابية سنشير إلى الجميع على حد سواء، ونترك فرز الأثر الإيجابي عن السلبي إلى القارئ الكريم.

١. تشتّت الصف الفقهي

كـانت الحركـة الأخباريـة عنصرَ إثـارة في الأجواء الفقهيـة الشيعية، وكـان النشاط الاجتهادي في تصاعـد مستمر نحو الأمام، وإذا به يُهاجم مـن قبل التيار الأخباري بغتة، و لم يكن لـه أي اطّلاع عن واقع الحركة وخلفياتها، فـوقف أمامها في بدايـة الأمر عـاجزاً مخلوع السـلاح، فتكتل العلماء إلى تكتـلات بين أخباري لا

---

١. لاحظ ترجمته في روضات الجنات:٧/ ١١١ برقم ٦٠٨؛ الكنى والألقاب:٣/ ١١ وغيره.

يقيم للأُصولي وزناً ويتّهمه بالتطفّل على موائد الآخرين، وأُصولي يتهم الأخباري بالجمود والركود، ولا شكّ انّ الوحدة بشارة الرحمة والتشتت آية العذاب.

قال سبحانه: ﴿قُلْ هُوَ الْقادِرُ عَلىٰ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذاباً مِنْ فَوقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعاً وَ يُذيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ اُنْظُر كَيْفَ نُصَرِّفُ الآياتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُون﴾ .[1]

كان الوضع سائداً علىٰ هذا المنوال إلىٰ أن قيّض الله رجل العلم والفكر الوحيد البهبهاني (١١١٨ـ١٢٠٦هـ) فقام بمناهضة التيار الأخباري بالدليل القاطع و البرهان الساطع، و ربّىٰ جيلاً كبيراً من الفقهاء ساروا على نهج أُستاذهم في دحض حجج ذلك التيار المناوئ، حتى انجلى وجه الحقيقة، واتضح زيف الأدلّة التي أقامها الأمين الاسترابادي ومن لفّ لفّه، فرجع الكثير منهم إلى صف الاجتهاد، وأعقبه فتور النشاط الأخباري، وهدأت الزوبعة الفكرية التي قادتها الأخبارية ما يقارب القرنين .

٢. كثرة المناظرات الفقهية

تزامنت الحركة الأخبارية مع ظهور مستجدات لم يكن لها نظير فيما سبق، كشرب التتن، وبما انّ الأصل عندهم فيما لا نصّ فيه في الشبهة التحريمية هو الاحتياط، فصار ترك شرب التتن شعاراً لهم، كما انّ تجويز استعماله أضحى شعاراً للأُصوليين، وألّف ذلك منعطفاً في تاريخ الفقه حيث طرحت لأوّل مرّة مسائل لم يرد فيها نص في الكتاب والسنّة، وكثرت المناظرات حولها بغية وضع الحلول المناسبة لها.

---

١. الأنعام:٦٥.

وقد تناول الشيخ الأنصاري هذا الموضوع بتقسيم مالا نص فيه إلى شبهة حكمية، وأُخرى موضوعية، والأُولى إلى شبهة تحريمية ووجوبية، إلى غير ذلك من الأقسام.

٣. تأليف جوامع حديثية

ألّف المحمدون الثلاثة كتباً أربعة هي: الكافي، والفقيه، والتهذيب، والاستبصار، فصارت المرجع الوحيد للفقهاء فيها بعد منذ أواسط القرن الخامس إلى أواخر القرن الحادي عشر.

ولا شكّ انّ الاستنباط فرع الإحاطة بالأحكام، وهذا يستدعي رجوع الفقيه في مسألة واحدة إلى تلك الكتب بأبوابها المختلفة، ممّا يؤلِّف صعوبة في الاستنباط وعثرة أمامه.

ولمّا كانت الأجواء مناسبة لتدوين الحديث ونشره عاد لفيف من كبار الأخباريين إلى تأليف جوامع حديثية تضم كل ما يحتاج إليه الفقيه في مقام الاستنباط، فألّفوا جوامع حديثية أُخرى تتمتع بمنهجية وتبويب رائع فاقت الجوامع السابقة ونشير إلى بعض منها:

١. «وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة» في الفروع والأحكام والسنن، تأليف محمد بن الحسن الحر العاملي (المتوفّى١١٠٤هـ).

٢. «الوافي» لوفائه بالمهمات وكشف المبهمات، للمحدّث العارف محمد بن مرتضى المعروف بالفيض الكاشاني (١٠٠٧ـ١٠٩١هـ) جمع فيه روايات الكتب الأربعة، فرغ منه عام ١٠٨٦هـ.

٣. «بحار الأنوار في درر الأخبار» للعلاّمة المجلسي (١٠٣٧ـ ١١١٠هـ)

ويعد كتابه هذا موسوعة كبيرة في أحاديث أهل البيت عليهم السلام في مختلف المجالات، وقد غصت الأجزاء الأخيرة بالروايات الفقهية، ثمّ سلسلة الإجازات، وقد طبع في ١١٠ أجزاء.

٤. «عوالم المعالم» للشيخ عبد الله بن نور الله البحراني، تلميذ العلاّمة المجلسي، وكتابه هذا في مائة جزء، طبع بعض أجزائه، والباقي لم يزل مخطوطاً.

٥. «الشفا في أحاديث آل المصطفى» تأليف العلاّمة الشيخ محمد رضا بن عبد اللطيف التبريزي، المتوفى عام ١١٥٨هـ.

إلى غير ذلك من الجوامع الحديثية التي حازت على منزلة كبيرة، لما تمتعت به من جودة الترتيب وحسن العرض.

٤. إعادة التفسير الروائي

كان التفسير بالأثر هو المنهج السائد منذ عصر الأئمّة إلى زمان الشريف الرضي (٣٩٥ـ ٤٠٦هـ) حيث تذكر الآية ثمّ تتبع بالآثار الواردة عن أئمّة أهل البيت عليهم السلام، و النموذج البارز لهذا النمط من التفسير هو «تفسير علي بن إبراهيم القمّي» المطبوع المنتشر، ثمّ ترك هذا النوع من التفسير، وحل محلّه التفسير العلمي كـ«التبيان» للشيخ الطوسي، و«مجمع البيان» للشيخ الطبرسي، ودام هذا النمط إلى أواخر القرن الحادي عشر حيث عاد التفسير بالأثر إلى الساحة من جديد، فألّف السيد هاشم البحراني (المتوفّى ١١٠٧هـ) كتابه «البرهان في تفسير القرآن» المطبوع في ستة أجزاء، و الشيخ عبد علي العروسي الحويزي كتابه «نور الثقلين» إلى غير ذلك من التفاسير بالأثر التي هي من حسنات تلك الحقبة.

٥. قلّة الاهتمام بعلم الأُصول

إنّ المصدر الوحيد للاستنباط لدى الأخباريين هو الكتاب والسنّة، ولا قيمة للعقل، ولا اعتبار للأُصول العقلية لديهم، وقد تطرق أُصول الفقه في قسم من مباحثه إلى العقل وأحكامه مما حدا إلى قلة الاهتمام به، حتى بين المجتهدين أنفسهم، فتجد أنّ أكثر التآليف تدور حول كتاب «زبدة الأُصول» للشيخ بهاء الدين العاملي، وقد كثرت عليه الشروح والتعاليق، ولم نجد كتاباً مستقلاً في علم الأُصول دوّن في هذه الحقبة سوى «الوافية» للفاضل التوني.

٦. تطوير الفقه في المرحلة اللاحقة

نادت الحركة الأخبارية بنبذ كلّ ألوان التفكير العقلي الأُصولي، وفي تلك الأجواء المشحونة ظهر رواد أدركوا خطورة الموقف وانّ علم الأُصول بثوبه القديم لا يصمد امام التيار الأخباري المناهض، وانّ الواجب يحتم عليهم الأخذ بزمام المبادرة وإعادة النظر فيما ورثوه من سلفهم الصالح من أُصول وطوروا الفقه بمسائل أُصولية جديدة لم تكن معنونة في كتب الماضين استطاعت أن تعالج المشاكل العالقة التي دخل منها الأخباري، وبالتالي تم إنعاش الحركة الفقهية في المرحلة اللاحقة كما سنستعرضه إن شاء الله.

المراكز العلمية التي نشطت في الدور الخامس

قد مر آنفاً انّ أوّل من نادى بالفكرة الأخبارية هو محمد أمين الاسترابادي، فقد ألّف كتابه «الفوائد المدنية» في المدينة المنورة، ومكث بها طيلة عمره، إلى أن وافاه الأجل عام ١٠٣٦ هـ وقد أرسل كتابه هذا إلى كافة المراكز العلمية التي كان

لها نشاط فعال، كالنجف الأشرف وكربلاء و إصفهان، ثمّ البحرين،فأوجد صدىً واسعاً في تلك المراكز، وعقد حوله مناظرات كثيرة كانت حصيلتها موافقة بعض ورفض بعض آخر، إلاّ انّ أنصار الحركة الاجتهادية وبفضل الجهود الحثيثة التي بذلوها على هذا الصعيد استطاعوا أن يسددوا الضربات للحركة الأخبارية ويفنّدوا جميع مزاعمها.

وأخيراً تمّ القضاءعليها، ولم يبق منها شيء يذكر إلاّ صبابة كصبابة الإناء توجد في مناطق مختلفة كالبحرين وفي بعض نواحي القطيف.

رحم الله الماضين من علمائنا و حفظ الله الباقين منهم و جمع كلمتهم، وشملهم.

أدوار الفقه الإمامي

٦

الدور السادس:

عصر تصعيد الاجتهاد والنشاط الفقهي

(١١٨٠-١٢٦٠هـ)

لقد بلغ النشاط الأخباري ذرْوته، وعمّت أفكاره كافة المراكز على الرغم من بذل محاولات جادَّة للحد من نشاطه، والحيلولة دون انتشاره من قبل لفيف من المحقّقين أمثال: سلطان العلماء (المتوفّى ١٠٦٤هـ)، والفاضل التوني صاحب الوافية (المتوفّى١٠٧١هـ)، والمحقّق الشيرواني صاحب الحاشية على المعالم، ولم تتكلّل جهودهم بالنجاح، إلى أن قام رجل العلم والقلم، والتحقيق والتدقيق، المحقّق البهبهاني (١١١٨ـ ١٢٠٦هـ) وأحسَّ بخطورة الموقف، فانتقل من النجف الأشرف إلى كربلاء، وهي يومئذ معقل الأخباريين يتزعمها الفقيه الشيخ يوسف البحراني صاحب الحدائق، فحضر أبحاثه أياماً، ثمّ وقف يوماً في الصحن الشريف، ونادى بأعلى صوته: أنا حجة الله عليكم، فاجتمعوا عليه، و قالوا ماتريد: فقال: أُريد من الشيخ يوسف يمكّنني من منبره و يأمر تلامذته أن يحضروا تحت منبري، فأخبروا الشيخ يوسف بذلك، وحيث إنّه كان يومئذٍ عادلاً عن مذهب الأخبارية، خائفاً من إظهار ذلك من جُهّالهم، طابت نفسه بالإجابة.[1]

---

١. المامقاني: تنقيح المقال:٢/ ٨٥.

وألّفت هـذه الحادثة منعطفاً تاريخياً في قلب الموازين لصالـح الأُصوليين، حيث وضع المحقّق البهبهاني أصابعه على النقاط الحسّـاسة التي كانت الأخبارية تتشدّق بها.

وقبـل أن نـدخـل في صلـب الموضـوع نسلـط الأضـواء علىٰ سيرة المحقّـق البهبهاني، والـدور الذي لعبـه في إحياء التيار الاجتهـادي، وإخراج المجتمـع من ورطة الأخبارية.

حياة المحقّق البهبهاني و سيرته

ولد المحقّق محمد باقر بن محمد أكمل البهبهاني سنة ١١١٨هـ في إصفهان، وقرأ المقدّمات فيها، ثمّ انتقل إلى النجف من جرّاء نشوب القلاقل والفتن وأكمل فيهـا دروسه عنـد العلمين الجليلين: السيد محمـد الطباطبـائي البروجردي ــ جدّ السيد بحر العلوم ــ و السيد صدر الدين القمي المشهور بـالهمداني شارح كتاب «وافية الأُصـول» ولمّا تزوّد مـن معين تلك الحوزة و صـاهر أُستـاذه السيد محمـداً الطباطبـائي، انتقل حينها إلى بهبهان معقـل الأخباريين في ذلك الزمـان، ومكث هناك ما يربـو على ثلاثين سنة، لعب فيها دوراً هاماً في التعليـم والتربية والتأليف والتصنيف، وقد أحسَّ بعد حقبة من الزمن انّه لو هاجر إلى الأماكن المقدسة لبذل عطاءً ضخماً.

فنزل النجف الأشرف، ولم يلبـث فيها إلاّ قليلاً، ثمّ انتقل إلى كـربلاء حيث كانت تعجّ بالأخباريين يومذاك.

يقول شيخنـا المجيز الطهراني: لما ورد المترجـم كربـلاء المشرّفة قام بـأعباء الخلافـة، ونهض بتكاليـف الـزعامـة والإمامـة، ونشر العلـم بها، واشتهر تحقيقـه وتدقيقه، وبانت للملأ مكانته الساميـة، وعلمه الكثير، فانتهت إليه زعامة الشيعة

ورئاسة المذهب الإمامي في سائر الأقطار، وخضع له جميع علماء عصره، وشهدوا له بالتفوّق والعظمة والجلالة، ولذا اعتبر مجدّداً للمذهب على رأس هذه المائة، وقد ثنيَّت له الوسادة زمناً، استطاع خلاله أن يعمل و يفيد، وقد كانت في أيامه للأخبارية صولة، وكان لجهّالهم جولة، وفلتات وجسارات و تظاهرات أُشير إلى بعضها في «منتهى المقال» وغيره، فوقف المترجم آنذاك موقفاً جليلاً كسر به شوكتهم، فهو الوحيد من شيوخ الشيعة الأعاظم، الناهضين بنشر العلم والمعارف، وله في التاريخ صحيفة بيضاء يقف عليها المتتبع في غضون كتب السير ومعاجم الرجال.[1]

والذي يعرب عن خطورة الموقف و انّه بلغ الأمر إلى الطعن بالعلماء والتشنيع بهم، هو ما ذكره المحقّق البهبهاني وتلميذه.

أمّا الأوّل فيشتكي المحقّق في رسالة «الاجتهاد والأخبار» من الأخباريين ويخاطبهم بقوله: ما الوجه في مطاعنكم الشديدة المنكرة بالنسبة إلى المجتهدين، والتشنيعات المتكثّرة الركيكة على هؤلاء المتقين الورعين، وما المحلّل لهتك حرمة الأحياء والأموات من المؤمنين، وإيذائهم مع كونهم من أزهد الزاهدين، وأصلح المتدينين؟! بل ربما تأمّلتم في عدالة من يقرأ كتبهم ويسلك سبيلهم؟!

ولم هذه التفرقة بين المؤمنين؟ وممّ هذه المعركة المهيّأة بين العالمين؟ وما هذه البغضاء والنفرة الحادثة بين الشيعة؟ ومن أين اجترأ الجهلة على الطعن في الأعاظم والأجلّة بنسبتهم إلى متابعة أهل السنّة وأبي حنيفة؟! وغيرها من الأُمور السخيفة؟! وأدخلوا أنفسهم بين العلماء وآرائهم في الآراء مع أنّهم لا يعرفون الهرّ من البرّ، مهدوا لأنفسهم قواعد مضحكة، ويفتون بفتاوى ركيكة، يدّعون أنّهم

---

١. الطهراني: الكرام البررة: ١/ ١٧١.

أخباريون و انّكم لو اطّلعتم على فتاويهم وقواعدهم لتنفّرتم عنهم، وحذرتم منهم ووجدتم إياهم لا هم منكم ولا أنتم منهم. [١]

وأمّا تلميذه فقال: وقد كانت بلدان العراق لا سيّما المشهدين الشريفين مملوءة قبل قدومه من معاشر الأخباريين، بل و من جاهليهم والقاصرين، حتى أنّ الرجل منهم إذا أراد حمل كتاب من كتب فقهائنا ـ رضي الله عنهم ـ حمله مع منديل، وقد أخلى الله البلاد منهم ببركة قدومه، واهتدى المتحيّر في الاهتمام بأنوار علومه. [٢]

هذه إلمامة عابرة عن اتساع نفوذ الأخبارية في الربوع العلمية، فحان الوقت الآن لبيان أنّه كيف عولج هذا الداء المستعصي على يد المحقّق البهبهاني.

فقد قام ﷺ بذلك عن طريق تقويض الأُصول التي ركن إليها الأخباريون، وقد أوعزنا إلى تلك الأُصول سابقاً، ونعود إليها الآن لغاية التوضيح، ولمعرفة الأساليب التي اتخذها البهبهاني لمعالجة الموقف.

١. ذهبت الأخبارية إلىٰ أنّ العمل بظواهر القرآن تفسير بالرأي تشمله الروايات المستفيضة الواردة في النهي عن تفسير القرآن بالرأي، كقولهم: من فسّر القرآن برأيه فقد افترى على الله الكذب. [٣]

وأجاب المحقّق: انّ التمسّك بظواهر القرآن بعد الفحص عن مخصصها ومقيدها وناسخها وما ورد حولها من أئمّة أهل البيت ليس إلاّ عملاً بالقرآن وتدبّراً فيه، وأين هو من تفسير القرآن بالرأي؟! فشتّان بين من ينظر إلى القرآن

---

١. الرسائل الأُصولية: رسالة الاجتهاد والأخبار:٢١٦.

٢. أبو علي الحائري: منتهى المقال في أحوال الرجال:٦/ ١٧٨ برقم ٢٨٥٢.

٣. الصدوق: إكمال الدين وتمام النعمة:٢٥٦ الحديث ١.

بذهن صاف وخال من كل الشوائب يستهدي بـه، ومن اتخذ موقفاً خاصاً حياله، فينظر إليه ليستخرج منه الدليل الدال على معتقده وإن لم يكن على صواب.

٢. زعمت الأخبارية انّ الحجّة عبارة عن الكتاب والسنّة وليس للعقل دور في استنباط الأحكام الشرعية فيما لـه مجال، واستدلـوا على ذلـك بأنّ ديـن الله لا يصاب بالعقول. [١]

وقد قام المحقّق البهبهاني بتأليف رسالة في الحسن والقبح العقليين، وأثبت فيها حجّية حكم العقل في المستقلات العقلية، وانّه لا صلة لقولهم إنّ دين الله لا يصاب بالعقول إلى هـذا النمط من الاستدلال، فإنّ ما ورد في الحديث عبارة عن الظنون المتراكمة من هنا وهناك باسم القياس والاستحسان و المصالح المرسلة فانّ دين الله لا يصاب بهذه الظنـون دون الأحكام العقلية القطعية التـي لا يشكّ فيها ذو فطرة سليمة كاستقلال العقل بقبح العقاب بلا بيان ، أو حكمه بأنّ الاشتغال اليقيني يستدعي الفراغ اليقيني، إلى غير ذلك من الأحكام الفطرية الواضحة.

٣. اتخذت الأخباريـة سنداً على الأُصوليين بأنّهم يعتمـدون على الإجماع مع أنّ الإجماع أصل لأهل السنّة، وهم أصل له يستعملـونه في الفقه ويستدلّون عليه. غير انّ محقّقنـا البهبهاني نبّـه على أنّ الاشتراك في اللفـظ لا يكـون سنداً لصـالـح الأخباريين، فإنّ الإجماع عند الأُصوليين يختلف جوهراً عن الإجماع عند أهل السنّة، إذ انّ الطائفـة الثانيـة يتكلون على الإجماع بما هو إجماع، فـالإجماع بما هوهـو حجّة عندهـم، والشيعة ترىٰ أنّ الإجماع طريـق إلى تحصيل قول المعصوم على الأسـاليب المقررة في علم الأُصول.

٤. لقد أفـرط الأخباريون إذ قـالوا بقطعية تمام الأحـاديث الواردة عـن أئمّة

---

١. الفوائد المدنية:١٦٢.

أهل البيت عليهم السلام، وبذلك استغنوا عن علم الرجال.

قال الأمين الاسترابادي: إنّ العلم بأحوال الرجال غير محتاج إليه، لأنّ أحاديثنا كلّها قطعية الصدور عن المعصوم، فلا نحتاج إلى ملاحظة سنده، وأمّا الكبرى فظاهر، وأمّا الصغرى فلأنّ أحاديثنا محفوفة بالقرائن المفيدة للقطع بصدورها عن المعصوم، ثمّ ذكر القرائن المدعاة. [1]

ثمّ إنّ المحقّق البهبهاني أخذ بتفنيد تلك القرائن التي اعتمد عليها الأخباري في قطعية الأخبار في رسالة الاجتهاد والأخبار. [2]

وبما انّ نقل كلامه في المقام يخرجنا عن إطار البحث، فنحيل القارئ الكريم إلى رسالة الاجتهاد والأخبار.

ابتكاراته الأُصولية

لقد تمتع البهبهاني بذهن وقّاد، و ذكاء مفرط ساعده على ابتكار قواعد وأساليب جديدة في علم الأُصول، منها:

١. إذا تعلّق الشكّ بأصل التكليف فالأصل هو البراءة، وقد استدل عليه بحكم عقلي فطري من قبح العقاب بلا بيان، وعزّزها بآيات وروايات قد ذكرت في مبحث البراءة من فرائد الشيخ الأنصاري.

٢. كان الأصل عند العلماء هو تقديم الجمع على الترجيح في تعارض الأخبار وعليه سار شيخنا الطوسي في كتابيه حتى اشتهر بأنّ الجمع أولى من الطرح، إلى أن جاء المحقّق البهبهاني فعين للجمع والترجيح ضابطة كلية، وهي

---

١. الفوائد المدنية: ٨٩.

٢. لاحظ الرسائل الأُصولية، رسالة الاجتهاد والاخبار: ١١٥ـ١٦٢.

انّ الجمع لو كان أمراً مقبولاً عند العقلاء وسائداً بينهم، فالجمع مقدَّم على الترجيح، كما هو الحال في العام والخاص والمطلق والمقيد.

وأمّا إذا لم يكن الجمع مقبولاً فهو من موارد الترجيح، وبذلك أثبت انّ الجمع التبرعي أي الجمع بلا شاهد لا دليل عليه، وقد كان لهذه الضابطة آثار مهمة في الاستنباط والتحقيق.

٣. إذا تعارضت الرواية مع القاعدة القطعية العامة، فالمشهور هو تقديم النصّ على القاعدة، على خلاف ما عليه المحقّق البهبهاني فقدم القطعي على النص الظني.

فمثلاً انّ مقتضى القاعدة القطعية هي حرمة التصرّف في مال الغير بلا رضاه، وإليه يشير قوله ﷺ: «لا يحل مال امرئ مسلم إلاّ بطيب نفسه» لكن وردت الرواية على أنّ العابر يجوز له أن يأكل من ثمار الأشجار حين اجتيازه من دون أن يحوز منها.

فعلىٰ قول البهبهاني لا يعمل بالرواية أمام القاعدة القطعية ولا يمكن الصمود أمامها.

وعلى ذلك بنينا في بحوثنا الأُصولية بأنّ القرآن لا يخصص بالخبر الواحد، والتفصيل في محله.

٤. كان الطابع العام السائد على فقه القدماء هو جعل الأُصول العملية في رتبة الأمارات، ولذا يستدلّون على المسألة بالخبر الواحد، وفي الوقت نفسه يستدلّون بالأصل.

وقد جاء المحقّق البهبهاني وفرّق بين الأمارات و الأُصول، وجعل لكلّ حداً، وأثبت انّ الأصل دليل حيث لا دليل (الأمارة).

وعلى ضوء ذلك قسم الأدلّة إلى الاجتهادية والفقاهية، كما نقله الشيخ عنه في أوائل أصل البراءة من الفرائد.

إلى غير ذلك من الأفكار الرائعة و التحليلات الرائقة، التي استطاع بها تصعيد النشاط الاجتهادي.

***

تلاميذه

غاب نجم العلم وتوفّي المحقّق البهبهاني عام ١٢٠٥هـ، ولكن الركب الفقهي الذي أشاد معالمه لم يزل سائراً نحو الأمام بفضل تلامذة مدرسته وهم:

١. السيد محمد التستري (المتوفّى ١٢٠٦هـ).

٢. السيد أحمد الطالقاني النجفي (المتوفّى ١٢٠٨هـ).

٣. المولى مهدي النراقي (المتوفّى ١٢٠٩هـ).

٤. السيد محمد مهدي بحر العلوم (المتوفّى١٢١٢هـ) مؤلف «الفوائد الرجالية» في ثلاثة أجزاء وغيرها.

٥. السيد أحمد العطار البغدادي (المتوفّى ١٢١٥هـ).

٦. الشيخ أبو علي الحائري صاحب «منتهى المقال» (المتوفّى ١٢١٦هـ).

٧. الشيخ عبد الصمد الهمداني الشهيد (المتوفّى ١٢١٦هـ).

٨. ولد المحقّق البهبهاني الأكبر محمد علي (المتوفّى ١٢١٦هـ).

٩. المولى محمد كاظم الهزار جريبي الشهيد في كربلاء عند هجوم الوهابيّين

عام ١٢٣٤هـ مؤلّف كتاب «إرشاد المنصفين».

١٠. الشيخ محمد هادي الشهرستاني (المتوفّى ١٢١٦هـ).

١١. الميرزا مهدي بن هداية الله بن طاهر الخراساني الشهيد (المتوفّى ١٢١٨هـ).

١٢. السيد ميرزا مهدي القاضي الطباطبائي (المتوفّى ١٢٢٢هـ).

١٣. السيد جواد العاملي (المتوفّى ١٢٢٦هـ) مؤلّف الموسوعة الفقهية الشهيرة المسمّاة «مفتاح الكرامة» في عشرة أجزاء.

١٤. الشيخ جعفر كاشف الغطاء (المتوفّى ١٢٢٧هـ) مؤلّف «كشف الغطاء».

١٥. الميرزا أبوالقاسم القمي (المتوفّى ١٢٣١هـ)مؤلّف كتاب «قوانين الأُصول».

١٦. السيد علي الطباطبائي صاحب الموسوعة الفقهية المسمّاة بـ«رياض المسائل» (المتوفّى ١٢٣١هـ).

١٧. السيدمير محمد حسين بن مير عبد الباقي (المتوفّى ١٢٣٣هـ).

١٨. السيد دلدار علي نصر آبادي الهندي (المتوفّى ١٢٣٥هـ) صاحب كتاب «مسكن الفؤاد» و «دعائم الإسلام» و«الشهاب الثاقب».

١٩. الشيخ أسد الله التستري الدزفولي الكاظمي صاحب كتاب «كشف القناع» و «المقابس» (المتوفّى ١٢٣٧هـ).

٢٠. عبد الحسين الابن الثاني للوحيد (المتوفّى ١٢٤٠هـ).

٢١. السيد ميرزا يوسف التبريزي (المتوفّى ١٢٤٢هـ).

٢٢. السيد محمد حسن الزنوزي الخوئي (المتوفّى ١٢٤٦هـ) مؤلّف كتاب «رياض الجنة» و«دوائر العلوم».

٢٣. شمس الدين بن جمال الدين البهبهاني (المتوفّى ١٢٤٧هـ).

٢٤. السيد محمد القصير الخراساني (المتوفّى ١٢٥٥هـ).

هذه كوكبة زاهرة من تلاميذ المحقّق البهبهاني.

ثمّ أعقبهم جيل آخر كانوا من تلامذة تلاميذه أمثال:

١. السيد محسن الأعرجي (المتوفّى ١٢٢٧هـ) مؤلّف كتاب «المحصول في الأُصول».

٢. شريف العلماء محمد شريف بن حسن علي (المتوفّى ١٢٤٥هـ).

٣. المولى أحمد النراقي (المتوفّى ١٢٤٥هـ) صاحب الموسوعة الفقهية المسمّاة بـ «مستند الشيعة».

٤. الشيخ محمد نقي عبد الرحيم(المتوفّى ١٢٤٨هـ) مؤلّف كتاب «هداية المسترشدين في شرح أُصول معالم الدين».

٥. السيد عبد الفتاح المراغي (المتوفّى نحو ١٢٥٠هـ) مؤلّف «عناوين الأُصول» في القواعد الفقهية في جزءين.

٦. السيد محمد باقر الشفتي الاصفهاني (المتوفّى ١٢٦٠هـ) مؤلّف كتاب «مطالع الأنوار في شرح شرائع الإسلام» المطبوع.

٧. الشيخ محمد إبراهيم بن محمد حسن الخراساني الإصفهاني المعروف بالكلباسي (١١٨٠ـ ١٢٦١هـ) مؤلّف كتاب «إشارات الأُصول» في مجلدين.

٨. السيد إبراهيم القزويني (المتوفّى ١٢٦٤هـ) صاحب «ضوابط الأُصول».

٩. الشيخ محمد حسن بن محمد باقر (المتوفّى ١٢٦٦هـ) صاحب «جواهر الكلام».

إلى غير ذلك من الأعلام الذين بذلوا جهودهم في إرساء دعائم الفقه وإحياء النهج الاجتهادي، ولكلّ آثار وكتب وموسوعات.

وقد اقتصرنا علىٰ ذكر أسمائهم محيلين ترجمتهم إلىٰ كتاب طبقات الفقهاء الذي أخذ على عاتقه ترجمة هؤلاء الأعلام.

ميزات الدور السادس

لقد تبيّن ممّا ذكرنا ميزات هذا الدور وأهمها:

١. تصعيد النشاط الفقهي، ومكافحة الرجعية والجمود، وإعادة العقل إلى ساحة الاستدلال، وإحياء الدور الذي قام به المحقّق الأوّل ومن أعقبه خصوصاً المحقّق الثاني والمحقّق الأردبيلي ـ قدّس الله سرّهم ـ.

٢. ظهور ابتكارات أُصولية علىٰ يد الوحيد البهبهاني، سار على ضوئها تلامذته في كتبهم الأُصولية والفقهية كـ«رياض المسائل» للسيد علي الطباطبائي و«قوانين الأُصول» للميرزا القمي و«المستند» لأحمد النراقي.

٣. تم في هذا الدور القضاء على الأخبارية وأفكارها وتقلّص نشاطها ولم يبق منهم إلاّ النزر اليسير.

واستطاع المحقّق البهبهاني أن يغيّر وجهة نظر زعيم الأخباريين في عصره،

فقد بدأ الشيخ يوسف البحراني يميل إلى مدرسة الأُصوليّين شيئاً فشيئاً حتى أنّه أخذ يقول في المقدمة الثانية عشرة من مقدّمات الحدائق:

وقد كنت في أوّل الأمر انتصر لمذهب الأخباريين، وقد أكثرت البحث فيه مع بعض المجتهدين من مشايخنا المعاصرين، إلاّ أنّ الذي ظهر لي بعد إعطاء التأمل حقّه في المقام، و إمعان النظر في كلام علمائنا الأعلام هو إغماض النظر عن هذا الباب و إرخاء الستر دونه و الحجاب، و إن كان قد فتحه أقوام وأوسعوا فيه دائرة النقض والإبرام.

أمّا أوّلاً: فلاستلزامه القدح في علماء الطرفين.

وأمّا ثانياً: فلأنّ ما ذكروه في وجوه الفرق بينهما جلّه بل كلّه عند التأمل لا يثمر فرقاً.

وأمّا ثالثاً: فلأنّ العصر الأوّل كان مملوءاً من المحدّثين و المجتهدين، مع أنّه لم يرتفع بينهم صيت هذا الخلاف، ولم يطعن أحد منهم على الآخر بالاتصاف بهذه الأوصاف.

ولم يرتفع صيت هذا الخلاف ولا وقوع هذا الاعتساف إلاّ من زمن صاحب «الفوائد المدنية» سامحه الله تعالى برحمته المرضية، فإنّه قد جرّد لسان التشنيع على الأصحاب، وأسهب في ذلك أيّ إسهاب، وأكثر من التعصبات التي لا تليق بمثله من العلماء الأطياب.[1]

ولأجل الوقوف على العناية التي أولاها المحقّق البهبهاني على إزالة الفكرة، فقد كانت المناظرة بينه و بين صاحب الحدائق على قدم وساق، يحكي المحدّث القمي عن الحاج كريم أحد سدنة الروضة الحسينية المقدسة انّه كان يقوم بخدمة

---

١. الحدائق الناضرة: ١/ ١٦٧ـ١٧٠.

الحرم في شبابه، وذات ليلة التقى بالشيخ يوسف البحراني و الوحيد البهبهاني داخل الحرم و هما واقفان يتحاوران، وطال حوارهما حتى حان وقت إغلاق أبواب الحرم، فانتقلا إلى الرواق المحيط بالحرم، واستمرا في حوارهما وهما واقفان، فلمّا أراد السدنة إغلاق أبواب الرواق انتقلا إلى الصحن وهما يتحاوران، فلما حان وقت إغلاق أبواب الصحن انتقلا خارج الصحن من الباب الذي ينفتح على القبلة، واستمرا في حوارهما و هما واقفان، فتركهما وذهب إلى بيته ونام، فلمّا حلّ الفجر ورجع إلى الحرم صباح اليوم الثاني سمع صوت حوار الشيخين من بعيد، فلمّا اقترب منهما وجدهما على نفس الهيئة التي تركهما عليها في الليلة الماضية مستمرين في الحوار والنقاش، فلمّا أذّن المؤذن لصلاة الصبح رجع الشيخ يوسف إلى الحرم ليقيم الصلاة جماعة، ورجع الوحيد البهبهاني إلى الصحن وافترش عباءته على طرف مدخل باب القبلة، وأذّن وأقام وصلّى صلاة الصبح.

٤. تأليف موسوعات في علم الأُصول قام بها جملة من فطاحل العلماء كالميرزا القمي صاحب «قوانين الأُصول» والشيخ محمد تقي الإصفهاني صاحب «الحاشية على المعالم». والسيّد إبراهيم القزويني صاحب «الضوابط»، والشيخ محمد إبراهيم الكلباسي مؤلّف «إشارات الأُصول».

٥. ظهور موسوعات فقهية كبيرة كـ«معتمد الشيعة في أحكام الشريعة» للشيخ مهدي النراقي و«مستند الشيعة في أحكام الشريعة» للشيخ أحمد النراقي و«جواهر الكلام» للشيخ محمد حسن النجفي، وبعين الله انّ ما ألّفه هؤلاء الأقطاب الثلاثة تعد موسوعات فقهية لم ير الزمن مثلها إلى أعصارهم، فقد طبع الجواهر في ٤٢ جزءاً، كما طبع «مستند الشيعة» يناهز عشرين جزءاً، وأمّا «المعتمد» فقد طبع في جزءين كبيرين رحليّين عسى أن يقيض الله سبحانه أصحاب الهمم لتحقيقه وعرضه في أُسلوب أنيق.

المراكز العلمية في الدور السادس

كانت للشيعة يومذاك حوزات علمية عامرة في مناطق مختلفة، فكانت حوزة إصفهان ذات نشاط كبير، تخرّج منها علماء أفذاذ، ذوو اختصاصات مختلفة، وقد مر انّ المحقّق البهبهاني كان إصفهانياً، وإنّما أُطلق عليه البهبهاني نظراً لمكثه الطويل في مدينة بهبهان أحد معاقل الأخباريين يومذاك.

وقد انقرضت الدولة الصفوية عام ١١٣٥ هـ في هذا الدور على يد الأفاغنة، وأوجدت قلاقل و اضطرابات لم تدم طويلاً حتى تسلمت الدولة الزندية زمام الأُمور، ودامت إلى أواخر القرن الثاني عشر.

وتليها حوزة شيراز حيث عجّت بالأُصوليين والأخباريين والرياضيين والحكماء والفلاسفة.

ومع أنّ نور العلم لم يطفأ في سائر المراكز كجبل عامل وحلب وخراسان، إلاّ أنّ حوزة كربلاء و النجف قد نشطت من بينها وصعّدت من جهودها.

وقد تقلّص النشاط الأخباري وانحصر في البحرين والقطيف و الأحساء حيث يشاركون الأُصوليين في جميع المواقف وينتفعون بوسائل الحياة العصرية كما ينتفع منها الأُصوليون مع أنّ الأصل عندهم هو الحظر إلاّ أن يقوم دليل على الحلية.

أدوار الفقه الإمامي

٧

الدور السابع:

عصر الإبداع والتطوّر الفقهي

(١٢٦٠-١٤١٤هـ)

مرتضى الأنصاري رائد الحركة الفكرية

إنّ الحركة العلمية التي قادها رائد الفكر والتحقيق المحقّق البهبهاني خلفت وراءها أجيالاً من العلماء الفطاحل، وتراثاً علمياً ضخماً في مجالي الفقه والأُصول ، وقد مرّ انّ ثلّة من تلامذته ألّفوا موسوعات فقهية وأُصولية دحضوا بها حجج الأخباريين الباطلة، ومهّدوا الطريق لظهور حركة علمية جديدة تتمتع بالاستضاءة من التراث العلمي الذي خلّفه المحقّق البهبهاني وتلامذته مع إبداع أُسلوب جديد في الأُصول والفقه، ورائد هذه الحركة الجديدة ـ وإن كان في الحقيقة استمراراً للنهج العلمي الذي قاده البهبهاني ـ هو الشيخ المحقّق المدقّق مرتضى بن محمد أمين المعروف بالأنصاري، الذي ولد عام ١٢١٤هـ في بلدة دزفول، وتعلّم الدروس الابتدائية في موطنه، ثمّ شرع في الأُصول والفقه، ونال مرتبة سامية فيها، ولم تقنع نفسه بما تعلّم فيه، فأعدّ العدّة مع والده لزيارة العتبات المقدّسة عام ١٢٣٢هـ وله من العمر آنذاك ١٨ سنة، فورد كربلاء المقدّسة يوم كانت تعجّ حوزتها العلمية بفضلاء وعلماء كبار وعلى رأسهم العلمان الجليلان:

١ . السيد محمد بن السيد علي المعروف بـ«السيد المجاهد» (المتوفّى

١٢٤٣هـ) مؤلّف كتاب «المناهل في الفقه».

٢. الشيخ محمد شريف العاملي المازندراني المعروف بـ«شريف العلماء» (المتوفّى ١٢٤٥هـ).

فمكث الشيخ في كربلاء أربع سنين تردّد خلالها إلى حلقات دروس العلمين الجليلين إلى أن احتل والي بغداد مدينة كربلاء المقدّسة، فغادر الشيخ مهجره ونزل الكاظمية، وبقي فيها سنة واحدة، ثمّ هاجر إلى النجف الأشرف، فحضر هناك دروس المحقّق الشيخ موسى كاشف الغطاء قرابة سنتين.

ثمّ غادر العراق متوجهاً إلى موطنه عام ١٢٣٩هـ فمكث فيها مدّة قليلة، ثمّ جاب مدن إيران للاستفادة من علمائها.

ينقل لنا التاريخ انّه بدأ برحلته العلمية من دزفول ونزل في مدينة بروجرد، فحضر بحث الشيخ أسد الله البروجردي (المتوفّى ١٢٧٠هـ) مؤلّف كتاب «فوائد الأحكام» فأقام فيها شهراً تاماً لم يجد فيها بغيته، فغادرها متوجهاً إلى إصفهان يوم كان زعيمها العلمي هو السيد محمد باقر الشفتي (المتوفّى ١٢٦٠هـ) وقد جرت بينه و بين الشيخ مباحثات ومناظرات وقف من خلالها السيّد، على عظمة الشيخ ومكانته وسمو منزلته، فطلب منه الإقامة في إصفهان و إلقاء المحاضرات فيها، لكن الشيخ رجح أن يغادرها ليواصل رحلته العلمية حتى هبط بلدة كاشان التي كان زعيمها العلمي يومذاك هو الشيخ أحمد النراقي (المتوفّى ١٢٤٥هـ) مؤلّف كتاب «مستند الشيعة في أحكام الشريعة» وقد وجد في محاضراته ضالّته، فمكث فيها أربع سنين حضر خلالها دروسه ونبغ في الفقه والأُصول على يديه.

كما اشتغل بالتأليف والتصنيف.

ولما عزم الشيخ على مغادرة كاشان عام ١٢٤٤هـ نال من أستاذه الرؤوف إجازة مفصلة أدّى فيها حقّ الشيخ، ثمّ واصل رحلته العلمية إلى مشهد الرضا عليه السلام، فبقي هناك مدّة ثمّ رجع قافلاً إلى العراق، فهبط النجف الأشرف عام ١٢٤٦هـ، وكانت يومذاك المدرسة الكبرى للشيعة، وكانت الرئاسة العلمية علىٰ عاتق العلمين الجليلين الكبيرين:

١. الشيخ علي بن الشيخ جعفر كاشف الغطاء (المتوفّى ١٢٥٤هـ).

٢. الشيخ محمد حسن صاحب الجواهر (المتوفّى ١٢٦٦هـ).

وقد حضر دروس الشيخ كاشف الغطاء إلى أن استقل بالتدريس وطار صيته في أوساط النجف العلمية، وأقبل علىٰ دروسه بشغف، العديد من العلماء والفضلاء، و اشتهر بالنبوغ والتفوق العقلي.

ولما لبّىٰ الشيخ محمد حسن صاحب الجواهر نداء ربه عام ١٢٦٦ انتخب الشيخ بإيصاء منه مرجعاً للشيعة خضعت له القلوب والأفكار، وانتقلت الزعامة العلمية إليه بلا منازع، وقام بأعبائها بحزم وحكمة و إرادة صلبة إلى أن لبّى نداء ربه ليلة الثامن عشر من شهر جمادى الأُولى من شهور عام ١٢٨١هـ.

هذه إلمامة عابرة، وعرض خاطف لحياة الشيخ الأعظم الذي كرّس حياته في التدريس والتأليف، و إعداد الفضلاء، وتربية المجتهدين، و إرساء دعائم النهضة العلمية الحديثة التي تعد بحق ثورة علمية كبرى قلّما اتّفق نظيرها في العصور السابقة، وقد حفلت كتب التراجم بالثناء عليه و إطرائه وخدماته الجليلة، وتلامذته، والتراث الذي تركه وقد أفردنا رسالة في ترجمته قدس سره.

إبداعاته العلمية

ترك الشيخ آثاراً جليلة لم يزل بعضها مداراً للتدريس في الحوزات العلمية، وأخص بالذكر كتابين قيمين وهبا للشيخ خلوداً في التاريخ، هما:

الأوّل: كتاب «الفرائد» المشهور بالرسائل، وهو يضم رسائل مختلفة تبحث عن أحكام القطع والظن، ثمّ تحدّد مجرىٰ أصل البراءة والاشتغال، وتتطرّق إلى مبحث الاستصحاب، ثمَ إلى أحكام التعادل والتراجيح، وقد علّق عليه تعاليق كثيرة تربو على سبعين تعليقة.

والحقّ انّ الشيخ خدم العلم وأهله بهذا الكتاب القيّم خدمة عظيمة لما قدم لأبناء جيله من أفكار.

١. تحرير أحكام القطع والظن، وقد قسّم الظن إلى ظن خاص وظن مطلق، وأعطى لكلّ حكمه.

٢. قام في رسالة البراءة والاشتغال بتبيين مجاريها، وقد كانت غير منقّحة ومهذّبة في كلمات السابقين، و انّهم ربما كانوا يحتجّون بالبراءة بدل الاشتغال مع أنّ المحل كان مجرى للثاني وبالعكس. فهذّب الشيخ مجاري الأصلين بوجه لا يختلط أحدهما بالآخر.

٣. قرّر موقف الدليل الاجتهادي من الأصل العملي وبالعكس، وانّهما لا يُحتَجّان بهما معاً وإن كان مضمونهما واحداً.

وهذا الأمر وإن كان موروثاً عن المحقّق البهبهاني إلاّ أنّ الشيخ بعقليّته الخلاّقة طرح تقسيماً جديداً لتقديم الدليل الاجتهادي على الأصل العملي، وأسماها بالشكل التالي: التخصيص والتقييد، الحكومة ، الورود.

٤. قام في رسالة الاستصحاب بعقد تنبيهات بعد الفراغ من إثبات حجيته عن طريق الأخبار، أودع فيها أفكاره الأبكار وآراءه البديعة، فمن راجعها يقف على أنّه المؤسس لكثير من القواعد الواردة فيها و إن كان لبعضها خلفيات في كلمات المتقدمين عليه.

وخلاصة الكلام أنّه ﷺ أحدث الإبداعات التالية:

١. مبحث الاستصحاب الكلي.

٢. مبحث الاستصحاب التعليقي.

٣. مبحث الأصل المثبت.

٤. مبحث بقاء الموضوع في المستصحب.

٥. مبحث دوران الأمر بين التمسك بالعام أو استصحاب حكم المخصّص.

٦. مبحث تقدّم الأصل السببي على المسببي.

وبعين الله انّ ما استعرضه في هذه الفصول الستة تعد أفكاراً أبكاراً لم تقرط بها أُذُن الدهر قبل ذلك.

الثاني: كتاب «المكاسب»، هذا هو الكتاب الثاني الذي تدور حوله حلقات الدراسة والبحث في الحوزات العلمية الشيعية.

يبحث فيه عن أحكام المكاسب المحرّمة بأنواعها المختلفة:

ثمّ عن أحكام البيع بمختلف فصوله.

ثمّ عن أحكام الخيارات بأقسامها المختلفة.

ثمّ عن الشروط الشرعية وغيرها.

ثمّ عن أحكام القبض والنقد والنسيئة.

ففيها دقائق علمية تعرب عن أنّ الكتاب وليد فكر خارق العادة، والمؤلف لا يغوص في بحار الفقه إلاّ ويخرج بالدرر والدراري والجواهر الثمينة، وقد قال الدكتور السنهوري في حقّه: لو وقفت على كتاب «المكاسب» للشيخ الأنصاري قبل تأليفي لكتاب الوسيط لغيّرت كثيراً من الأُسس التي بنيت عليها، وللكتاب تعاليق ربما تربو على ٣٠ تعليقة، أفضلها تعليقة السيد محمد كاظم الطباطبائي اليزدي (المتوفّى ١٣٣٧هـ).

والكتاب لم يزل محور الدراسات في الأُصول والمعاملات إلىٰ يومنا هذا أودع فيه حصيلة أفكاره وإبداعاته.

قال المحدّث النوري وهو أحد تلاميذه: قد عكف علىٰ كتبه ومؤلّفاته وتحقيقاته كلّ من نشأ بعده من العلماء الأعلام والفقهاء الكرام الذين صرفوا هممهم وبذلوا جهودهم وحبسوا أفكارهم فيها وعليها.[1]

تلاميذه

كان الشيخ يلقي دروسه في الجامع الهندي في النجف الأشرف، ويغص فضاؤه بما ينوف على الأربعمائة من العلماء والطلاب، وقد تخرج عليه عدد كبير من الفقهاء والمجتهدين الذين تسلّموا منصة الرئاسة العلمية والزعامة الدينية فيما بعد، وقد أنهى بعضهم أسماء تلاميذه فبلغوا ٣١٥ مجتهداً عالماً، وسنشير هنا إلى أسماء مشاهيرهم الذين لعبوا دوراً هاماً في حفظ التراث الفكري الذي خلّفه الشيخ الأنصاري وتطويره وإكماله وهم كثيرون.

١. مستدرك الوسائل: ٣/ ٣٩٢.

١. السيد حسين الكوهكمري (المتوفّى ١٢٩٩هـ)

هو السيد حسين بن السيد محمد بن السيد حسن بن السيّد حيدر التبريزي الكوهكمري، تلقّى المقدّمات في بلدة تبريز، وحضر بحوث العلاّمة الميرزا أحمد المجتهد التبريزي، ثمّ غادرها صوب النجف الأشرف فحضر بحث الأعلام الثلاثة:

أ. الشيخ محمد حسين الاصفهاني (المتوفّى ١٢٦١هـ) المعروف بصاحب «الفصول».

ب. السيد إبراهيم القزويني (المتوفّى ١٢٦٤هـ) صاحب «الضوابط».

ج. الشيخ محمد حسن النجفي (المتوفّى ١٢٦٦هـ) صاحب«الجواهر».

ثمّ لازم بحوث شيخنا الأنصاري وصار من أقرب تلامذته وقد استقل بالتدريس بعد رحيل أُستاذه إلى أن صار مشاراً إليه بالبنان وكان يحضر مجلس درسه عدد غفير من العلماء الفضلاء يتجاوز ٦٠٠، بين فاضل وعالم، ومن أفاضل تلامذته العلاّمة الشيخ موسى التبريزي (المتوفّى ١٣٠٧هـ) مؤلف كتاب «أوثق الوسائل في شرح الرسائل» والعلاّمة الشيخ محمد حسن المامقاني (المتوفّى ١٣٢٣هـ) مصنف «الذرائع»و التعليقة على المكاسب.

تُوفّي السيد الكوهكمري عام ١٢٩٩هـ وله من الآثار: كتاب «الإجارة»، كتاب «الإرث»، «الحج»، «الزكاة»، «الصلاة»، «القضاء»، «مقدّمة الواجب»، و«الاستصحاب».

٢. السيد المجدّد الشيرازي (١٢٣٠ـ١٣١٢هـ)

السيد المجدّد ميرزا حسن الشيرازي الذي كان من أشهر تلامذة شيخنا

الأنصاري، وصـار زعيماً للطائفة بعد رحيلـه، ولد في مدينة شيراز عـام ١٢٣٠هـ بـدأ فيها بتعلـم المقـدّمات، ثـمّ غـادر مسقـط رأسه متـوجهـاً إلى إصفهان عـام ١٢٤٨هـ وحضر هنـاك درس الشيخ محمـد تقي الاصفهـاني صاحـب «هدايـة المسترشديـن» والشيخ محمـد إبراهيم الكلبـاسي مؤلّـف كتاب «الإشـارات»، ثمّ غادرها إلى النجف الأشرف عام ١٢٥٩هـ فحضر بحـوث الشيخ حسن كاشف الغطاء والشيخ محمد حسن صاحب الجواهـر، ولمّا لبّىٰ صاحب الجواهر دعوة ربّه عام ١٢٦٦هـ اتجهت الأنظار صوب الشيخ الأنصاري فالتحق به وحضر دروسه ولازمه حتى ارتحل الشيخ إلى جوار ربّه عام ١٢٨١هـ ولم يلبث حتى صار مرجعاً دينياً وأُستاذاً في الفقـه والأُصول، التف حولـه عدد غفير من الفضلاء ومـن يشار إليهم بالبنان، وعلى أثر نشوب القلاقل والفتن غادر السيد النجف الأشرف وألقى الرحل في سامراء، فأسس فيها حوزة علمية كبيرة تقاطر إليها الفضلاء والعلماء من كل صوب وحدب، وذاع صيته في الأوساط الإسلامية.

تخرّج على يديه لفيف من المجتهدين الذين ساروا على نهجه وصاروا مراجع للفتيا وأساتذة للفقه والأُصول فيما بعد.

ولم يترك تأليفـاً في الفقه و الأُصول، واعتذر عـن ذلك بأنّ في كتـب أُستاذه الشيـخ الأنصاري غنـى وكفـايـة، ولكـن دوّنـت لـه تقريـرات ومحاضرات نشرت بعضها.

٣. ميرزا أبو القاسم النوري الطهراني (١٢٣٦ـ١٢٩٢هـ)

هو الشيـخ أبو القاسـم النوري الطهـراني، رجل العلم والفضيلـة، والقلم والبيان، الأوحدي في تلاميذ شيخنا الأنصاري، حضر مبحثه سنين متمادية إلى أن بعثه أُستاذه إلى طهران بغية إقامة الـدروس والمحاضرات فيها، ولمّا هبط العاصمة

اشتغل بمهمته وربّى جيلاً فيها، وله من الآثار «مطارح الأنظار» الذي هو تقرير لبحوث أُستاذه الأُصولية في مباحث الألفاظ.

وكوَّن هذا الكتاب إذا ضم إلى كتاب «الفرائد» دورة أُصولية كاملة، توفي عام ١٢٩٢هـ ورثاه ولده العلاّمة الميرزا أبو الفضل الطهراني بقصيدة مطلعها:

دع العبث والآمال واطو الأمانيا فما أنت طول الدهر والله باقيا

رمى الدهر من سهم النوائب ماجداً أعز كريماً طاهر الأصل زاكيا

٤. ميرزا حبيب الله الرشتي (١٢٣٤ـ١٣١٢هـ)

هو الشيخ حبيب الله بن محمد علي الرشتي، أحد الأكابر من تلاميذ شيخنا الأنصاري، تلقّى دروسه في مسقط رأسه رشت، ثمّ ارتحل إلى قزوين، فمكث فيها مدّة حتى برز في الفقه والأُصول، ثمّ غادرها إلى النجف الأشرف فحضر درس صاحب الجواهر، ولمّا توفي أُستاذه تردّد إلى أندية دروس شيخنا الأنصاري، وقد وقف على منزلته ومكانته في العلم ولازمه طيلة عمره، ولما لبّى شيخنا الأنصاري دعوة ربّه استقل بالتدريس والتأليف، وله آثار في الفقه والأُصول أهمها:

١. «بدائع الأُصول» في أُصول الفقه مطبوع.

٢. «المشتق» مطبوع أيضاً.

٣. «القضاء والشهادات» طبع في جزءين.

٤. «الإجارة» طبع في جزء واحد.[1]

---

١. له ترجمة ضافية في مقدّمة كتابه «القضاء» بقلم السيد أحمد الحسيني.

٥. الشيخ محمد حسن الآشتياني (١٢٤٨-١٣٢٠هـ)

هو الشيخ محمد حسن بن جعفر الآشتياني الطهراني من تلامذة شيخنا الأنصاري، ومن مشاهير علماء طهران وأعلمهم في عصره.

ولد في ناحية آشتيان حدود ١٢٤٨ هـ فتعلم القراءة والكتابة، ثمّ انتقل إلى بروجرد وكانت يومذاك دار العلم، وبقي فيها أربع سنين، ثمّ غادرها إلى النجف الأشرف، وحضر هناك دروس العلّامة الأنصاري ولازمه طيلة عمره.

ولما ارتحل أُستاذه غادر النجف الأشرف وهبط طهران العاصمة، وأصبح فيها زعيماً ومدرّساً كبيراً، عكف على دروسه عدد غفير من روّاد العلم.

ومن آثاره العلمية: تعليقته على الرسائل المطبوع باسم «بحر الفوائد» وهو أحد الثلاثة - بعد الشيخ أبي القاسم كلانتر و المجدّد الشيرازي - الذين نشروا أفكار شيخنا الأنصاري وحقّقوها و بيّنوها.

٦. الشيخ محمد رضا الهمداني (١٢٥٠-١٣٢٢هـ)

الشيخ محمد رضا بن الشيخ محمد هادي الهمداني النجفي، من أجلّة الفقهاء الورعين، ومن الأُصوليين المحقّقين، ومن مشاهير فقهائنا العظام، أخذ المبادئ والسطوح في مدينة همدان، ثمّ غادرها إلى النجف الأشرف، فحضر دروس شيخنا المحقّق الأنصاري، ثمّ السيد محمد حسن المجدّد الشيرازي.

يعرّفه شيخنا الطهراني بقوله: كان من أجلّة الفقهاء، هاجر إلى سامراء، فلازم درس السيد المجدّد الشيرازي سنين طوال إلىٰ أن عاد إلى النجف في حياة أُستاذه، فالتف حوله جمع من أهل الفضل و اشتغل بالتدريس والتأليف، وكان ذا

اطّلاع واسع في الفقه وأُصوله.[١]

ويعد كتابه «مصباح الفقيه» الذي كتبه شرحاً مزجياً على كتاب «شرائع الإسلام» للمحقّق الحلّي، من جلائل الكتب في الفقه الاستدلالي في القرن الرابع عشر، ولا تجد له مثيلاً بين ما أُلّف في هذا القرن؛ خرج منه كتاب الطهارة والصلاة والزكاة والخمس وكتاب الصوم والرهن، وهو في باب العبادات يعادل كتاب المكاسب في المعاملات.

ولعمر القارئ انّ شيخنا المحقّق الهمداني جمع بين عذوبة القلم ووضوحه، والدقة والعمق في الموضوع، فالقارئ كلّما يسبر في رياضه ويسبح في حياضه لا يكلّ ولا يمل، وكأنّه يتكلّم مع القارئ بلسان ذلق وبيان واضح مع التدقيق والتحقيق، والكتاب من حسنات الدهر، يعد محوراً للبحوث العليا في الفقه. وكان سيدنا المحقّق البروجردي يعظّمه ويجلّله ويثني عليه في دروسه. وله وراء المصباح كتب أُخرىٰ أهمها تعليقته على الفرائد، وقد طبع في جزء واحد.

٧. السيد محمد كاظم الطباطبائي اليزدي[٢] (١٢٤٧ـ١٣٣٧هـ)

هو السيد محمد كاظم بن السيد عبد العظيم الطباطبائي اليزدي النجفي، أحد الفقهاء الكبار في القرن الرابع عشر، والمرجع الديني الأعلى بعد رحيل شيخنا المحقّق الخراساني، تتلمذ على يد الشيخ محمد باقر بن الشيخ محمد تقي صاحب الحاشية على المعالم في إصفهان إلى أن غادرها عام ١٣٨١هـ إلى النجف الأشرف، وقد وصل إليه نعي شيخنا الأنصاري وهو في طريقه إلى النجف، فحضر بحث

---

١. نقباء البشر: ٢/ ٧٧٦.

٢. كان المفروض تأخير ترجمته على ترجمة المحقّق الخراساني، ولمّا كان للثاني دور فعال في تخريج جيل من العلماء الفطاحل آثرنا تأخير ترجمة الثاني ليتسلسل ترجمة الأُستاذ و تلاميذه.

السيد المجدّد الشيرازي، واستقل بالتدريس بعد رحيله، وكان معاصراً للشيخ الهمداني، وقد تألّق نجمهما في سماء الفقه.

وقد ترك في الفقه تراثاً فكرياً قيماً، نشير إلىٰ قسم من تآليفه:

أ. تعليقته علىٰ مكاسب الشيخ الأنصاري، طافحة بالتحقيق والتدقيق، وقد صدر عنه أكثر من علق بعده علىٰ مكاسب الشيخ.

ب. العروة الوثقىٰ المشتملة على الفروع التخريجية في الكتب التالية: الطهارة، الصلاة، الصوم، الخمس، الزكاة، الحج، النكاح لم يؤلف مثله، وقدعلق عليه كلّ من جاء بعده.

ج. التكملة على العروة الوثقى في جزءين، وهو كتاب استدلالي يبحث في القضاء على وجه التفصيل ويشتمل على كتب فقهية أُخرى من كتب المعاملات.

توفي ﵀ عام ١٣٣٧ هـ في النجف الأشرف، ودفن في الصحن الحيدري.

٨. المحقّق الخراساني (١٢٥٥ـ١٣٢٩هـ)

هو الشيخ محمد كاظم الخراساني الهروي، ولد عام ١٢٥٥ هـ واشتغل في خراسان بتعلم المقدّمات، ثمّ انتقل إلى مدينة سبزوار للاستضاءة من دروس الحكيم المتألّه الشيخ محمد هادي السبزواري (المتوفّى ١٢٧٨هـ)، فبقى هناك مدة إلى أن أعدّ العدّة للسفر إلى النجف الأشرف، فحضر بحوث العلاّمة الأنصاري، ولمّا لبى الأُستاذ دعوة ربّه حضر بحوث السيد المجدّد الشيرازي.

ويعد شيخنا هذا الحلقة الأخيرة من تلامذة الشيخ الأنصاري، وهو في الوقت نفسه أضاف إلى ما استفاده من أفكار شيخه الأنصاري، إبداعات وابتكارات جديدة جعلته صاحب منهج متكامل في الأُصول، وصاحب مدرسة

خاصة به، ولولا انّ إبداعاته قد اقتصرت على الأُصول ولم تشمل الفقه إلاّ شيئاً يسيراً لجعلناه مبدأ دور جديد.

كان شيخنا المحقّق الخراساني من أعاظم المدرسين يحضر في محاضراته أكثر من ألف طالب، كما ذكره شيخنا الطهراني في «الذريعة» [1] حيث قال: وقد سمعت ممّن أحصى تلاميذ شيخنا الأُستاذ الأعظم المولى محمد كاظم الخراساني في الدورة الأخيرة انّه زادت عدّتهم على الألف والمائتين، وكان كثير منهم يكتب تقريراته، ورأيت تقريراتهم الكثيرة في الكراريس والمجلدات.

ولقد خلّف شيخنا الخراساني ثروة علمية، منها: «كفاية الأُصول» الذي عليه محور البحث و الدراسة في الحوزات العلمية، وقد كتب عليها تعليقات وشروح كثيرة.

وتلاه تعليقته على الرسائل، وتعليقته على المكاسب، والكتاب الثالث يتمتع بتحقيق رائع وعمق واسع.

ابداعاته الأُصولية

ثمّ إنّ شيخنا المحقّق الخراساني يتفق مع شيخه الأنصاري في قسم من المسائل فمثلاً: اتفق معه في عدم صحّة أخذ قصد الأمر في متعلّقه، لمشاكل في الأخذ، ولكن يختلف معه في كثير من المباحث الآتية:

١. انّ الشرط في الواجب المشروط قيد للهيئة عند المحقّق الخراساني، وهو قيد للمادة عند شيخنا الأنصاري.

٢. العام بعد التخصيص مجاز عند الشيخ الأنصاري، وهو حقيقة عند

---

١. الذريعة: ٤/ ٣٦٦، مادة التقريرات.

المحقّق الخراساني.

٣. تقوم الأمارة مقام القطع الموضوعي الطريقي بنفس دليل حجّيتها عند الشيخ الأنصاري، وليس كذلك عند المحقّق الخراساني.

٤. الأُصول العملية لا تجري في أطراف العلم الإجمالي عند الشيخ الأنصاري لاستلزامه وجود التناقض في دليلها، أعني قوله عليه السلام: «لا تنقض اليقين بالشك ولكن انقضه بيقين آخر».

وليس كذلك عند المحقّق الخراساني، فهو يشاركه في عدم الشمول، لكن لا لأجل التناقض في مدلول دليل الاستصحاب بل لأجل تعارض الأصلين.

٥. يفسّر الشيخ الأنصاري الإمكان في قولهم إمكان التعبّد بالأمارات بالإمكان الاحتمالي، بينما المحقّق الخراساني يفسّره بالإمكان الوقوعي بمعنى عدم ترتب المفسدة على إمكان التعبد به.

٦. الاستصحاب عند الشيخ الأنصاري حجّة في الشكّ في الرافع، وليس حجّة في الشك في المقتضي، ولكنّه حجّة مطلقاً عند المحقّق الخراساني.

٧. الأحكام الوضعية انتزاعية عند شيخنا الأنصاري كالسببية والشرطية والجزئية والمانعية، ولكنّها على أقسام ثلاثة عند المحقّق الخراساني.

٨. انّ الشيخ الأنصاري يقسم المكلّف الملتفت إلى أقسام ثلاثة: قاطع، وظان، وشاك في الحكم؛ بينما المحقّق الخراساني جعل التقسيم ثنائياً لا ثلاثياً، وذلك لأنّ الظن لو كان حجّة يدخل تحت القطع بالحكم الظاهري، وإن لم يكن حجّة فيدخل تحت الشك.

إلى غير ذلك من الفروق بين الأُستاذ والتلميذ في الآراء والمباني.

***

انتقل شيخنا المحقّق الخراساني إلى رحمة الباري أواخر عام ١٣٢٩هـ ولكنّه ربّى جيلاً كبيراً من فطاحل الفقه والأُصول، ولكلّ دور فعّال في تطوير الفقه والأُصول.

٩. ميرزا محمد حسين النائيني (١٢٧٤ـ١٣٥٥هـ)

أحد أقطاب العلم في النجف الأشرف، ورافع راية الاجتهاد بعد رحيل أُستاذه المحقّق الخراساني، وقد استقل بالتدريس و إلقاء المحاضرات بعد رحيله قرابة ربع قرن، فتخرج على يديه جمع غفير حملوا أفكاره وصاروا مراجع للعلم والفكر بعده.

ترك شيخنا النائيني تراثاً علمياً إمّا بقلمه الشريف، كرسالة «في حكم اللباس المشكوك» أو بقلم تلامذته، فإنّ أكثر أفكاره في الفقه و الأُصول دوّنت بقلم لفيف منهم، و من تلك الآثار:

أ. «فوائد الأُصول» بقلم الشيخ محمد علي الكاظمي (١٣٠٩ـ١٣٦٥هـ) في أربعة أجزاء.

ب. «أجود التقريرات» بقلم المرجع الديني الأعلى السيد أبو القاسم الخوئي (١٣١٧ـ١٤١٣هـ) في جزءين.

ج. «منية الطالب في أحكام المكاسب» في جزأين بقلم العلاّمة الشيخ موسى الخوانساري (١٣٠٣ـ ١٣٦٥هـ).

وقد كانت الحوزات العلمية الشيعية عامرة بفضل أفكار مترجمنا وتلاميذه، وكان السيد الخوئي أحد أبرز تلاميذه إذا جلس على منصة التدريس لا يبدأ بالدرس إلاّ بعد قراءة الحمد على روح أُستاذه المحقّق النائيني أداءً لبعض حقوقه.

١٠. ضياء الدين العراقي (١٢٧٨ـ١٣٦١هـ)

هو الشيخ ضياء الدين بن محمد العراقي النجفي، من أكابر تلاميذ شيخنا المحقّق الخراساني، قد عرف بالذكاء المفرط منذ صباه، حضر بحوث أُستاذه المحقّق الخراساني وعلا أمره، وعرف بالتحقيق والتدقيق، تخرج على يده عدد كبير من المجتهدين العظام، منهم: العلاّمة المرجع الأعلى السيد محسن الحكيم (١٣٠٦ـ١٣٩٠هـ)، والسيد المحقّق العلاّمة السيد حسن البجنوردي (١٣١٦ـ١٣٩٦هـ) صاحب كتاب القواعد الفقهية.

ترك شيخنا ثروة علمية في الأُصول باسم «المقالات الأُصولية»، ودورة فقهية استدلالية، وقد طبع بعض أجزائها، وهو أحد الأعاظم القلائل الذين دوّنوا دورة كاملة في الفقه.

وقد دوّن تلاميذه أفكاره باسم التقريرات، أذكر منهم:

١. «بدائع الأفكار» للعلاّمة الشيخ ميرزا هاشم الآملي (١٣٢٣ـ ١٤١٤هـ) في أربعة أجزاء.

٢. «نهاية الأفكار» للعلاّمة الشيخ محمد تقي البروجردي (١٣١٦ـ ١٣٩١هـ)وهي دورة كاملة لدروس أُستاذه العراقي في الأُصول، وطبع منه في حياته المباحث العقلية ضمن الجزءين الثالث و الرابع من الكتاب، ثمّ طبع الجزءان الأوّلان في مجلد واحد.

١١. الشيخ محمد حسين الإصفهاني (١٢٩٦ـ١٣٦١هـ)

هو الشيخ محمد حسين بن محمد حسن الاصفهاني النجفي من تلامذة شيخنا المحقّق الخراساني، وهو حكيم متألّه، وأُصولي بارع، وفقيه مدقّق، عكف

على كتبه ودروسه لفيف من الفضلاء العلماء، وربّى جيلاً كبيراً، منهم:

الف. السيد العلاّمة محمد حسين الطباطبائي (١٣٢١-١٤٠٢هـ) الغنيّ عن الاطراء والتعريف صاحب كتاب «الميزان في تفسير القرآن».

ب. العلاّمة السيد محمد هادي الميلاني (١٣١٣-١٣٩٤هـ): كان رحمه الله آية في الذكاء والدقّة، وله آثار فقهية مطبوعة وغير مطبوعة، وكان زعيماً علمياً في خراسان منذ هبوطه بها عام ١٣٧١هـ.

ج. الشيخ محمد رضا المظفر (١٣٢٢-١٣٨٤هـ).

وقد ترك ثروة علمية نذكر منها ما يلي:

١. «نهاية الدراية في شرح الكفاية» طبع في جزءين.

٢. التعليقة على مكاسب الشيخ الأنصاري في جزء واحد.

٣. الاجتهاد والتقليد والعدالة.

إلى غير ذلك من الآثار العلمية المذكورة في ترجمته. [١]

١٢. السيد أبو الحسن الإصفهاني (١٢٨٤-١٣٦٥هـ)

هو السيد أبو الحسن الإصفهاني زعيم الشيعة في وقته، ومن أشهر مراجعهم وفقهائهم، أتقن المقدّمات في إصفهان، ثمّ هاجر إلى النجف الأشرف، وحضر بحث شيخنا المحقّق الخراساني، واستقل بالتدريس بعده، ورزق ذاكرة وقّادة قلّما ير مثله عند أقرانه.

ويعد كتابه «وسيلة النجاة» دورة فقهية كاملة، يشمل عامة الكتب الفقهية

١. له ترجمة ضافية في مقدمة كتابه «تحفة الحكيم» و «الأنوار القدسية» و «تعليقته على المكاسب»، فقد قام الشيخ محمد علي الأردوبادي، والشيخ المظفر بترجمة أُستاذهما.

غير القضاء والشهادات والحدود و الديات، وله حقّ عظيم على الحوزة العلمية في النجف الأشرف، وقد تسلّم مقاليد الزعامة في عصر عصيب وزمان كثرت فيه الاضطرابات.

١٣. الشيخ عبد الكريم الحائري (١٢٧٤ـ١٣٥٥هـ)

هو الشيخ عبد الكريم بن محمد جعفر اليزدي الحائري، تلقّى المقدّمات في مدينة يزد، ثمّ غادرها إلى النجف الأشرف، فحضر بحث أُستاذه السيد محمد الفشاركي (المتوفّى ١٣١٥هـ) والمحقّق الخراساني، ثمّ استقل بالتدريس.

ثمّ إنّه ﷺ غادر العراق ونزل مدينة أراك عام ١٣١٦هـ فمكث فيها إلى سنة ١٣٢٤هـ، وقد كان لإقامته في تلك المدينة أثر بالغ في تربية جيل جديد للفقه والأُصول، ولكنّه سرعان ما انتقل إلى النجف الأشرف عام ١٣٢٤هـ ولما قامت الحركة الدستورية انشقت عصا الوحدة بين العلماء، فآثر شيخنا مغادرة النجف والإقامة في كربلاء المقدسة البعيدة عن هذه الأجواء السياسية ، ولما كثرت عليه الطلبات للعودة إلى «أراك» والقيام بوظيفته الرسالية السابقة غادر الحائر الشريف عام ١٣٣٢هـ فهبط مدينة «أراك» وأخذ بالتدريس والتربية إلى عام ١٣٤٠هـ ، وفي هذ السنة غادر المدينة فهبط مدينة قم حيث عزم الإقامة فيها.

***

جامعة قم وعطاؤها

إنّ مدينة قم المقدسة كانت بلدة عامرة بالعلم والفقه منذ القرن الثاني إلى أواخر القرن الرابع، حيث اكتظت بعباقرة الحديث والفقه والرجال، ومنها انتشر العلم إلى سائر الأمصار.

فالمحدّثون القميّون عرفوا في سماء الحديث والفقه، وكفاك أنّ إبراهيم بن هاشم، وابنه علي بن إبراهيم، وأحمد بن محمد بن خالد البرقي، وأحمد بن محمد بن عيسى الأشعري، ومحمد بن أحمد بن عمران الأشعري، وغيرهم من جهابذة الحديث والفقه خرّيجو مدرسة قم، وتركوا مصنّفات ثمينة بقيت مصونة عن حوادث الزمان.

لم يبق تألّق نجم العلم في هذه البلدة على منوال و احد، بل كان له طلوع وغروب مرّة تلو أُخرى، إلى أن ساق القضاء رجل العلم والفضيلة، مثال الزهد والتقوى، آية الله العظمى الشيخ عبد الكريم الحائري اليزدي ـ قدّس الله سرّه ـ إليها عام ١٣٤٠هـ فقام بتأسيس الحوزة العلمية فيها، ونفض الغبار عن كاهل حوزتها، ونفث روحاً جديدة في عروقها، في حين كانت رياح الضلال تعصف في أرجاء العالم كلّه، ووقعت إيران العزيزة في مهب رياحه، لكن شاءت الأقدار الإلهية أن تكون تلك الحوزة العلمية سدّاً منيعاً أمام التيارات الإلحادية، ووتداً راسخاً يحول دون الهزة العلمانية، فأضحت مناراً فيّاضاً يشع نوراً وهداية في قلب الأُمّة الإسلامية على وجه تمثل قول أئمّة أهل البيت عليهم السلام في حقّ هذه البلدة الطيبة: «منها يفيض العلم».

هبط المؤسس آية الله الحائري مدينة قم في ٢٢ من شهر رجب المرجب من شهور عام ١٣٤٠هـ وتقاطر روّاد العلم إليها من كلّ فجّ عميق، فانتعش العلم ببركته، وخرّج طليعة من روّاد العلم والعلماء إلى أن لبّىٰ نداء ربّه في أواخر سنة ١٣٥٥هـ وبذلك فقدت الحوزة العلمية زعيمها ومؤسسها، ولكن دام عطاء الحوزة العلمية علىٰ يد تلامذته، فقاموا برعاية الجامعة العلمية بعد رحيله على أحسن ما يرام، وأخذوا بزمام الأُمور بعزم سديد، ويد من حديد في جو مشحون بأنواع من المحن والشدائد التي كادت أن تقلع جذور تلك الشجرة المباركة

الطيبة، ولا غرو أن نـذكر أسماءهم إجلالاً للجهود الثمينـة التي بذلوهـا والعناية التي أولوها:

١. آية الله السيد محمد الحجة (١٣٠١ـ١٣٧٢هـ).

٢. آية الله السيد صدر الدين الصدر (١٢٩٩ـ١٣٧٣هـ).

٣. آية الله السيد محمد تقي الخوانساري (١٣٠٦ـ١٣٧١هـ).

وهؤلاء الأقطـاب الثلاثـة كانوا مـراجع العلـم وأساتـذة الحوزة وزعماءها، صابريـن على المحن و الكوارث، غيرمكترثين بما ينتابهم مـن صروف الدهر، وغير الزمان، مجابهين ضـوضاء الباطل بحكمة عمليـة وعظة بالغة. وفي الختام نـذكر ما تركه شيخنا ـ المترجم له ـ من آثـار علمية في الفقه والأُصول، ونخص منها بالذكر كتابين مهمين:

أ. «درر الفوائد» وهـي دورة أُصولية كـاملة كان عليـه مدار تدريسـه، وقد طبع في جزءين، وللمؤلّف على الكتاب تعليقات علّقها حسب ما بدا له من الآراء الجديدة في خلال دوراته الأُصولية.

ب. كتاب «الصـلاة» وهو و إن اختص بكتاب الصـلاة، ولكنّ فيه بحـوثاً علميـةً تتمتع بـالعمـق، يستفيد منهـا القـارئ في أبـواب أُخر، وقـد كـان سيدنـا البروجردي ـ حسب ما سمعته منه شفهياً ـ يثني عليه بأنّه مع الاختصار قل نظيره بين مؤلّفات المعاصرين متضمن لمطالب كثيرة.

ثـمّ أُتيحت لشيخنـا المترجم فـرصة تـربية جيـل كبير من الفقهـاء الذيـن أضحوا فيما بعد عمد الدين، وأساطين الحوزة، ومراجع للفقه والأُصول، ولا يمكن في هذه العجالة الإشـارة إلى أسمائهم، وكفانا في ذلك ما أُلّـف في هذا المجال من الرسائل والكتب، وقد غطىٰ البلاد جـل المتخرّجين من هذه الحوزة، فما من مدينة

إلاّ وفيها خرِيج مـن هذه الحوزة المباركة من تلامذتـه، أو من المتخرجين على يدي تلامذته، منهم: الإمام الخميني، وسيد الطائفة آية الله الكلبايكاني، وشيخ الفقهاء آية الله الأراكي ﷺ.

١٤. السيد حسين البروجردي (١٢٩٢ـ١٣٨٠هـ)

هو السيد حسين بن السيد علي بن السيد أحمد بن السيد علي نقي بن السيد جواد، أخو بحر العلـوم، ولد في بيت عريق في العلم والفضـل، وتلقّى المقدّمات في موطنه ثمّ غـادر إلى إصفهان يوم كانت حوزة علمية كبيرة تكتـظ بأساتذة ذوي اختصاص في المعقـول والمنقـول عام ١٣٠٩هـ، فبقي فيـها إلى سنة ١٣١٨هـ ثمّ غادرها متوجّهاً إلى النجف الأشرف، فحضر بحث المحقّق الخراساني ما يقرب من عشر سنين.

وقد شهـد له أُستـاذه بالعلـم والفقاهة، فلمّا هبـط سيدنـا المترجم مـوطنه، عكف على دراسـة الفقه و الأُصـول والرجال وغيرهـا بعيداً عـن الأجواء المتـوترة، فصار ذا منهـج في استنباط الأحكـام وعلم الـرجال، ذا أفكـار رائعة في المسـائل الأُصولية، قام ﷺ بتدوين الرجال على حسب الطبقـات، فهو أوّل من أحيـا ذلك المنهج بعد صاحـب «جامع الرواة» وإن كان هناك فـرق بينهما في الإحاطة وكيفية العـرض، وفي مستهل سنـة ١٣٦٤هـ غـادر مسقط رأسـه إلى قم بعـد فترة قصيرة قضاها في طهران لتدهور حالته الصحية، فاستقبله العلماء بحفاوة بالغة، فعادت روح جـديدة في عـروق الحوزة، وتجسّـدت الآمـال الكبيرة في شخصه وشخصيتـه وزعامته.

قام السيد بإلقاء الدروس ورعايـة الحوزة إلى أن هزّ البلاد الإسلامية نبأ وفاة زعيم الشيعـة آية الله العظمـى السيد أبـو الحسن الإصفهـاني، في الثامـن من ذي الحجـة الحـرام من شهـور عام ١٣٦٥هـ (رضـوان الله عليه) ومنـذ ذلك الحين

استقطب أنظار الشيعة في كل أرجاء المعمورة، وتجسدت فيه الزعامة الدينية للشيعة الإمامية.

وكان ذا ولع خاص بإلقاء الدروس والمحاضرات، وتربية الفقهاء بالرغم من قيامه بأعباء الزعامة.

وتعبّر محاضراته الفقهية عن نتاج أفكاره، فتطرق في غير واحد من أبواب الفقه، كالإجازة، والوصية، والصلاة، والخمس، والطهارة، وغير ذلك.

وأمّا أُصول الفقه فقد جعل محور دراستها كتاب «كفاية الأُصول» لأُستاذه المحقّق الخراساني، فألقى محاضرات في معظم مباحث الألفاظ، ثمّ في المباحث العقلية، فأكمل البحث في القطع والظن والبراءة، وشيئاً من مباحث الاشتغال، حتى عاقته أُمور الزعامة عن مواصلتها.

كان السيد البروجردي آية في جل العلوم الإسلامية، فما منعه سبر الغور في الفقه وأُصوله، عن دراسة المعقول والكلام والتاريخ والرجال، وكان هو الدافع الرئيسي لانكباب الفضلاء وعلماء الحوزة على محاضراته، مع أنّهم كانوا في الرعيل الأوّل من الأساتذة.

١٥. السيد الإمام روح الله الموسوي الخميني ﷺ (١٣٢٠ـ١٤٠٩هـ)

هو السيد روح الله بن السيد مصطفى، الزعيم الأكبر، والإمام الأعظم، أحد الشخصيات القلائل التي يضنّ بهم الدهر إلاّ في فترات يسيرة.

والكلام عنه وخدماته الجليلة وآثاره ومعطياته للأُمّة خاصة رهن مقال مسهب بل كتاب مفرد.

تلقى المقدّمات في موطنه «خمين» ثمّ انتقل إلى أراك عام ١٣٣٩هـ يوم كان شيخه المحقّق الحائري زعيماً لحوزة أراك، ولمّا انتقل الأُستاذ إلى مدينة قم غادرها

الإمام الخميني إلى قم، فأقام فيها قرابة ٤٣ سنة أي إلى عام ١٣٨٣هـ، فحضر دروس أُستاذه الحائري في الفقه و الأُصول، كما حضر دروس الشيخ محمد علي الشاه آبادي في المعقول والعرفان، ولم يقتصر نشاطه العلمي على هذين الأُستاذين بل أخذ عن غيرهما و إن كان أكثر استفادته منهما.

ولمّا لبّى المحقّق الحائري نداء ربّه عام ١٣٥٥هـ استقل بالتدريس في كلا المجالين المعقول والمنقول، وربّى جيلاً كبيراً في هذه البرهة، ولمّا حلّ السيد البروجردي بمدينة قم وأضفى على الحوزة نشاطاً علمياً خاصاً، حضر سيدنا الإمام الخميني أندية دروسه حضوراً فعّالاً للاستفادة من منهل علمه ورحيق فكره، وقد كتب من دروس السيد البروجردي شيئاً كثيراً. فكتب محاضراته في علم الأُصول من أوّله إلىٰ حجّية الظن، وفي الوقت نفسه كان يلقي محاضرات في الفقه وأُصوله، وكانت له حوزة فقهية كبيرة تضم عدداً كبيراً من الفضلاء.

ترك سيدنا الإمام الخميني ثروة فقهية كبيرة نشير إلى بعضها:

١. «المكاسب» في خمسة أجزاء تبحث عن: المكاسب المحرّمة، وأحكام البيع، والخيارات. وهي من جلائل آثاره تتمتع بقوة التعبير، وعمق الفكر.

٢. «تحرير الوسيلة»، والأصل للسيد الاصفهاني وقد أكملها السيد الإمام الخميني بتحرير جديد، وصارت رسالة عملية له، وهي تكشف عن إحاطته بالفروع، وقوة عارضه في إرجاعها إلى الأُصول.

٣. «دورات أُصولية» ألقاها في حوزة قم دورة بعد دورة، أوسطها ما حررناها ونشرناها تحت عنوان: «تهذيب الأُصول» في جزءين، وقد أشرف على عامة ما حررته، فصحّح ما طغى عليه الفكر أو زاغ عنه البصر.

٤. وللسيد الإمام الخميني رسائل فقهية وأُصولية أُخرى مذكورة في ترجمته.

وله ﰁ وراء ما ألّفه في الفقه والأُصول تآليف أُخرى في الفلسفة والعرفان والأخلاق وذبّ الشبهات عن حياض الإسلام، فقد كان لكتابه «كشف الأسرار» صدىً واسع في المحافل العلمية والشعبية، ألّفه رداً على بعض الشبهات المطروحة حول الإسلام والتشيّع.

كما انّ لكتابه «مصباح الهداية إلى الخلافة والولاية» مكانة عالية في سماء العرفان قلَّ نظيره.

وقد قام السيد الإمام بقيادة الثورة الإسلامية بعد الإطاحة بنظام الشاه ما يربو على ١١ سنة ألقىٰ خلالها العديد من المحاضرات السياسية والاجتماعية والأخلاقية وقد طبع الجميع باسم «صحيفة النور» في أزيد من عشرين جزءاً.

إنّ شخصية الإمام الخميني شخصية لامعة أثبت بثورته انّ الإسلام دين للماضي والحاضر والمستقبل، وانّه ليس للإنسان المتحضر بدٌّ إلاّ التمسك بأهداب ذلك الدين القيم.

وظل الإمام قائماً بأعباء الزعامة الدينية والسياسية إلى أن وافاه الأجل في ٢٩ من شهر شوال المكرم عام ١٤٠٩ هـ وقد شُيع جثمانه الطاهر تشييعاً جماهيرياً حاشداً قلّما شهد التاريخ مثله.

وأنا شخصياً أرفع أسمىٰ آيات الاعتذار إلى سماحة أُستاذي الكبير الإمام الخميني ﰁ فإنّ ما ذكرته هنا ليست ترجمة لحياته أو إشارة إلى جانب من خدماته، فإنّ هذا رهن كتاب مفرد، وقد قمت بترجمته في مقال مسهب نشر في مجلة «مكتب إسلام» أيام رحيله قد استوفيت فيه بعض الحقّ.

فَسَلام الله عليه يوم ولد ويوم مات ويوم يبعث حيّاً.

١٦. السيد أبو القاسم الخوئي (١٣١٧ـ١٤١٣هـ)

هو السيد الفقيه الكبير، والأُصولي البارع، السيد أبو القاسم بن السيد علي أكبر الخوئي، ولد في مدينة «خوي» إحدى مدن إيران، وانتقل مع والده إلى النجف الأشرف عام ١٣٣٠هـ، فقرأ المقدّمات والسطوح العالية عند أساتذة الفن حتى حضر بحث الشيخ المحقّق شيخ الشريعة الإصفهاني عام ١٣٣٨هـ، ولمّا التحق شيخ الشريعة بالرفيق الأعلى عام ١٣٣٩هـ اختص بشيخيه الجليلين:

أ. الشيخ محمد حسين النائيني (المتوفّى ١٣٥٥هـ).

ب. الشيخ محمد حسين الإصفهاني(المتوفّى ١٣٦١هـ).

فقد عكف على دروسهما، وكتب شيئاً كثيراً منهـا، حتى أصبح أُستاذاً بارزاً يشار إليه بالبنان في الفقه والأُصول، واكتظت دروسه برواد العلم والمعرفة، وأصبح مرجعاً علمياً، وزعيماً دينياً للطائفة الشيعية بعد رحيل السيد محسن الحكيم ﷺ.

إنّ السيد الخوئي كان صاحب مدرسة في الفقه و الأُصول، وقد انتشرت عنه تقريرات ومحاضرات كثيرة لم ينتشر عن أحد قبله، وهذا يعرب عن أنّه كان أُستاذاً مربياً للجيل، حنوناً، وعطوفاً على التلاميذ، يرعاهم ويرشدهم إلى معالم العلم، ويذاكرهم، ولا يمل، ويباحثهم ولا يكل.

أمّا ما انتشر بقلمه، فهو عبارة عن الكتب التالية:

١. «أجود التقريرات» في جزءين، تقريراً لمحاضرات أُستاذه المحقّق النائيني.

٢. رسالة في «اللباس المشكوك» نشر عام ١٣٦١، وهي مفعمة بالتحقيق.

٣. «البيان في تفسير القرآن» وهو أحد المصادر لمن يكتب عن علوم القرآن.

٤. معجم رجال الحديث في ٢٣ جزءاً وهو من حسنات الدهر.

وأمّا ما انتشر بقلم تلامذته فحدث عنها ولا حرج، فقد انتشر منها:

أ. «التنقيح» في سبعة أجزاء، لتلميذه المحقّق ميرزا علي الغروي التبريزي قدّس الله سرّه الشريف.

ب. «مستند العروة» وهو شرح استدلالي على العروة الوثقى.

وأمّا ما انتشر عنه في الأُصول فكثير كـ «مصباح الأُصول»، «المحاضرات» في خمسة أجزاء، وغيرها.

توفي ﷺ عام ١٤١٣هـ في مدينة النجف الأشرف.

يعد السيد الخوئي أحد الأعلام الكبار الذين يقف القلم عند تحليل شخصيتهم، ولنقتصر بما ذكره تلميذه الطائر الصيت الشيخ محمد جواد مغنية حيث يقول:

السيد الخوئي: عالم لم يقف عند جهة واحدة من جهات العلم والفكر، بل أتقن منها ما أتقن، وألمّ بما ألمّ، وأحاط وتعمّق في أشرفها وأعظمها حتى أصبح علماً من أعلامها الأمثلين، ورائداً من روّادها المقلدين، فقد لبث زمناً يدنو من السبعين يتعلم ويعلم ويؤلّف ويخرج العلماء ويناقش الجدد منهم والقدماء.

أمّا أُسلوبه في الجدال والنقاش، فهو أُسلوب سقراط يتجاهل ويتظاهر بتسليم قول الطرف المقابل ثمّ يعرض عليه الشكوك والتساؤلات، ويتصنّع الاستفادة والاسترشاد، وشأن الطالب والتلميذ، حتى إذا أجاب المسكين ببراءة وسذاجة انقض عليه، وانتقل به إلى حقائق تلزم أقواله، ولا يستطيع التخلص منها، ويوقعه في التناقض من حيث لا يشعر، ويحمله قهراً على الاعتراف بالخطأ والجهل.

أمّا الّذين تخرّجوا عليه فلا يعلم عددهم إلاّ الله وحده، ولكنّي على علم اليقين انهم يعدون بالمئات وانّهم يملأون جامعة كبرى ومازالوا على ازدياد، والآن

تنضوي المئات تحت منبره، وفيهم الشيوخ والشباب والأساتذة والطلاب والكثير منهم يهضم أفكاره وآراءه بل و يلتهمها بشوق.[١]

١٧ . السيد محمد رضا الكلبايكاني (١٣١٦ـ١٤١٤ هـ)

هو السيد محمد رضا بن السيد محمد الكلبايكاني، أحد أكابر تلامذة الشيخ عبد الكريم الحائري مؤسس الحوزة العلمية وأحد المراجع الكبار في عصره، قرأ المقدمات في موطنه، ثمّ انتقل إلىٰ مدينة «أراك» عام ١٣٣٦هـ وهو في نهاية العقد الثاني من عمره، وحضر هناك دروس الشيخ الحائري والشيخ محمد تقي الكوكدي، ولما غادر شيخنا المؤسس إلىٰ مدينة قم المقدسة وحط الرحال فيها، التحق به سيدنا المترجم مستفيضاً من دروس أُستاذه الكبير، إلى أن قضىٰ شيخنا الحائري نحبه، فاستقل سيدنا بالتدريس والتأليف.

ولما نزل السيد البروجردي في مدينة قم بدعوة من علمائها لا سيما سيدنا المترجم، أخذ السيّد يتردد إلىٰ اندية دروسه فقهاً وأُصولاً مدّة مديدة ولمّا وافىٰ السيد البروجردي الأجل،عُيّن للمرجعيّة وزعامة الحوزة الدينية وتربية الأفاضل والمجتهدين، وقد تزامنت مرجعيته مع ظهور النهضة الإسلامية الكبرىٰ فساهم فيها مع أُستاذنا الكبير الإمام الخميني ﷺ مساهمة فعّالة بغية ارساء قواعدها، وقد تحمل في هذا السبيل الكثير من الصعاب والمشاق من قبل السلطات الغاشمة.

ولسيدنا المترجم مصنفات ومشاريع خيرية كثيرة، منها:

١ . كتاب الحج، ٢ . ولاية الفقيه، ٣ . الشهادات، ٤ . الدر المنضود في أحكام الحدود، ٥ . نتائج الأفكار، ٦ . كتاب الطهارة.

وهذه كلّها محاضرات ألقاها في أندية دروسه وحرّرها تلامذته الأفاضل.

---

١ . محمد جواد مغنية: من هنا و هناك: ١٥٥ـ١٥٦.

وأما ما يرجع إلىٰ ما ألّفه بقلمه فهو تعليقته على درر الفوائد في علم الأُصول وقد طبع في جزءين.

ومن مشاريعه الخيرية:

١. تأسيس دار القرآن الكريم، ٢. إنشاء مستشفىٰ كبير في مدينة قم، ٣. إنشاء مركز ديني للجاليات الإسلامية في لندن، ٤. إنشاء مساجد عديدة في أنحاء إيران.

كان سيدنا قائماً بأعباء الزعامة إلى أن وافاه الأجل يوم الخميس، الرابع والعشرين من جمادى الآخرة من شهور عام ١٤١٤هـ.

وقد شيّع جثمانه الطاهر تشييعاً جماهيرياً حاشداً، ودفن ـ قدس الله سرّه ـ في حرم السيدة معصومة عليها السلام.

ميزات الدور السابع

١. كان الدور السابع في الحقيقة إكمالاً للأُسس التي ورثها الشيخ الأنصاري وتلاميذه عن المحقّق البهبهاني ومن أعقبه، فإنّ أكثر ما ورد في كلمات علماء هذا الدور تجد لها جذوراً في كتب المحقّق البهبهاني وتلاميذه، ولكن مع فارق جليّ، وهو إعطاء منهجية لتلك الأُصول وتنظيمها بشكل أضفى عليها شكلاً جديداً أصبح بذلك يمثل دوراً علىٰ حدة.

٢. انّ الفقه وإن كان ذا أبواب متعدّدة، كالعبادات والمعاملات والعقود والإيقاعات والسياسات، ولكن فقهاء هذا الدور صبّوا اهتماماتهم على العبادات والعقود بالأخص المعاملات منها، وتجلّى هذا بشكل واضح في كتاب «المكاسب» للشيخ الأنصاري، و«مصباح الفقيه» للمحقّق الهمداني، وتعليقة السيد الفقيه

اليزدي على المكاسب، وكتاب «العروة الوثقى» ولا تجد فقيهاً إلاّ وله تأليف في أحدهما.

وبذلك قلّ التصنيف في الأحوال الشخصية مقارنة بهما وأقل منه ما يرجع إلى الأحكام والسياسات، وذلك لأنّ الفقهاء في أكثر هذه الفترة كانوا بمعزل عن السياسات والأحكام و إجراء الحدود.

نعم بعدما قامت الثورة الإسلامية المباركة في إيران كثر التأليف حول السياسات والأحكام، والركب بعد سائر.

٣. تبويب المسائل الأُصولية بشكل قلّ نظيره في الأدوار السابقة، ثمّ تقسيمها إلىٰ مباحث الألفاظ و المباحث العقلية، وأشبعوا الكلام في الثاني على وجه لم يكن له نظير في السابق.

نعم بعض ما عدّ من مباحث الألفاظ، كباب الملازمات العقلية يلزم أن يعد من المباحث العقلية كما حقّقناه في محله.

٤. ظهور نمط من التأليف في الفقه والأُصول باسم التقريرات، وهو كالأمالي بين القدماء، فإنّ الأُستاذ كان يملي دروسه فيحرره التلميذ، ثمّ ينشر باسم الأُستاذ، كأكثر الأمالي الموروثة من القدماء، وهذا بخلاف التقريرات، فإنّ الأُستاذ يملي والتلميذ يكتب، وينتشر باسم التلميذ مضيفاً إلىٰ أنّ المحتوىٰ من الأُستاذ.

وأمّا عدد التقريرات التي دونت من عصر شيخنا الأنصاري إلى يومنا هذا ممّا لا يحصيه إلاّ الله سبحانه، كما ذكره شيخنا الطهراني في «الذريعة».

٥. ظهور رسائل عملية بلغات مختلفة ليرجع إليها المسلمون في أعمالهم الدينية والدنيوية، وأفضل ما أُلّف في هذا المضمار هو:

أ. «العروة الوثقىٰ» للسيد الفقيه محمد كاظم اليزدي الطباطبائي ﵀.

ب. «وسيلة النجاة» للسيد أبو الحسن الإصفهاني ﵀.

ج. «منهاج الصالحين» للسيد الحكيم ﵀.

د. «تحرير الوسيلة» للسيد الإمام الخميني ﵀.

هـ. «تكملة منهاج الصالحين» للسيد الخوئي ﵀.

و. «توضيح المسائل »وعليها التعليقات.

وخصوصية هذه الرسائل انّها تشتمل على آراء الفقيه بصورة مختصرة دون أن يتطرّق إلى الاستدلال في كافة الجوانب المادية والمعنوية.

الميزة الجامعة بينها هي الدقة والعمق وكثرة التفريع ممّا خلّف تراثاً فقهياً ضخماً تفتخر به الشيعة قلّ نظيره عند المذاهب المختلفة.

المراكز العلمية في هذا الدور

تمتعت أكثر البلدان في هذا الدور بحوزات علمية فقهية كبرى، إلاّ أنّ المراكز المهمة التي نشطت فيها عبارة عن الحوزات التالية:

١. حوزة النجف الأشرف المدرسة الكبرى للشيعة.

٢. حوزة كربلاء المقدسة.

٣. حوزة سامراء.

٤. حوزة إصفهان.

٥. حوزة خراسان.

٦. حوزة تبريز.

وأخيراً حوزة قم التي أسّسها الزعيم الديني الأكبر الشيخ عبد الكريم الحائري تَيْئُ مضافاً إلى الحوزات العلمية للشيعة في الهند وباكستان ولبنان والشام وغيرها التي كانت عامرة بعلمائها وفضلائها، وبذلك لا يتمكن أي أحد من أداء حق هذا الدور على وجه يليق به.

هذه إلمامة عابرة بالأدوار الفقهية للشيعة الإمامية، وكان الطريق وعراً غير مذلّل ولا معبّد لكن سلكناه ـ بفضل الله سبحانه ـ بعزم راسخ، آملين أن يقع مورد القبول.

تمّ الكتاب بقلم مؤلفه جعفر السبحاني

في صبيحة يوم الأحد المصادف خامس ربيع الثاني عام ١٤١٨ هـ

في مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام

للدراسات والأبحاث الإسلامية

في مدينة قم المقدسة صانها الله من عوائد الدهر.

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين

فهرس المحتويات

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة
٧. علي بن الحسن بن أبي المجد الحلبي	١٥٠
٨. ابن زهرة الحلبي	١٥١
٩. محمد بن الحسن الكيدري	١٥٢
١٠. سديد الدين الحمصي الرازي	١٥٣
١١. محمد بن علي بن شهرآشوب	١٥٥
أسباب الركود	١٥٧
ميزات هذا الدور	١٦١
الدور الرابع	
تجديد الحياة الفقهية(٦٠٠ـ١٠٣٠)	
القرن السابع	
١. ابن إدريس مجدد الحياة الفقهية	١٦٦
مراسلاته مع فقهاء عصره	١٦٨
٢. معين الدين المصري	١٦٩
٣. فخار بن معد بن فخار	١٧٠
٤. محمد بن جعفر بن نما الحلي	١٧٠
٥. جعفر بن الحسن المعروف بالمحقّق الحلي	١٧١
٦. أحمد بن موسى بن جعفر بن طاووس	١٧٤
٧. يحيى بن سعيد الحلي	١٧٥
٨. عبد الكريم بن أحمد بن طاووس	١٧٦
٩. يوسف بن المطهر الحلّي	١٧٧

الموضوع	الصفحة